
توفيق رب البريات
شرح
الواجبات المتحتمات



الطَّبعَةُ الأولَى

1441 هـ - 2020 م

رقم الإيداع: 2019/20599

دار أضواء السلف المصرية للنشر والتوزيع

الإدارة : ٤٨ ش السلام - أحمد عصمت - جسر السويس - القاهرة

هاتف وفاكس : ٠٠٢٠٢٢٢٤٩١٢٧٩٥ هاتف محمول : ٠٠٢٠١٠٠١٠٠١١٤٥

المكتبة : ٨١ ش الهدي المحمدي - أحمد عرابي - مساكن عين شمس

adwaasalaf2007@yahoo.com



توفيق رب البريات

شرح

الواجبات المتحتمات

تأليف فضيلة الشيخ

أبو أنور سالم بن عبد الله بامحرز

إمام وخطيب مسجد الاعتصام

بمدينة المكلا بحضرموت سابقا

تقديم

فضيلة الشيخ

محمد بن محمد بن صغير عكور

عضو المكتب التعاوني بمحافظة صامطه

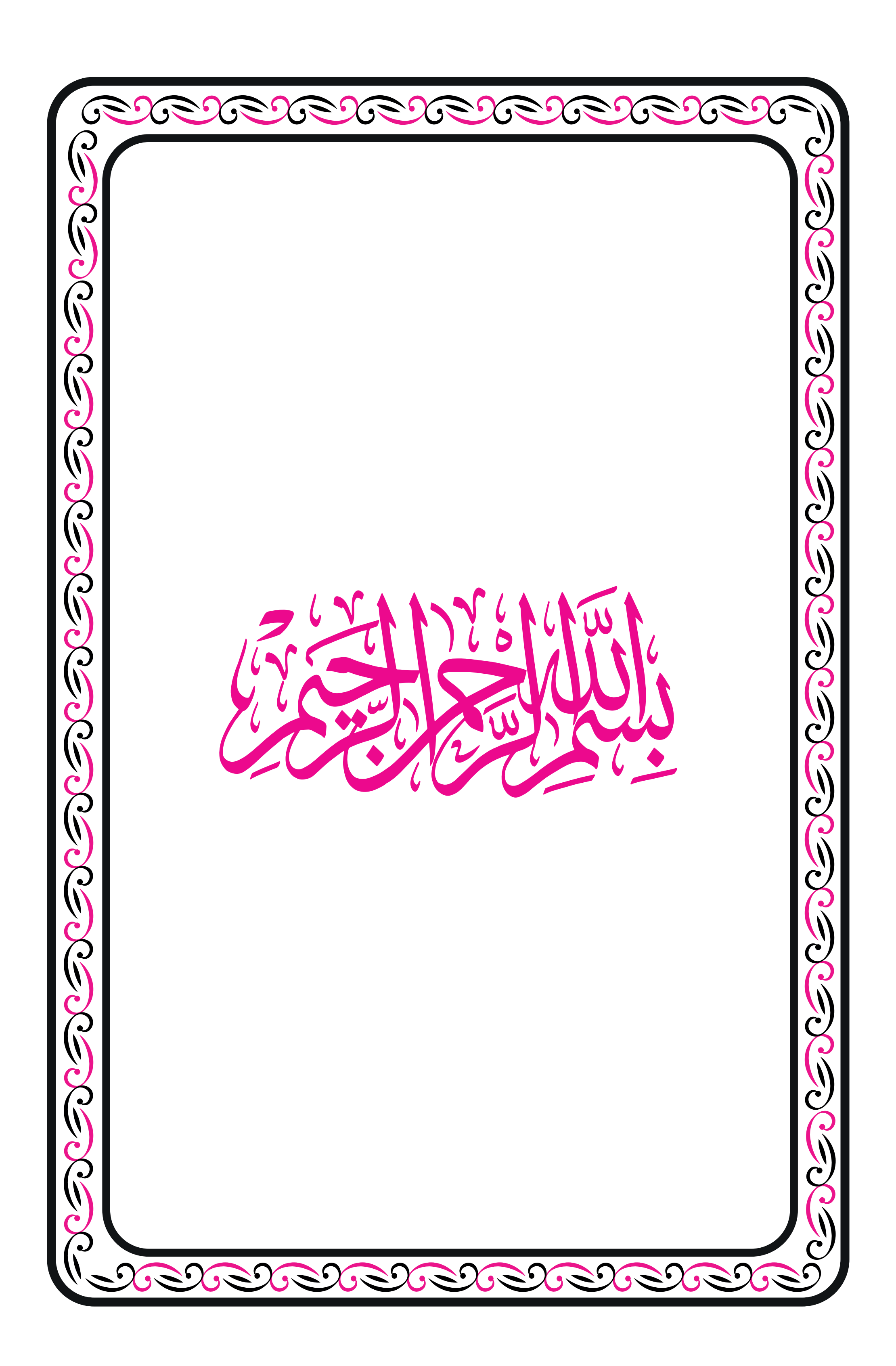
فضيلة الشيخ

د. محمد بن محمد الوهيبي

إمام وخطيب جامع الإمام محمد بن عبد الوهاب

المستشار الشرعي لجمعية الأطفال المعوقين بالرياض

دار أضواء السلف المصرية للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة فضيلة الشيخ
محمد بن محمد صغير عكور

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ خير البرية وسيد البشرية نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه والتابعين وتابعيهم بإحسَان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله كَفَل لهذا الدِّين البَقَاء والعُلُو والنصر والظفر ممَّا هيَّأ له من حملة العلم من القيام بأسباب حفظه، وما يبذلون في سبيل ذلك من تدوين العلوم الكفيلة ببيان ما يحتاجه المسلمون في كل زمان ومكان، وما يُطالعنا بين الحين والآخر من المؤلفات المبسوطة والمختصرة والتي تَصُب في إثراء المكتبة الإسلامية بشتىٰ أنواع المعارف، وعلىٰ رأس ذلك: علوم الشريعة المُتمثلة في كتب العقيدة والتفسير والفقه والحديث وعلوم الآلة، مِصدَاقًا لقوله ﷺ: «**يحمل هذا الدِّين من كل خلف عدوله**».

وقد أرسل إليَّ الشيخ/ **أبو أنور سالم بن عبد الله بامحرز** كتابه المسمَّىٰ:

«**توفيق رب البريات شرح الواجبات المتحتمات**»

ويسَّر الله لي قراءته جميعًا، فوجدتُه شرحًا مباركًا، وجمعًا موفَّقًا، بذل فيه

المؤلف -حفظه الله- جهدًا ملموسًا، مدعمًا بالأدلة الناصعة، ومطعمًا بالفوائد النافعة.

فنسأل الله أن ينفع به مؤلفه في الدارين، وأن ينفع به إخوانه المسلمين، وأن يجعله لمؤلفه من العمل الجاري ثوابه عليه إلىٰ يوم القيامة.

كتبه

عضو المكتب التعاوني بمحافظة صامطة

محمد بن محمد صغير موسى عكور

في ١٢/٧/١٤٣٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير البرية وسيد البشرية نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد: فإن الله كفل لهذا الدين البقاء والعلو والنصر والظفر مما هيأ له من حملة العلم، من القيام بأداء ما حفظ، وما يبذلون في سبيل ذلك من تدوين العلوم الكفيلة ببيان ما يحتاجه المسلمون في كل زمان ومكان، وما خطه العلماء بين الحين والآخر من المؤلفات المبسوطة والمختصرة، والتي تصب في إثراء المكتبة الإسلامية بشتى أنواع المعارف، وعلى رأس ذلك علوم الشريعة المتمثلة في كتب العقيدة والتفسير والفقه والحديث، وعلوم الآلة، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم (يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله).

وقد أرسل إلي الشيخ أبو أنور / سالم بن عبدالله بامحرز كتابه المسمى (توفيق رب البريات، شرح الواجبات المتحتمات) ويسر الله لي قراءته جميعاً فوجدته شرحاً مباركاً وجمعاً موفقاً بذل فيه المؤلف حفظه الله جهداً ملموساً مدعماً بالأدلة الناصعة، ومطعماً بالفوائد النافعة، فنسأل الله أن ينفع به مؤلفه في الدارين وأن ينفع به إخوانه المسلمين، وأن يجعله لمؤلفه من العمل الجاري ثوابه عليه إلى يوم القيامة،

كتبه عضو المكتب التعاوني بمحافظة صامطة:

محمد بن محمد صغير يونس عكور

محمد

في ١٢/٧/١٤٢٨هـ

مقدمة فضيلة الشيخ حمد بن محمد الوهيبي

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام علىٰ النبي الأمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد أطلعني أخي الفاضل الشيخ/ **سالم بامحرز** علىٰ هذا الشرح الموسوم:

«توفيق رب البريات شرح الواجبات المتحتمات»

فوجدته شرحًا مناسبًا، اعتنىٰ فيه بنقل كلام العلماء الربانيين المحققين في بيان أصول الدين ومهمات التوحيد، وقد جاء مُوثقًا للمنقول، حسن الترتيب، سهل العبارة، موضحًا للمقصود.

ولاشك أن مثل هذه المسائل المهمة جديرة بالشرح والبيان، فشكر للشيخ أبي أنور جهده وإسهامه في نشر العلم وبيانه، ونفع به من قرأه، أو نظر فيه.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

كتب

د. حمد بن محمد الوهيبي

المستشار الشرعي بجمعية الأطفال المعوقين

١٤٣٨/٧/١٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد أطلعني أخي الفاضل الشيخ: سالم بامحرز على هذا الشرح الموسوم توضيح رب البريات شرح الواجبات المتحتمات فوجدته شرحاً مناسباً اعتنى فيه بنقل كلام العلماء الربانيين المحققين في بيان أصل الدين ومهمات التوحيد، وقد جاء موثقاً للنقول حسن الترتيب سهل العبارة موضحاً للمقصود.

ولا شك أن مثل هذه المسائل المهمة جديرة بالشرح والبيان

فأشكر للشيخ أبي أنور جهده وإسهامه في نشر العلم وبيانه

ونفع به من قرأه أو نظر فيه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

كتبه

د. عبد الله محمد الوصابي

١٧/٧/١٤٣٢

المستشار الشرعي لجمعية الأطفال المعوقين



إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي شرع لنا من الشرائع أعظمها وأسماها، دين الإسلام العظيم، وذلك فضل من الله وكرم ومِنَّة مِنْه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فمَن آمن بالله ووحدَّه حق التوحيد، سَعِدَ في الدارَيْن، يوم وفق لتحقيق الأمر العظيم الذي خُلِق له في هذه الدنيا؛ لقَوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]. فذاك أسعد الناس وأعظمهم حظًّا في الدارين.

وأما مَن كَفَر بالله تعالىٰ وأشرك، فقد ضلَّ ضلالًا بعيدًا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦]، فذاك الذي خسر الدنيا والآخرة ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر:١٥].

ولتحقيق كمَال التَّوحيد الوَاجِب: كان متحتمًا علىٰ كل مسلم ومسلمة،

التفقه في الفقه الأعظم؛ وهو علم التوحيد، بتعلمه واعتقاده والعمل به، ولا يكون ذلك إلا بتعلُّم أفراد التوحيد وكلِّياته، وتعلُّم ما يضادُّ التوحيد من الشرك والنفاق، وذلك بدراسة أفراد الشرك وكلياته، فيَحذَر من الشِّرك والنفاق ومن كل سبيل يؤدي إليه.

وقد اطلعت علىٰ رسالة:

«الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة»

التي جمعها الشيخ عبد الله بن إبراهيم القرعاوي -حفظه الله-، من مؤلفات شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ وأسكنه فسيح جنَّاته-، وهي رسالة مختصرة ونفيسة، تحتوي علىٰ الأصول الواجب علىٰ الإنسان معرفتها، من معرفة العبد ربه، وأنواع العبادة التي أمر الله بها، ومعرفة العبد دينه، مع بيان شروط لا إله إلا الله، وبيان نواقض الإسلام، ثم بيان أقسام التوحيد مع ذكر ضده وهو الشرك وأقسامه.

ومن فضل الله ومنه وكرمه، أن يسَّر الله لي تدريس هذه الرسالة المباركة لإخواني طلبة العلم، في بلاد المملكة المغربية -حرسها الله-، عبر وسائل الاتصال، فوفَّق الله إخواننا -جزاهم الله خيرًا- بجمع هذه الدروس وتحريرها وتفريغها لإعدادها للنشر؛ ليعم النفع بها من قرأها، ولله الحمد والمِنَّة في ذلك.

هذا؛ وقد جعلت عنوان هذه الرسالة:

«توفيق رب البريات شرح الواجبات المتحتمات»

وقد وفَّق الله أن أطلعنا علىٰ هذه الرسالة الشيخين الفاضلين:

- الشيخ الفاضل «محمد بن محمد موسىٰ عكور»، عضو المكتب التعاوني للدعوة في محافظة صامطة، بالمملكة العربية السعودية، ومن مشايخ الدعوة السلفية في جنوب المملكة العربية السعودية -حفظه الله تعالىٰ-.

- والشيخ الفاضل الدكتور «حمد بن محمد الوهيبي» إمام وخطيب جامع الإمام محمد بن عبد الوهاب، بمدينة الرياض، بالمملكة العربية السعودية، والمستشار الشرعي بجمعية الأطفال المعوقين بالرياض -حفظه الله تعالىٰ-.

فتفضَّل الشيخان الكريمان -بارك الله فيهما-، بكتابة مقدمة مباركة لهذه الرسالة.

فنشكر الشيخين الفاضلين علىٰ هذا جزيل الشكر والتقدير والاحترام، وجزاهما الله خير الجزاء، وكتب الله لهما الأجر والمثوبة.

كما نشكر الأخوين الفاضلين: أبا معاذ هشام بن محمد البيضاوي المغربي، وأبا عبد الله هشام بن مصطفىٰ فيصل المغربي -حفظهما الله تعالىٰ-، علىٰ ما قاما به من تفريغ المادة الصوتية، وكتابة حاشية الرسالة، فجزاهما الله خير الجزاء علىٰ ما قاما به من جهد مبارك، وكتب الله لنا ولهما، ولكل من أعان وساهم في إخراج هذه الرسالة الأجرَ والمثوبةَ، وجعل ذلك في ميزان حسناتنا جميعًا، يوم نلقاه، ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].

والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو أنور سالم بن عبد الله بامحرز

في يوم الخميس الموافق: (٦) من رمضان سنة (١٤٣٨) من الهجرة

بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية

للمراسلة: bamehriz1950@gmail.com



إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فنحن بصدد شرح متن يتضمن أمرًا عظيمًا وهو التوحيد.

وهذا الأمرُ أمرٌ عظيمٌ ينبغي للإنسان أن يهتم به أيما اهتمام، فإن «أولَّ ما يجب علىٰ العباد، معرفةُ الأمر الذي خلقهم الله له، وأخذ عليهم الميثاق به، وأرسل به رسله إليهم، وأنزل به كتبه عليهم، ولأجله خُلِقت الدنيا والآخرة، والجنة والنار، وبه حقت الحاقة، ووقعت الواقعة، وفي شأنه تنصب الموازين وتتطاير الصحف، وفيه تكون الشقاوة والسعادة، وعلىٰ حسبه تقسم الأنوار، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور»[(١)].

فالله تعالىٰ لم يخلق الإنسان في هذه الدنيا لمأكلٍ ومشربٍ ومتاعٍ، وإنما هذه أمور يُستعان بها لِمَا هو أعظم من ذلك.

---

(١) «أعلام السنة المنشورة» للحافظ الحكمي.

إنَّ أعظم ما خُلق له الإنسان، بل ما خُلق له الجن والإنس هو عبادة الله تعالىٰ وتوحيده.

قال تعالىٰ في كتابه العزيز: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

إذن توحيد الله تعالىٰ وإفراده بالعبادة، هو أعظم ما كُلِّف به الإنسان وخُلق لتحقيقه.

وهذا أمر ينبغي أن يهتم به كل مسلم، وأن يجعله في هذه الحياة أهم المهمات وأوجب الواجبات؛ لأن من حقق التوحيدَ -توحيدَ الله تعالىٰ في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته-، كان له من السَّعادة في الدنيا والآخرة ما الله به عليم(١)، ومن حُرِم ذلك فإنه يشقىٰ شقاءً أبديًّا، لا في الدنيا ولا في الآخرة (٢).

وضدُّ التوحيدِ: الشركُ.

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

---

(١) جاء في الحديث المتفق عليه -واللفظ للبخاري-، عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ قال: قَالَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: «أَعدَدتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَينٌ رَأَت، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَت، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلبِ بَشَرٍ»، قَالَ أَبُو هُرَيرَةَ: اقرَءُوا إِن شِئتُم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

(٢) مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه:١٢٤-١٢٧].

هذه الآية العظيمة عندما نزلت شَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ المسلِمِينَ، فقالوا: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنا لم يَظلِم نَفسَهُ؟».

وقد فهموا أن المراد بلفظة (الظلم) في الآية: أنه مجرد الوقوع في جنس المعاصي، أو الوقوع في الأخطاء.

فَقالَ لهُم رسول الله ﷺ: «لَيسَ كَمَا تَقُولُونَ ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ بِشِركٍ، أَوَلَم تَسمَعُوا إِلَىٰ قَولِ لُقمَان لِابنِهِ: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] »[1].

فالشِّرك أعظم أنواع الظُّلم.

ولذلك فينبغي علىٰ الإنسان الذي يريد أن يفوز بسعادَتَي الدنيا والآخرة، أن يجتهد في تحقيق توحيد الله تعالىٰ، وأن يخاف الشرك علىٰ نفسه؛ لأن هذه الآية تضمنت الأمنَ في الدنيا والآخرة، والسدادَ والتوفيقَ في الدنيا، والنجاة والأمن يوم القيامة.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾؛ أي: بشرك، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ الأمن التام في الدنيا والآخرة، ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ هداية إرشاد وتوفيق من الله تعالىٰ، وسداد وحصول لهذا الأمر ولهذا الأمن، ونجاة في الآخرة، وحصول النعيم الأبدي السرمدي، وهو دخول الجنة دخولًا أبديًّا؛ ولذلك ينبغي للإنسان أن يهتم بهذا الأمر اهتمامًا عظيمًا.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٤٢٩)، مسلم (١٢٧).

وقد طلب مني إخواني الأعزاء بالمملكة المغربية أن نشرح هذه الرسالة الطيبة المباركة الموسومة بـ:

«الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة»

وهي مما جمعه الشيخ عبد الله بن إبراهيم القرعاوي من كتب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحم الله الجميع-، وهذه الرسالة يعتبرها كثير من العلماء أنها جامعة لِلُبِّ رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

فرسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رسائل عظيمة، تميزت بأمور؛ منها:

* أنه يؤلف -رحمه الله تعالىٰ- فيما تمس الحاجة إليه، وأشرف ما تمس الحاجة إليه هو علم التوحيد، وقد أكثر هذا الإمام من الكتابة في هذا الباب -رحمه الله تعالىٰ-، يدعو إلىٰ التوحيد ويحذر من الشرك، ويحشد الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لهذا الأمر، فلَقِيت -والحمد لله- القَبُول في مَشَارق الأرض ومغاربها، وحظيت بالاهتمام وبالشرح والتدريس، وهذا دليل علىٰ إخلاص هذا الإمام -رحمه الله تعالىٰ-.

* ثانيًا: أن مؤلفاته للعامة والخاصة، فهي تبصرة للمبتدي، وتذكرة للمنتهي، ولا غنىٰ لطالب العلم عنها.

* أن موضوعها هو بيان ما لا يسع المسلم جهله، وهو أمر التوحيد وفروعه.

فالتوحيد أمر عظيم ينبغي للإنسان أن يهتم به أيما اهتمام، وألَّا يغفل عن هذا الأمر، استجابة وتعلمًا وعملًا، وتحقيقًا ودعوة، وإرشادًا وصبرًا علىٰ ذلك حتىٰ الممات.

فإن توفته الملائكة بأمر الله ولقي الله وهو مُوحِّد لا يشرك به شيئًا، دخل الجنة إما ابتداء أو انتهاء.

فيدخلها ابتداء بغير حساب ولا عقاب، إذا أتم التوحيد وجاء بأصله وكمالاته.

وأما إذا وقع في شيء من المعاصي من الكبائر، أو البدع الغير المكفرة، أو الشرك الأصغر، فإنه قد يَئُول إلىٰ النار علىٰ قدر هذه المعصية أو المَعَاصي ولا يُخَلَّد فيها، فيكون هذا العبد تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه علىٰ قدر ذلك.

وأما الشركُ، فإن صاحبه إذا كان مشركًا شركًا أكبر، ومات عليه ولم يتب منه، فإن صاحبه يكون خالدًا مخلدًا في النار.

وأما إن كان صاحبه مشركًا شركًا أصغر، فإن بعض المحققين من أهل العلم يقولون: إنه إن لم يتب منه، دخل النار وعُذِّب بقدر ذلك، ثم مآله إلىٰ الجنة.

وذلك لأن الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨][١]، أي: أن الله ﷻ لا يغفر شركًا، صغُر ذلك أم كبر.

---

(١) يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ (لا) نافية، (أن يشرك به) فعل مضارع مقرون بأن المصدرية، فيحول إلىٰ مصدر تقديره: إن الله لا يغفر الإشراك به، أو لا يغفر إشراكًا به، فالشرك لا يغفره الله أبدًا؛ لأنه جناية علىٰ حق الله الخاص، وهو التوحيد.

أما المعاصي؛ كالزنا والسرقة، فقد يكون للإنسان فيها حظ نفس بما نال من شهوة. أما الشرك؛ فهو اعتداء علىٰ حق الله تعالىٰ، وليس للإنسان فيه حظ نفس، وليس شهوة يريد
=

ومن أهل العلم من يقول: إن الشرك الأصغر شأنه كشأن سائر الذنوب التي تدخل تحت مشيئة الله ﷻ، إن شاء غفرها الله لصاحبها، وإن شاء عذبه بقَدْرها، ثم يئول إلىٰ الجنة، إن كان ممن مات علىٰ التوحيد.

* ومما تميزت به مؤلفات هذا الشيخ الجليل: سهولة العبارة ويُسْرُها، والاستدلال عليها بآيات الله ﷻ وبالآثار الصحيحة.

* كما تميزت أيضًا بمُعالجتها لأمر العقيدة، وهي دعوة الأنبياء، فما من نبي أرسله الله تعالىٰ ولا رسول إلا جاء يدعو إلىٰ التوحيد، وهكذا كان الأنبياء جميعهم يدعون إلىٰ توحيد الله تعالىٰ، والاستسلام لله تعالىٰ، والانقياد له وطاعته وعبادته وحده دون غيره، كائنًا من كان.

وقد تختلف دعوة الأنبياء والرسل في بعض الشرائع، لكنها لا تختلف في أمر التوحيد، فلذلك ينبغي علينا عباد الله أن نهتم بهذا الأمر، ونُوليه كل اهتمامنا.

= الإنسان أن ينال مُرَادَه، ولكنه ظلم، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

وهل المراد بالشرك هنا: الأكبر، أم مطلق الشرك؟

قال بعض العلماء: إنه مطلق يشمل كل شرك ولو أصغر؛ كالحلف بغير الله، فإن الله لا يغفره، أما بالنسبة لكبائر الذنوب؛ كالسرقة، والخمر؛ فإنها تحت المشيئة، فقد يغفرها الله، وشيخ الإسلام ابن تيمية المحقق في هذه المسائل، اختلف كلامه في هذه المسألة؛ فمرة قال: الشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر، ومرة قال: الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك الأكبر.

وعلىٰ كل حال؛ فيجب الحذر من الشرك مطلقًا؛ لأن العموم يحتمل أن يكون داخلًا فيه الأصغر؛ لأن قوله: «أن يشرك به» أن وما بعدها في تأويل مصدر، تقديره: إشراكًا به؛ فهو نكرة في سياق النفي، فتفيد العموم». اهـ [«القول المفيد» (١/ ١١٤)].

هذه الرسالة التي بين أيدينا معنونة بعنوان:

«الواجبات المتحتمات المعرفة علىٰ كل مسلم ومسلمة»

قوله: «**الواجبات**»؛ أي: الأمور التي تجب وجوبًا عينيًّا لا كفائيًّا، علىٰ كل حرٍّ وعبدٍ، ذكرًا كان أم أنثىٰ، أن يأتي بها، وأن يعتقدها اعتقادًا جازمًا لا شك فيه.

فهذه الواجبات ليست أمورًا مستحبة، وإنما واجبة وجوبًا عينيًّا، لا كفائيًّا، فهي متحتمات لا ينفك الإنسان عن أدائها، والإتيانُ بها أمرٌ متحتم عليه، ولذلك جاء عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**طَلَبُ العِلمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسلِمٍ**»(١).

و«العلم إذا أُطلق، فالمراد به: العلم الشرعي، الذي تفيد معرفته ما يجب علىٰ المكلف من أمر دينه.

والعلم الشرعي علىٰ قسمين: فرض عَيْن وفرض كِفَاية»(٢).

وما جمعه المؤلف هنا يتضمن العلم العيني، الذي هو فرض عين علىٰ كل ذكر وأنثىٰ، وعلىٰ كل حرٍّ وعبد، لا يُعذَر أحد بجهله.

وهذا العلم هو علم التوحيد، توحيد الله تعالىٰ، والعلم بما يضاده وهو الشرك.

قوله: «**علىٰ كل مسلم ومسلمة**»؛ أي: هي رسالة جليلة تهم كل مسلم ومسلمة،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٤)، وصحح الألباني هذه الجملة من الحديث لشواهدها الكثيرة، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٤٠)، و«ضعيف الترهيب» (١/ ٤٥)].

(٢) «حاشية ثلاثة الأصول» لابن القاسم ؒ (ص١٠).

وما أحرانا أن نحفظها، لا أقصد الحفظ الغيبي -وإن كان ذلك مستحبًّا-، لكن الحفظ العلمي والعقدي، الذي يصاحبه تطبيقٌ لها في حياتنا.

وأن نعلمها لأولادنا، بنين وبنات، ونعلمها لزوجاتنا وآبائنا، وكل مَن نحبه في الله، وكل ذوينا، وكل من استطعنا أن نعلمه من أهل الإسلام.

فهي تحتوي علىٰ نصوص تدعو لأمر عظيم وهو التوحيد، وتحذر من أمر خطير وهو الكفر والنفاق والشرك.



قال الشيخ -رحمه الله تعالىٰ-:



الأصول الثلاثة التي يجب علىٰ كل مسلم ومسلمة معرفتها:

وهي: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمدًا ﷺ.

فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربَّىٰ جميع العالمين بنعمته، وهو معبودي، ليس لي معبود سواه.

وإذا قيل لك: ما دينك؟ فقل: ديني الإسلام، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

وإذا قيل لك: من نبيك؟ فقل: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم -عليه وعلىٰ نبينا أفضل الصلاة والتسليم-.

الشرح



«الأصول الثلاثة»، أو «ثلاثة الأصول»، هذا العنوان هو عنوان لكتيب صغير -لكن جليل في مضمونه- للشيخ محمد بن عبد الوهاب، شرح فيه هذه الأصول الثلاثة التي سنأتي عليها، وتوسَّع في ذلك، وحشد الأدلة من كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، فينبغي علىٰ المسلم التوسع في دراسة هذه الثلاثة الأصول في ذلك الكتاب.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «التي يجب علىٰ كل مسلم ومسلمة معرفتها»؛ أي: علمًا وتعلمًا وعملًا، فلا يكفي العلم، بل لابد في المعرفة هنا التعلم، والعلم هو إدراك الشيء علىٰ ما هو عليه إدراكًا جازمًا، لا ظنًّا، وإنما يقينًا مستيقنًا من ذلك، ثم يطبق ذلك في حياته، ويعمل بذلك.

والتوحيد هو الفقه الأعظم، فينبغي للإنسان أن يتفقه في الفقه الأعظم أولًا وقبل كل شيء.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهي: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمدًا ﷺ»، هذه هي الأصول الثلاثة.

والمراد بـ«معرفة العبد»؛ أي: العلم اليقيني من العبد لربه ولدينه ولنبيه ﷺ.

وهذه الأمور، هي أول ما يُسأل الإنسان عنها عندما يفارق هذه الدنيا، ويَلقَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ .

فإنه حال دفنه في قبره، يأتيه الملكان فيقررانه بهذه الثلاثة أمور: مَن ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ كما ثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام-.

ففي حديث البراء بن عازب -وهو حديث طويل-، ذكر فيه رسول الله ﷺ هذه الثلاثة أسئلة[1].

---

(١) هو حديث صحيح جمع ألفاظه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «أحكام الجنائز»، وهو أتم الأحاديث سياقًا في الباب، أسوقه لنفاسته وعظمه:

عن البراء بن عازب قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلىٰ القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ (مستقبل القبلة)، وجلسنا حوله، وكأن علىٰ رءوسنا الطير، =

=

وفي يده عود ينكت في الأرض، (فجعل ينظر إلىٰ السماء، وينظر إلىٰ الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه، ثلاثًا).

فقال: **استعيذوا بالله من عذاب القبر**. مرتين أو ثلاثًا، (ثم قال: **اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر**) (ثلاثًا)، ثم قال: **إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط** (بفتح المهملة، ما يخلط من الطيب لأكفان الموتىٰ وأجسامهم خاصة) **من حنوط الجنة، حتىٰ يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت** عليه السلام.

(قلت: هذا هو اسمه في الكتاب والسنة (ملك الموت)، وأما تسميته (بعزرائيل) فمما لا أصل له، خلافًا لما هو المشهور عند الناس، ولعله من الإسرائيليات!).

حتىٰ يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة (وفي رواية: **المطمئنة**)، **أخرجي إلىٰ مغفرة من الله ورضوان**، قال: **فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها**، (وفي رواية: **حتىٰ إذا خرجت روحه صلىٰ عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم**)، **فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتىٰ يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط**، (فذلك قوله تعالىٰ: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١]، **ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت علىٰ وجه الأرض**.

قال: **فيصعدون بها فلا يمرون** -يعني- **بها علىٰ ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان - بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتىٰ ينتهوا بها إلىٰ السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلىٰ السماء التي تليها، حتىٰ ينتهي به إلىٰ السماء السابعة، فيقول الله** عز وجل: **اكتبوا كتاب عبدي في عليين**، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:١٩-٢٠]، **فيكتب كتابه في عليين. ثم يقال**): **أعيدوه إلىٰ الأرض، فإني** (وعدتهم أني) **منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرىٰ**.

قال: فـ(يُرد إلىٰ الأرض، و) **تُعَاد روحه في جسده**، (قال: **فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا**

=

=

ولوا عنه) (مدبرين). فيأتيه ملكان (شديدًا الانتهار) فـ(ينتهرانه، و) يُجلِسَانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به، وصدقت، (فينتهره فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن. فذلك حين يقول الله ﷻ: (﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [إبراهيم:٢٧])، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ.

فينادي منادٍ في السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه (وفي رواية: يمثل له) رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، (أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم)، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: (وأنت فبشرك الله بخير) من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير؟، فيقول: أنا عملك الصالح، (فوالله ما علمتك إلا كنت سريعًا في طاعة الله، بطيئًا في معصية الله، فجزاك الله خيرًا)، ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجل قيام الساعة، كيما أرجع إلى أهلي ومالي، (فيقال له: اسكن).

قال: وإن العبد الكافر (وفي رواية: الفاجر) إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة (غلاظ شداد)، سود الوجوه، معهم المسوح (جمع المِسْح، بكسر الميم، وهو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفًا وقهرًا للبدن) (من النار)، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود (الكثير الشُّعَب) من الصوف المبلول، (فتقطع معها العروق والعصب)، (فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألَّا تعرج روحه من قبلهم) فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت

=

=

علىٰ وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها علىٰ ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان – بأقبح أسمائه التي كان يسمىٰ بها في الدنيا، حتىٰ ينتهي به إلىٰ السماء الدنيا فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: (﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠]) (أي: ثقب الإبرة، والجمل هو الحيوان المعروف، وهو ما أتىٰ عليه تسع سنوات).

فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلىٰ، (ثم يقال: أعيدوا عبدي إلىٰ الأرض، فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرىٰ)، فتطرح روحه (من السماء) طرحًا (حتىٰ تقع في جسده)، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١]، فتُعاد روحه في جسده، (قال: فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولَّوا عنه)، ويأتيه ملكان (شديدا الانتهار، فينتهرانه، و) يجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ (فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري)، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟)، فلا يهتدي لاسمه، فيُقال: محمد! فيقول:) هاه هاه، لا أدري، (سمعت الناس يقولون ذاك! قال: فيقال: لا دريت)، (ولا تلوت).

فينادي منادٍ من السماء: أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلىٰ النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتىٰ تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه (وفي رواية: ويمثل له) رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: (وأنت فبشرك الله بالشر) من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث؟ (فوالله ما علمت إلا كنت بطيئًا عن طاعة الله، سريعًا إلىٰ معصية الله)، (فجزاك الله شرًّا، ثم يقيض له أعمىٰ أصم أبكم في يده مرزبة! لو ضرب بها جبل كان ترابًا، فيضربه ضربة حتىٰ يصير بها ترابًا، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرىٰ، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له باب من النار، ويُمَهَّد من فُرُش النار)، فيقول: رب لا تقم الساعة».

أخرجه أبو داود (٢/ ٢٨١)، والحاكم (١/ ٣٧-٤٠)، والطيالسي (رقم ٧٥٣)، وأحمد (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨ و٢٨٨ و٢٩٥ و٢٩٦)، والسياق له، والآجري في «الشريعة» (٣٦٧-٣٧٠).

=

ولا يوفق للإجابة عليها الإجابة الصحيحة إلا من ثبَّته الله تعالىٰ بالقول الثابت

=

وروىٰ النسائي (١/ ٢٨٢)، وابن ماجه (١/ ٤٦٩ - ٤٧٠) القسم الأول منه إلىٰ قوله: «وكأن علىٰ رءوسنا الطير».

وهو رواية لأبي داود (٢/ ٧٠) بأخصر منه، وكذا أحمد (٤/ ٢٩٧)، وقال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط الشيخين». اهـ [من كتاب «أحكام الجنائز» طبعة دار المعارف (ص ١٩٨-٢٠٣)].

وفي الحديث فوائد مهمة تتعلق بموضوع الباب، وهي:

* «ذَمُّ التَّقْلِيدِ فِي الِاعتِقَادَاتِ، لِمُعَاقَبَةِ مَن قَالَ: (**كُنتُ أَسمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيئًا فَقُلتُهُ**)» [«الفتح» (٤/ ١٦٩)]، «فلم يكن منفردًا عنهم بمذهب، فلا اعتراض عليه حقًّا كان ما عليه، أو باطلًا» [«ذخيرة العقبىٰ» (٢٠/ ٨٤)].

* «أن سؤال القبر يكون عن التوحيد، ففيه بيان عظم شأن التوحيد» [«ذخيرة العقبىٰ» (٢٠/ ٨٥)].

* «أن فيه ذم التقليد في أمور الدين، ولا سيما باب العقائد؛ لمعاقبة من قال: «**كنت أسمع الناس، يقولون شيئًا، فقلته**»، فالواجب علىٰ المكلَّف الاتباع، لا التقليد.

وليُعلَم الفرق بين الاتباع والتقليد، فإن الأول الاقتداء عن جزم، ويقين، وهو الذي أمر الله تعالىٰ به من لا يعلم، فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، ومن علامته: أن المتبع إذا بُيِّنَ له أن العالم الذي أفتاه قد أخطأ في هذه المسألة، يتركه، ويسأل من هو أعلم منه، وما هو الصواب فيها، فيتبعه، ولا يعاند.

وأما التقليد: فهو الأخذ بقول الغير، من غير معرفة دليله، بل هو مجرَّد اتباع للرأي المحض، سواء أصاب، أو أخطأ، ومن علامته أنه يعتقد أن خطأه أفضل من صواب غيره، بدليل أنه إذا ذُكر له أن مقلِّده مخطئ مخالف للنصوص في هذه المسألة لا يتراجع عنه، بل يتمادىٰ، ويعارض النصوص بدعوىٰ أن مُقلَّدَه أعلم من غيره بالنصوص، وهذه هي الطامَّة الكبرىٰ التي حلَّت بالمسلمين بعد القرون المفضَّلة، ومن العجب العُجاب أن ترىٰ هذه الصفة فيمن ينتسب إلىٰ العلم، بل ربما يدَّعي معرفة الأحاديث، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون». اهـ ملخصًا [من كتاب شرح سنن النسائي المسمىٰ «ذخيرة العقبىٰ في شرح المجتبىٰ» للشيخ محمد بن علي بن آدم بن موسىٰ الإثيوبي الوَلَّوِي. (مجلد ٢٠/ ص٨٥)].

في الحياة الدنيا، ثم في هذا الموقف في القبر، وفي الآخرة يوم القيامة.

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:٢٧].

فالذي يثبته الله تعالىٰ بهذه الأمور، ليس قائلها وحافظها ومكرر ذلك الحفظ ملايين المرات، بل مطبقها والعامل بها في حياته، بل في كل جزئية من حياته، صَغُرت أم كبُرت، ذلك الذي يثبته الله تعالىٰ ويلهمه الإجابة الصحيحة.

ولا صحة لما يفعله أهل البدع من تلقين الميت، مستندين في ذلك علىٰ حديث ضعيف لا يصح عن النبي -عليه الصلاة والسلام-[١]. فيأتون علىٰ صاحب القبر إذا وُضع في قبره، فيقول له: «سيأتيك ملكان كذا وكذا، فإن قالا لك: من ربك؟ قل...». إلىٰ غير ذلك مما يقال له التلقين.

وهذا التلقين بدعة[٢] علىٰ أرجح الأقوال.

---

(١) ذكره الشيخ الألباني في «الضعيفة» تحت رقم (٥٩٩)، ولفظه: «إذا مات الرجل منكم فدفنتموه، فليقم أحدكم عند رأسه، فليقل: يا فلان بن فلانة! فإنه سيسمع، فليقل: يا فلان بن فلانة! فإنه سيستوي قاعدًا، فليقل: يا فلان بن فلانة، فإنه سيقول: أرشدني أرشدني رحمك الله، فليقل: اذكر ما خرجت عليه من دار الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، فإن منكرًا ونكيرًا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول له: ما تصنع عند رجل قد لقن حجته؟ فيكون الله حجيجهما دونه».

وحكم عليه بالنكارة، ونقل تضعيف ابن الصلاح له، والحافظ العراقي، وابن القيم، ثم قال في خاتمة تخريجه له: «وجملة القول: أن الحديث منكر عندي إن لم يكن موضوعًا».

(٢) قال الشيخ الألباني عقب الحديث السابق: «وقد قال الصنعاني في «سبل السلام»: «ويتحصل =

﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورىٰ:٢١].

ليس أمر التلقين لفظي [لفظيًّا] كما يفعله المبتدعة، وإنما هو عملي في هذه الحياة، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢].

وإن أسمعتهم فما ينفعهم ذلك شيئًا.

نعم، إلَّا من هداه الله في حياته، فعرف هذه الأمور وعمل بها، فجاهد نفسه فخالف هواها، وجاهدها علىٰ العمل بهذه الثلاثة أصول حتىٰ يلقىٰ الله، فيثبته الله تعالىٰ بالإجابة عليها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربىٰ جميع العالمين بنعمته وهو معبودي، ليس لي معبود سواه**».

الشيخ -رحمه الله تعالىٰ- أورد الأمر بصيغة الاستفهام، سؤال وجواب، وهذا فيه لفتة تعليمية، فينبغي أن نعلم أولادنا بهذه الطريقة؛ لأنه إذا حار في الجواب، تلقف بعد ذلك الجواب وفهمه فهمًا جيدًا، وعمل به بإذن الله.

=

من كلام أئمة التحقيق أنه حديث ضعيف، والعمل به بدعة ولا يغتر بكثرة من يفعله». ولا يرد هنا ما اشتهر من القول بالعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، فإن هذا محله فيما ثبت مشروعيته بالكتاب أو السنة الصحيحة، أما ما ليس كذلك فلا يجوز العمل فيه بالحديث الضعيف؛ لأنه تشريع ولا يجوز ذلك بالحديث الضعيف، لأنه لا يفيد إلا الظن المرجوح اتفاقًا فكيف يجوز العمل بمثله؟!

فليتنبه لهذا من أراد السلامة في دينه، فإن الكثيرين عنه غافلون. نسأل الله تعالىٰ الهداية والتوفيق».اهـ (المرجع السابق نفسه).

قال: «فإذا قيل لك: من ربك؟»، يحتار من لا يعلم ربه، قال: «**فقل**»، أي: قل معتقدًا مُوقِنًا[(١)] بذلك، «ربي الله الذي رباني وربىٰ جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه».

فهنا بيَّن مَنِ الربُّ، أنه الله تعالىٰ، الخالق سبحانه وتعالى، لا خالق سواه، المالك المدبر الرازق المحيي المميت سبحانه وتعالى.

قال: «الذي رباني»؛ أي: خلقني من عدم، ويسَّر لي هذه الحياة، وسهل لي العيش، بل ربىٰ جميع العالمين، فهذا العالم ليس فيه إلا رب واحدٌ يُعبَد، وهو المعبود لا إله سواه، وغيره عباد لله تعالىٰ[(٢)]، فالله تعالىٰ رب الإنس والجن والملائكة، وكل شيء.

ولذلك قال: «ربي الله الذي ربَّاني وربَّىٰ جميع العالمين»، والعَالَمُون جمع

---

(١) لأن القول في القرآن والسنة إذا أطلق، يشمل قول اللسان وقول القلب.

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦].

«فقوله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ﴾؛ أي: بألسنتكم، متواطئة عليها قلوبكم، وهذا هو القول التام، المترتب عليه الثواب والجزاء، فكما أن النطق باللسان بدون اعتقاد القلب نفاق وكفر، فالقول الخالي من العمل -عمل القلب- عديم التأثير قليل الفائدة، وإن كان العبد يؤجر عليه إذا كان خيرًا ومعه أصل الإيمان، لكن فرق بين القول المُجَرد والمقترن به عمل القلب».

[«تفسير السعدي» (١/ ٩٥)، طبعة دار ابن الجوزي].

(٢) إما عبودية قهر، أو عبودية طاعة وامتثال.

(عالَم)، وهم مَن سوىٰ الله، عالم الإنس، وعالم الجن، عالم الملائكة، وعالم الحيوانات، وعالم الأشجار، وكل ما سوىٰ الله تعالىٰ من المخلوقات، كل ذلك الله الذي خلقهم، وهو الذي يدبر أمرهم، وهو مُحييهم، ومُميتُهم، ورازِقُهم، كل ذلك يتضمن هذا الأمر.

ففيه إقرار لتوحيد الربوبية لله تعالىٰ لكل العوالم، وأن هذه الربوبية ربوبية إنعام من الله تعالىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤].

فجاء بكلمة «نعمة» مفردة مضافة، تفيد الاستغراق، فالنعم كثيرة لا تُعَد ولا تُحصَىٰ.

ثم قال: «ليس لي معبود سواه»، وهذا فيه بيان لِلازِم هذه الربوبية، وهو إثبات العبودية لله وحده تعالىٰ.

أي: هو الذي خلقني ورباني بهذه النعم، هو معبودي، الذي أتوجه إليه بالعبادة والتذلل والخضوع والخشوع، مخلصًا في ذلك له ﷻ، لا لغيره ولا أشرك معه أحدًا، لا معبود لي سواه.

فالعبادة لا تكون إلا لله تعالىٰ، **والعبادة:** «أمر جامع لكل ما يحبه الله تعالىٰ ويرضاه، من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة»، كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-[(١)].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ١٤٩).

وهي أيضًا: «التذلل والخضوع لله تعالىٰ مع المَحبَّة والتعظيم»[(١)].

فهذا فيه إقرار لله تعالىٰ بالتوحيد في ربوبيته وألوهيته، والتحذير من أن تصرف شيئًا هو خاص لله تعالىٰ لغير الله تعالىٰ، كائنًا من كان.

فكل عبادة؛ كالصلاة، والصيام، والدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، وغيرها، هذه كلها خاصة بالله تعالىٰ، فمن صرف شيئًا من ذلك لغير الله تعالىٰ فقد أشرك بالله شركًا أكبر، نسأل الله السلامة!

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك: «وإذا قيل لك: ما دينك؟»؛ أي: ما الدين الذي تدين به لله تعالىٰ؟ ما هي عقيدتك؟

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقل: ديني الإسلام»؛ أي: عقيدتي هي الإسلام.

فما معنىٰ دِين الإسلام؟

الإسلام هو: «الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله».

فقولنا: «الاستسلام لله بالتوحيد»؛ أي: التذلل والخضوع والخشوع لله تعالىٰ، خضوعًا تامًّا، بتوحيده في ألوهيته، وفي ربوبيته، فلا أعبد سواه، ولا أتوجه بالعبادة إلا إليه.

---

(١) قال ابن القيم في «نونيته»:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتىٰ قامت القطبان

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

أوَّليَّة يقولُهَا الإنسان نسبية، وليست مطلقة ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

وقولنا: «والانقياد له بالطاعة»، فلا يكفي أن يستسلم فقط، بل لابد أن ينقاد، والانقياد هو السير بالعمل في هذا العلم الذي تعلمه من أمر التوحيد، فيطبق ما جاء في هذه العبادات، علمًا وعملًا، فهو ينقاد في طَاعتِهِ لله تعالىٰ تمام الانقياد؛ لأن الله تعالىٰ يُحِب ذلك.

وقولنَا: «والبَراءة من الشِّرك وأهله»، وهذا أمر لابد منه، لابد من البراءة من الشرك وأهل الشرك، وذلك ببُغض الشرك وأهله، والكفر بالطاغوت.

ولذلك جاءت كلمة «لا إله» نفي للشرك، «إلا الله» إثبات وتوحيد.

فبدأت هذه الكلمة الطيبة المباركة بالنفي «لا إله»، ثم ثُنِّيت بالإثبات «إلا الله»، وهذا النفي يستلزم التبرؤ من الشرك وأهله، كما يستلزم إثبات التوحيد والموالاة لأهل التوحيد.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

فالبراءة هي تجنب الشرك، والبعد عنه، والتخلص منه، فأتبرأ براءة كاملة، وأبتعد بعدًا كاملًا عن الشرك بالله تعالىٰ، علىٰ أي وجه كان.

وأيضًا أتبرأ من المشركين، من الذين وقعوا في الشرك، وعصوا الله تعالىٰ في أعظم ذنب علىٰ وجه الأرض، أتبرأ منهم كائنًا من كانوا، وإن كان منهم أقرب الناس إلي.

الرسول ﷺ تبرأ من أقرب الناس إليه، أبي لهب وأبي طالب، وكل من كان مشركًا بالله تبرأ منه.

إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، أبو الأنبياء، وإمام الموحدين، تبرأ من أبيه ومن قومه يوم كفروا بالله.

قال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

وقال أيضًا ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧].

وهكذا، أنبياء الله جميعًا يتبرءون من الشرك وأهله، وعلىٰ دربهم يسير أولياء الله تعالىٰ الذين وحَّدوا الله تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ [الأنعام:٩٠]. فلا يكمل هذا التوحيد، إلا بالبراءة من الشرك.

أما أن يقول الإنسان: «أنا أُقِرُّ أن الله تعالىٰ هو الخالق الرازق المحيي المميت

الذي أتوجه إليه بالعبادة، ولكن أحب أن أتقرب إلىٰ القبر الفلاني، أو الولي الفلاني، أجلس عنده وأدعوه، وأتوجه إليه، فيشفع لي عند الله، ويهب لي الولد والمال، ويرفع عني الضر، ويجلب لي النفع!».

فنقول له: هذا كفر وشرك صريح، وهو عين ما قاله المشركون الذين حاربهم الرسولﷺ.

﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨].

فلابد من التبرؤ من كل الطواغيت، ومن كل الأصنام، ومن كل ما يُعبد من دون الله تعالىٰ، والتبرؤ أيضًا من أهله الذين يعبدون هذه الطواغيت والأصنام.

وهذا أيضًا يتضمن الولاء لأهل الإيمان، والتبرؤ من أهل البدع ومن دعاة الباطل، كائنًا من كانوا، فإن البراءة منهم أمر لابد منه؛ لأنهم يقودون إلىٰ المعاصي، فالبدع، فالشرك الأصغر، ثم إلىٰ الشرك الأكبر -والعياذ بالله-، فينبغي التبرؤ منهم، والبُعْد عنهم، والتحذير منهم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا قيل لك: من نبيك؟، فقل: نبيي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم».

هذا هو رسول الله ﷺ، الذي ينبغي أن نعلم فضله في هذا الدِّين، وأنه لولا فضل الله علينا بإرساله لنا، ما عرفنا شرائع هذا الدين العظيم، فقد بعثه الله تعالىٰ

في آخر الأمم، رسولًا وهاديًا ونبيًّا، يبين أمر هذا الدين، ويوضحه، ويجليه، ويدعو إليه، ويجاهد في سبيله[(١)].

فكان الأمر كما جاء عَن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ ﷺ، عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَيسَ مِن شَيءٍ يُقَرِّبُكُم مِنَ الجَنَّةِ وَيُبعِدُكُم مِنَ النَّارِ إِلَّا قَد أَمَرتُكُم بِهِ، وَلَيسَ شَيءٌ يُقَرِّبُكُم مِنَ النَّارِ وَيُبعِدُكُم مِنَ الجَنَّةِ إِلَّا قَد نَهَيتُكُم عَنهُ**...». الحديثَ[(٢)].

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه المنة التي امتن الله بها علىٰ عباده، أكبر النعم، بل أصلها، وهي الامتنان عليهم بهذا الرسول الكريم الذي أنقذهم الله به من الضلالة، وعصمهم به من الهلكة، فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يعرفون نسبه، وحاله، ولسانه، من قومهم وقبيلتهم، ناصحًا لهم، مشفقًا عليهم، يتلو عليهم آيات الله، يعلمهم ألفاظها ومعانيها، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ من الشرك، والمعاصي، والرذائل، وسائر مساوئ الأخلاق، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، إما جنس الكتاب الذي هو القرآن، فيكون قوله: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ المراد به الآيات الكونية، أو المراد بالكتاب هنا الكتابة، فيكون قد امتن عليهم، بتعليم الكتاب والكتابة، التي بها تدرك العلوم وتحفظ.

والحكمة هي: السُّنة، التي هي شقيقة القرآن، أو وضع الأشياء مواضعها، ومعرفة أسرار الشريعة، فجمع لهم بين تعليم الأحكام، وما به تنفذ الأحكام، وما به تدرك فوائدها وثمراتها، ففاقوا بهذه الأمور العظيمة جميع المخلوقين، وكانوا من العلماء الربانيين، ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ بعثة هذا الرسول ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، لا يعرفون الطريق الموصل إلىٰ ربهم، ولا ما يزكي النفوس ويطهرها، بل ما زيَّن لهم جهلُهم فعلوه، ولو ناقض ذلك عقول العالمين!» «تفسير الشيخ السعدي».

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٣٣٥)، و«إتحاف الخيرة المهرة» (٣٦٤٣)، و«المطالب العالية» (٩٢٧) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٣١١).

وعَن أَبي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: «تَرَكنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيهِ فِي الهَوَاءِ، إِلا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنهُ عِلمًا، قَالَ: فَقَالَ ﷺ: **مَا بَقِيَ شَيءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إِلا وَقَد بُيِّنَ لَكُم**»(١).

فينبغي أن نتعرف علىٰ هذا النبي، ونتعرف علىٰ سيرته، وأيامه.

ومما مر بي في حياتي؛ أنه في يوم من الأيام كنت مع بعض الإخوة في رحلة دعوية، في منطقة نائية في ريف، فمر بنا شباب أحدهم يبلغ العشرين سنة، فلما رأىٰ معنا قطعة سلاح، جاء ينظر في هذه القطعة، فسألته: من أنت؟، قال: أنا فلان، قلت: ما شاء الله، أنت مسلم؟ قال: نعم، قلت: تعبد الله؟ قال: نعم، نعم. قلت: تصلي لله؟ قال: أصلي الجمعة. فقلت له: تعرف رسول الله؟ قال: مَن رسول الله؟ قلت له: محمد ﷺ! قال: مَن محمد؟!

سبحان الله، لا يعرف من محمد رسول الله ﷺ!

فقلنا له: فكيف عرفت الله يا أخي؟ كيف عرفت دين الإسلام؟ كيف تصلي؟ مَن أرشدك إلىٰ هذا الأمر؟ فوجدت أن الأخ هذا لا يعرف رسول الله ﷺ، وهذه والله بلية عظيمة، فجلسنا نُعَلِّمه.

وهكذا ينبغي يا إخواني أن نتفقد الناس، والله كثير من الناس عندهم جهل عظيم.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، والطبراني في «المعجم الكبير» وهذا لفظه (٢/ ١٥٥-١٥٦، رقم ١٦٤٧)، وابن حبان في «صحيحه» رقم (٦٥)، وغيرهم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (ح ١٨٠٣).

فينبغي أن نَعلَم من هو رسول الله ﷺ، وأن نحبه، ونتبعه، وننصر سنته، وندافع عنها، ونحرص عليها، ونُبَلِّغُها، فنحبه المحبة الكاملة، أحب من أنفسنا وأبنائنا وأهلنا -صلوات الله وسلامه عليه-، مصداقًا لما جاء في الأحاديث النبوية الصحيحة.

ومن ذلكم ما جاء عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه: أَن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فَوَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيهِ مِن وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**»[1].

ولهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنَّبي ﷺ: «يَا رَسُولَ اللهِ، لَأَنتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِن كُلِّ شَيءٍ إِلَّا مِن نَفسِي، فقال له النبي ﷺ: **لَا وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيكَ مِن نَفسِكَ**.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ وَاللهِ لَأَنتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِن نَفسِي.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **الآنَ يَا عُمَرُ**»[2].

وما جاء به الرسول -عليه الصلاة والسلام- أمر لا ينبغي مخالفته.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [النور:٥١].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب:٣٦].

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري (١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٣٢).

فما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله ﷻ ، فينبغي الخضوع له والاستسلام والانقياد، ولا طريق لذلك إلا بالعلم بما جاء به هذا الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

والواجب علينا أيضًا أن نعرف نسبه، وموضع مبعثه، وموضع هجرته، ونعرف سيرته ﷺ، وللشيخ محمد بن عبد الوهاب كتابٌ مختصر جمع فيه سيرة النبي -عليه الصلاة والسلام- علىٰ أفضل وجه، سماه « مختصر سيرة الرسول ﷺ».

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم»، عبد الله أبوه، وعبد المطلب جد النبي ﷺ، وهو شيبة الحمد علىٰ الصحيح[(١)]،

(١) «يُقَالَ: لِشَيبَةٍ كَانَت فِي رَأسِهِ، وَيُقَالَ لَهُ: شَيبَةُ الحَمدِ لِجُودِهِ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ عَبدُ المُطَّلِبِ: لِأَنَّ أَبَاهُ هَاشِمًا لَمَّا مَرَّ بِالمَدِينَةِ فِي تِجَارَتِهِ إِلَىٰ الشَّامِ، نَزَلَ عَلَىٰ عَمرِو بنِ زَيدِ بنِ لَبِيدِ بنِ حَرَامِ بنِ خِدَاشِ بنِ خِندف بنِ عَدِيِّ بنِ النَّجَّارِ الخَزرَجِيِّ النَّجَّارِيِّ، وَكَانَ سَيِّدَ قَومِهِ، فَأَعجَبَتهُ ابنَتُهُ سَلمَىٰ، فَخَطَبَهَا إِلَىٰ أَبِيهَا، فَزَوَّجَهَا مِنهُ وَاشتَرَطَ عَلَيهِ مُقَامَهَا عِندَهُ، وَقِيلَ: بَلِ اشتَرَطَ عَلَيهِ أَلَّا تَلِدَ إِلَّا عِندَهُ بِالمَدِينَةِ.

فَلَمَّا رَجَعَ مِنَ الشَّامِ بَنَىٰ بِهَا وَأَخَذَهَا مَعَهُ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَلَمَّا خَرَج فِي تِجَارَةٍ أَخَذَهَا مَعَهُ وَهِيَ حُبلَىٰ، فَتَرَكَهَا بِالمَدِينَةِ وَدَخَلَ الشَّامَ فَمَاتَ بِغَزَّةَ، وَوَضَعَت سَلمَىٰ وَلَدَهَا فَسَمَّتهُ شَيبَة، فَأَقَامَ عِندَ أَخوَالِهِ بَنِي عَدِيِّ بنِ النَّجَّارِ سَبعَ سِنِينَ.

ثُمَّ جَاءَ عَمُّهُ المُطَّلِبُ بنُ عَبدِ مَنَافٍ فَأَخَذَهُ خُفيَةً مِن أُمِّهِ فَذَهَبَ بِهِ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَلَمَّا رَآهُ النَّاسُ وَرَأَوهُ عَلَىٰ الرَّاحِلَةِ، قَالُوا: مَن هَذَا مَعَكَ؟ فَقَالَ: عَبدِي.

ثُمَّ جَاءُوا فَهَنَّئُوهُ بِهِ وَجَعَلُوا يَقُولُونَ لَهُ: عَبدُ المُطَّلِبِ لِذَلِكَ، فَغَلَبَ عَلَيهِ.

وَسَادَ فِي قُرَيشٍ سِيَادَةً عَظِيمَةً، وَذَهَبَ بِشَرَفِهِم وَرِئَاسَتِهِم. فَكَانَ جِمَاعُ أَمرِهِم عَلَيهِ، وَكَانَت إِلَيهِ السِّقَايَةُ وَالرِّفَادَةُ بَعدَ المُطَّلِبِ، وَهُوَ الَّذِي جدد حفر زَمزَم بعدمَا كَانَت مَطمُومَةً مَن عَهدِ =

وكان سيدًا في قومه.

ورسول الله ﷺ ينتسب إلىٰ هاشم بن عبد مناف، وعبد مناف هذا كان أبناؤه أربعة: هاشم، والمطلب، وعبد شمس، ونوفل.

فهاشم وهو من قبيلة قريش، والفخذ الذي انتسب إليه رسول الله ﷺ؛ لأن محمدًا رسول الله ﷺ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم يقال له: عمرو، وَإِنَّمَا سُمِّيَ هَاشِمًا لَهَشمِهِ الثَّرِيدَ مَعَ اللَّحمِ لِقَومِهِ فِي سِنِي المَحلِ، كَمَا قَالَ مَطرُودُ بنُ كَعب الخزاعي فِي قصيدته، وَقيل للزِّبَعرَىٰ وَالِد عبد الله:

عَمرو الذي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَومِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسنِتُونَ عِجَافُ
سُنَّت إِلَيهِ الرِّحلَتَانِ كِلَاهُمَا سَفَرُ الشِّتَاءِ وَرِحلَةُ الأَصيَافِ

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَن سَنَّ رِحلَتَيِ الشِّتَاءِ وَالصَّيفِ، وَكَانَ أَكبَرَ وَلَدِ أَبِيهِ(١).

ولُقِّب بهاشم؛ لأنه كان يهشم الثريد لقومه عند الحاجة وعند الجوع.

وقد كان لعبد مناف أربعة أولاد: هاشم، والمطلب، وعبد شمس، ونوفل.

ورسول الله ﷺ يوم أن أعطىٰ الخُمسَ من الفيء، أعطاه لبني هاشم، بيت

=
جُرهُم، وَهُوَ أَوَّلُ من طلىٰ الكَعبَةَ بِذَهَبٍ فِي أَبوَابِهَا مِن تَينكَ الغَزَالَتَينِ اللَّتَينِ من ذهب، وَجَدَهُمَا فِي زَمزَمَ مَعَ تِلكَ الأَسيَافِ القَلَعِيَّةِ». [«السيرة النبوية» لابن كثير، طبعة قطر ضمن كتاب «البداية والنهاية» (٣/ ص١٨)].

(١) «سيرة ابن كثير» طبعة قطر، ضمن كتاب «البداية والنهاية» (٣/ ص١٩).

النبي -عليه الصلاة والسلام-، وبني المطلب، أبناء عمه، ولم يعطِ لبني عبد شمس ولا لبني نوفل، مع أنهما جميعًا ينتسبون إلىٰ عبد مناف، حتىٰ جاء عثمان بن عفان -رضي الله تعالىٰ عنه- وهو ينتسب إلىٰ عبد شمس، وجاء جبير بن مطعم وهو ينتسب إلىٰ بني نوفل، فقالوا: «أَعطَيتَ بَنِي المُطَّلِبِ مِن خُمسِ خَيبَرَ، وَتَرَكتَنَا وَنَحنُ بِمَنزِلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنكَ»، فقال: «**إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو المُطَّلِبِ شَيءٌ وَاحِدٌ**»[1]؛ لأن بني المطلب دخلوا مع بني هاشم في الشِّعب يوم قاطعتهم قريش، وحكمت عليهم بالعزلة، ولم يدخل أبناء عبد شمس وأبناء نوفل، ولا أبناء أبي لهب؛ ولذلك لم يعطهم شيئًا من هذا الفيء رسول الله ﷺ، وهذا عدل منه -صلوات الله وسلامه عليه- ووفاء لبني عبد المطلب.

إذن، رسول الله ﷺ ينتسب إلىٰ هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب هم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم، وهم المستعربة.

وهم العرب العاربة والمستعربة الذين من قحطان وعدنان، هم من بني إسماعيل[2]، وإسماعيل بن إبراهيم.

وأما قحطان وغيرهم من العرب العاربة، وليست المستعربة، والعاربة هم أصل العرب، وأفضل العرب هم المستعربة؛ لأن فيهم رسول الله ﷺ.

وهكذا هم ينتسبون إلىٰ إسماعيل الذبيح -عليه الصلاة والسلام وعلىٰ أنبياء الله جميعًا-.

---

(١) البخاري، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه، و«المسند».
انظر: «فتح الباري» (٧/ ٤١٩) طبعة طيبة.

(٢) انظر: «الفتح» طبعة طيبة (٨/ ١٥٩) وما بعده، من كلام الحافظ.

قال المؤلف: أصل الدين وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض علىٰ ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفيره من فعله.



قول المصنف -رحمه الله تعالىٰ-: «أصل الدين وقاعدته أمران»؛ أي: ما يرتكز عليه هذا الدين، وما يقوم عليه، هو حصول هذين الأمرين، وإلَّا فإن دين المرء في خلل بدون هذين الأمرين، ومع وجود هذا الخلل لا يكون الإنسان محققًا للتوحيد المطلوب منه من الله تعالىٰ، بل يخرج من التوحيد إلىٰ الكفر بالله عَزَّ وَجَلَّ [1].

(١) ولذلك قال شيخ الإسلام عقب ذلك: «والمخالفون في ذلك أنواع:

فأشدهم مخالفة: من خالف في الجميع، ومن الناس من عبد الله وحده، ولم ينكر الشرك، ولم يعاد أهله.

ومنهم: من عاداهم ولم يكفِّرهم.

ومنهم: من لم يحب التوحيد ولم يُبغضه.

ومنهم: من كفَّرهم وزعم أنه مسبة للصالحين.

ومنهم: من لم يبغض الشرك ولم يحبه.

ومنهم: من لم يعرف الشرك ولم ينكره.

ومنهم: من لم يعرف التوحيد ولم ينكره.

=

ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذين الأصلين، فقال:

«الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له»، وهنا لابد أن يكون المدعوُّ للعبادة قد دخل الإسلام؛ أي: بمعنىٰ أنه قد آمن بالله تعالىٰ، وعرف حقَّ الله تعالىٰ، والتزم بهذا الأمر.

إذن، لابد أن يؤمر بعبادة الله تعالىٰ وحده، ولزوم هذه العبادة، والتي هي أعظم شعائر الإسلام.

وهذا من حيث إنه الآن قد عرف دين الإسلام، ودخل دين الإسلام، أما قبل ذلك فإنه لا يُلزم؛ لأنه ما زال مشركًا غير موحد بالله تعالىٰ.

فقال: «الأول: الأمر بعبادة الله وحده»؛ أي: أن يُلزم بهذه القاعدة المهمة، وهذا الأصل العظيم، وهو عبادة الله تعالىٰ وحده لا شريك له.

والعبادة -كما سبق لنا في التعريف-: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة».

وفي تعريف آخر، هو: «التذلل والخضوع [مع المحبة والتعظيم][(١)]».

=

ومنهم: -وهو أشد الأنواع خطرًا-: من عمل بالتوحيد، لكن لم يعرف قدره، ولم يبغض من تركه، ولم يكفِّرهم.

ومنهم: من ترك الشرك وكرهه، ولم يعرف قدره، ولم يعاد أهله، ولم يكفرهم؛ وهؤلاء قد خالفوا ما جاءت به الأنبياء من دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله أعلم». [«الدرر السنية» (٢/ ٢٢)].

(١) كما قال شيخ الإسلام: «وَالعِبَادَة أصل مَعنَاهَا: الذل أَيضًا، يُقَال: طَرِيق مُعبَّد؛ إِذا كَانَ مذللًا قد وطئته الأَقدَام.

=

التذلل لله تعالىٰ، والخضوع بفعل المأمورات وترك المحظورات، وهذا التعريف -تعريف شيخ الإسلام- تعريفٌ مختصر، فلابد أن تكون العبادة تذللًا وخضوعًا لله تعالىٰ، بفعل المأمورات التي أمر الله تعالىٰ بها، وترك المحظورات التي نهىٰ الله عنها، مع محبة الآمر الناهي وهو الله تعالىٰ، والمأمور به، وبغض المنهيِّ عنه.

وهذا هو حقيقة التقوىٰ؛ بمعنىٰ: أنك تفعل ما أمرك الله تعالىٰ وتلتزم به، وتترك ما نهاك عنه، خشية عقابه، وطلبًا لثوابه ﷻ(١).

=

لَكِن العِبَادَة المَأمُور بهَا تَتَضَمَّن معنىٰ الذل وَمعنىٰ الحبِّ، فهي تَتَضَمَّن غَايَة الذل لله بغاية المحبَّة لَهُ». اهـ

وعلق الشيخ الفوزان قائلًا: «قوله: «وَالعِبَادَة أصل مَعنَاهَا الذل»؛ أي: أصل العبادة في اللغة الذل، يقال: طريق مُعبَّد؛ أي: مذلل، فالعبادة في اللغة معناها: الذل والخضوع.

وقوله: «فهي تَتَضَمَّن غَايَة الذل لله بغاية المحبَّة لَهُ»؛ أي: فعبادة الله -جل وعلا- تتضمن معنيين أساسيين: غاية الذل مع غاية الحب، لا تكون ذُلًّا فقط بدون محبة، ولا تكون محبة فقط بدون ذُلٍّ، فإن من ذلَّ لشيء ولم يحبَّه، لا يكون عابدًا له.

فتعريف العبادة إجمالًا أنها: «غاية الذل مع غاية الحب». فالإنسان يذل للجبابرة والطواغيت، ولكنه لا يحبهم، فلا يقال هذه عبادة، وكذلك الإنسان يحب زوجته، ويحب أولاده ولكنه لا يذل لهم، فلا يقال: إنه عبدهم، فالعبادة ما اجتمع فيها: غاية الذل مع غاية الحب، كما قال ابن القيم:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتىٰ قامت القطبان

انتهىٰ. شرح كتاب «العبودية» للشيخ الفوزان [(ص ٢٦)، طبعة دار كنوز إشبيليا].

(١) **عن بكرٍ المُزَنِيِّ قال:** لما كانت فتنة ابن الأشعث، قال طلق بن حبيب: «اتقوها بالتقوىٰ. فقيل

=

إذن، هنا قال: «الأمر بعبادة الله»، فلابد للإنسان أن يؤمر بعبادة الله تعالىٰ وحده، بأن يتوجه بالعبادة خالصة لله تعالىٰ، متذللًا له، خاشعًا له، خاضعًا له، راغبًا إليه، راجيًا لرحمته، خائفًا من عذابه، وهذا الخضوع والذل والرجاء والخوف المقترنين بالمحبة يجعلون العبد يأتمر بأوامر الله ﷻ، وينتهي عن نواهيه(١).

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحده لا شريك له»؛ أي: أن يوحِّد الله بهذه العبادة، ولا يشرك فيها غيره، فلا يعبد الله تعالىٰ ويعبد غيره معه، فهذه لا تسمىٰ عبادة لله تعالىٰ، وإنما تسمىٰ شركًا بالله تعالىٰ، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

=

له صِف لَنَا التَّقوىٰ، فقَالَ: العَمَلُ بطَاعَةِ اللهِ، عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللهِ، رَجَاءَ ثَوَابِ اللهِ، وَتَرك مَعَاصِي اللهِ، عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللهِ، مَخَافَةَ عَذَابِ اللهِ».

قال الحافظ الذَّهبي معلِّقًا: «أبدَعَ وَأَوجَزَ، فَلَا تَقوىٰ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِتَرَوٍّ مِنَ العِلمِ وَالاتِّبَاعِ، وَلَا يَنفعُ ذَلِكَ إِلَّا بِالإِخلَاصِ للهِ، لَا لِيُقَالَ: فُلَانٌ تَارِكٌ لِلمَعَاصِي بِنُورِ الفِقهِ، إِذِ المَعَاصِي يَفتَقِرُ اجتِنَابُهَا إِلَىٰ مَعرِفَتِهَا، وَيَكُونُ التَّركُ خَوفًا مِنَ اللهِ، لَا لِيُمدَحَ بِتَركِهَا، فَمَن دَاوَمَ عَلَىٰ هَذِهِ الوَصِيَّةِ، فَقَد فَازَ». [«سير أعلام النُّبلاء» (٤/ ٦٠١) طبعة مؤسسة الرسالة].

قال ابن القيِّم واصفًا هذا التعريف: «وهذا من أحسن ما قيل في حدِّ التَّقوىٰ».

(١) وما كمُل العبد في هذا الباب، إلا بكمال هذه الأعمال في قلبه، الخوف والرجاء والرغبة والحب، ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٥-١٧].

وكما جاء عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: أَنَا أَغنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّركِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أَشرَكَ فِيهِ مَعِي غَيرِي تَرَكتُهُ وَشِركَهُ»(١).

فمن أشرك مع الله تعالىٰ غيرَه، تركه اللهُ تعالىٰ وشركَه الذي أشرك به، فالله غني عن الشركاء.

فمن عبد الله تعالىٰ داخل المسجد، وصلىٰ ودعا الله تعالىٰ، وتضرع، ثم خرج، فإذا مسَّه الضرُّ ذهب إلىٰ قبر من القبور، أو عند ولي من الأولياء، كما يزعم بعض الناس، حيًّا كان أو ميتًا، أو إلىٰ ساحر، أو جنٍّ، أو حجر أو مَدَر أو غير ذلك، ثم دعا هذا القبر أو هذا الولي واستغاث به، أو استجار به، أو تضرع عنده لكشف ضُرٍّ أو جلب نفع، فهذا ليس بموحد وإنما هو مشرك، أشرك مع الله شريكًا آخر، فالله ﷻ يتركه وشركه، وهذا هو عين شرك الأوَّلين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].

وقال أيضًا: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس:١٨].

---

(١) مسلم (٢٩٨٨).

فسمَّىٰ فعلهم شركًا، ونزَّه نفسَه عن شركهم، واستقبح فعلهم.

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتحريض علىٰ ذلك»؛ أي: التحريض علىٰ عبادة الله تعالىٰ وحده، والتحريض: هو الحثُّ علىٰ الشيء، والحضُّ عليه، وتشديد الرغبة فيه.

فإن قال قائل: كيف نحرض علىٰ ذلك؟

نقول له: نكرر الأمر بالدعوة إلىٰ التوحيد، اليوم محاضرة في التوحيد، وغدًا درس في شرح «الأصول الثلاثة»، وبعد ذلك درس في شرح «كتاب التوحيد»، وآخر في «القواعد الأربع»، ودرس هنا ودرس هناك، وهكذا.

حتىٰ إن بعض الناس ربما يَمَلُّون، ويقولون: ليس عندكم إلا توحيد... توحيد... توحيد كل يوم؟!

فنقول: نعم، حتىٰ تستبين سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين الذين يعبدون غير الله تعالىٰ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام:٥٥].

فلابد من التحريض علىٰ هذا الأمر، لابد من التكرار، لابد من إلزام الناس وتشنيف أسماعهم بهذا الأمر، كل يوم، وكل ليلة، مع الحكمة والموعظة الحسنة، والرفق وحسن التوجيه، واختيار الأوقات المناسبة قدر الإمكان؛ لأن هذا الأمر فيه نجاتهم في الدنيا والآخرة، وفيه الهداية لهم، وفيه الأمن في الدنيا والآخرة، فينبغي علينا أن نحرض، ونحث الناس، ونكرر عليهم، بمعنىٰ

نتولاهم بتوخي الموعظة والتذكير بأمر التوحيد، وأمر العبادة لله تعالىٰ، والتخويف من الشرك والتحذير منه، لابد من ذلك كل يوم وليلة قدر المستطاع، مع الترويح بالمواعظ الأخرىٰ.

ولذلك أحثكم يا إخواني في الله، وأبنائي من الشباب، اهتموا بأمر التوحيد، ذكِّروا أولادكم، ذكروا أهليكم، ذكروا أقرباءكم، ادعوا إليه في المساجد، في المحافل، وفي كل الأماكن التي تستطيعون الكلام فيها، مع الإكثار من الاستشهاد بالآيات القرآنية والنصوص النبوية الصحيحة.

بيِّنوا أمرَ التوحيد للناس، وحذروهم من الشرك، في كل لحظة يسعكم ذلك؛ لأن أمر التوحيد أمره عظيم، وبخاصة أن الناس يعيشون اليوم في ضلالات، وفي بدع، وفي شرك بالله تعالىٰ علىٰ أوجه كثيرة، فهم -إلا من رحم الله- بين جاهل بحقيقة الدين وما دلت عليه كلمة التوحيد، وبين متبع لشيخ طرقي ضالٍّ، وبين مقلِّد أو مُعرض عن دين الله!

فينبغي علينا أن نحث الناس وندعوهم إلىٰ التوحيد إجمالًا وتفصيلًا، ونحذرهم من الشرك إجمالًا وتفصيلًا كذلك، وأقصد بالتفصيل: ذكر آحاد التوحيد وآحاد الشرك حتىٰ يعلمها الناس.

قال: «والتحريض علىٰ ذلك، والموالاة فيه»؛ أي: الموالاة في عبادة الله تعالىٰ وحده، وأصل الموالاة: المحبة.

فالمراد هنا: محبة ونصرة هؤلاء الذين يعبدون الله تعالىٰ ويوحِّدونه، وأن نتخذهم أولياء بالمحبة والنصرة والتأييد؛ لأن الله تعالىٰ يحب من يتقرب إليه

بالعبادة والتوحيد، ولذلك قال شيخ الإسلام في تعريف العبادة: «هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة».

فتُبيِّن لهم أن الله تعالىٰ يحب هذه الأفعال والأقوال، ويحب أيضًا مَن جاء بها ومَن فعلها، ومَن تعبَّد لله تعالىٰ بها، فهؤلاء الذين يحبهم الله تعالىٰ ينبغي نحن أن نتقرب إلىٰ الله تعالىٰ بمحبتهم، فنحب هؤلاء لأنهم هم أولياء الله تعالىٰ، وهم «المصطفون»، وهم «المؤمنون»، [والله يحب من يحبُّه ومن يحبُّ رسولَه ومن يحبُّ المؤمنين، ويحبُّ من يتولَّىٰ الله ورسوله والمؤمنين، قال ﷻ]: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة:٥٤-٥٦].

وفي الحديث الصحيح، عن أَبِي هُرَيرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبدًا دَعَا جِبرِيلَ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرضِ، وَإِذَا أَبغَضَ عَبدًا دَعَا جِبرِيلَ، فَيَقُولُ: إِنِّي أُبغِضُ فُلَانًا فَأَبغِضهُ، قَالَ: فَيُبغِضُهُ جِبرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ**

يُبغِضُ فُلَانًا فَأَبغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ البَغضَاءُ فِي الأَرضِ»[١].

وبالمُقَابل: نهىٰ ﷻ عن محبة الكفار وتوليهم، فقال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٧].

فينبغي لنا أن نحب هؤلاء الذين يتقربون إلىٰ الله تعالىٰ بالتوحيد الخالص، الذين يجتنبون الشرك ويخافون منه، فهؤلاء هم أولياء الله تعالىٰ، نحبهم وننصرهم ونؤيدهم، ونكون معهم في كل أحوالهم، وهذا من الإيمان.

ثم قال: «وتكفير من تركه»؛ أي: أن مَن ترك التوحيد والعبادة لله تعالىٰ وحده، والالتزام بهذا الأمر، لابد أن نُكَفِّرَهُ، لابد أن نقول: هذا كافر، **فإن الكفَّار الذين كفَروا بالله تعالىٰ علىٰ أقسام:**

القسم الأول: الكفار الأصليون، وهم الذين لم يدخلوا في دين الإسلام أصلًا، ومنهم: اليهود والنصارىٰ، والشيوعيون، والمجوس، وأشباههم من الوثنيين وعبَّاد القبور، والهندوس، والبوذيين... فهؤلاء كفرة لابد أن نكفِّرهم؛ أي: أن نعتقد أن هؤلاء قد كفروا بالله تعالىٰ، وأنهم ليسوا من أهل التوحيد ولا من أهل الإيمان، فلابد أن نكفِّرهم، وألا نشك في ذلك.

---

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم (٢٦٣٩).

القسم الثاني: من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ثم تلبَّس بناقض من نواقض الإسلام، كالذي يترك العبادة جحودًا، فمثلًا، نقول له: «لِمَ تركت الصلاة؟ لِمَ تركت الصيام؟! فيقول: «أنا أرىٰ أن هذه الصلاة وهذا الصوم ليسا بواجبين»؟!

فهذا يكون قد جحد بركن من أركان الإسلام، وبأمر هو من الواجبات الظاهرة المتواترة، فيكون بذلك قد كفر كفرًا يخرج من الملة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَمَن جَحَدَ وُجُوبَ بَعضِ الوَاجِبَاتِ الظَّاهِرَةِ المُتَوَاتِرَةِ: كَالصَّلَوَاتِ الخَمسِ وَصِيَامِ شَهرِ رَمَضَانَ وَحَجِّ البَيتِ العَتِيقِ، أَو جَحد تَحرِيم بَعضِ المُحَرَّمَاتِ الظَّاهِرَةِ المُتَوَاتِرَةِ: كَالفَوَاحِشِ وَالظُّلمِ وَالخَمرِ وَالمَيسِرِ وَالزِّنَا، وَغَيرِ ذَلِكَ، أَو جَحد حِلّ بَعضِ المُبَاحَاتِ الظَّاهِرَةِ المُتَوَاتِرَةِ: كَالخُبزِ وَاللَّحمِ وَالنِّكَاحِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ مُرتَدٌّ يُستَتَابُ، فَإِن تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ، وَإِن أَضمَرَ ذَلِكَ كَانَ زِندِيقًا مُنَافِقًا، لَا يُستَتَابُ عِندَ أَكثَرِ العُلَمَاءِ؛ بَل يُقتَلُ بِلَا استِتَابَةٍ إِذَا ظَهَرَ ذَلِكَ مِنهُ»(١). انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أو كأن يستحلَّ ما حرَّمه الله استحلالًا عقديًّا ولو لم يعمل به، فهو كافر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقب الموضع السابق: «وَكَذَلِكَ مَن يَستَحِلُّ ذَلِكَ مِن المُردَانِ، وَيَزعُمُ أَنَّ التَّمَتُّعَ بِالنَّظَرِ إِلَيهِم وَمُبَاشَرَتِهِم هُوَ طَرِيقٌ لِبَعضِ السَّالِكِينَ، حَتَّىٰ يَتَرَقَّىٰ مِن مَحَبَّةِ المَخلُوقِ إِلَىٰ مَحَبَّةِ الخَالِقِ، وَيَأمُرُونَ

(١) «مجموع الفتاوىٰ» [(م١١/ ٤٠٥-٤٠٦) طبعة مجمع الملك فهد].

بِمُقَدِّمَاتِ الفَاحِشَةِ الكُبَرَىٰ، وَقَد يَستَحِلُّونَ الفَاحِشَةَ الكُبرَىٰ، كَمَا يَستَحِلُّهَا مَن يَقُولُ: إنَّ التلوط مُبَاحٌ بِمِلكِ اليَمِينِ. فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُم كُفَّارٌ بِاتِّفَاقِ المُسلِمِينَ، وَهُم بِمَنزِلَةِ مَن يَستَحِلُّ قَتلَ المُسلِمِينَ بِغَيرِ حَقٍّ، وَيَسبِي حَرِيمَهُم، وَيَغنَمُ أَموَالَهُم، وَغَير ذَلِكَ مِن المُحَرَّمَاتِ الَّتِي يُعلَمُ أَنَّهَا مِن المُحَرَّمَاتِ تَحرِيمًا ظَاهِرًا مُتَوَاتِرًا»[(١)].

وسيأتي مزيد بيان لأنواع الكفر، وما ينقض الإسلام في الأبواب القادمة إن شاء الله تعالىٰ.

فالواجب علينا أن نعتقد كفر هؤلاء، وأن نُكَفِّرهم، وأن نبغضهم، ونتركهم، ونبتعد عنهم، ونتقرب إلىٰ الله تعالىٰ ببغضهم.

ومع ذلك، فهذا لا يعني تركهم وعدم دعوتهم، بل ندعوهم إلىٰ الله تعالىٰ، ونبين لهم، ونغتنم الفرص في الدعوة بينهم، حتىٰ يعودوا إلىٰ حظيرة الإسلام، أو يؤمنوا بالله إن كانوا كفارًا أصليين.

وبهذا تعلم خطأ بعض العوام اليوم في هذا الزمان، فتجد من الناس من يقول لك: «أنا لا يعنيني أمر هذا الكافر، عَبَدَ اللهَ أم لم يعبده، ليس لي شأن به؟!».

فنقول: لا، هذا لا يجوز، ينبغي وجوبًا عليك أن تكفِّر هذا الكافر، وأن تبغض هذا العمل الذي يعمله؛ لأن من لم يكفِّر الكافر فهو كافر، كما سيأتي معنا بعد ذلك إن شاء الله.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الثاني**: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك،

(١) المرجع السابق نفسه.

والمعاداة فيه، وتكفيره من فعله».

الإنذار، هو التحذير والتخويف، وأمر الإنذار في الشرع مقدم؛ لأن أول ما بدأ بهﷺ هو النذارة من الشرك وأهله.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤].

عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ حِينَ أُنزِلَ عَلَيهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾: «**يَا مَعشَرَ قُرَيشٍ، اشتَرُوا أَنفُسَكُم مِنَ اللهِ، لَا أُغنِي عَنكُم مِنَ اللهِ شَيئًا، يَا بَنِي عَبدِ المُطَّلِبِ، لَا أُغنِي عَنكُم مِنَ اللهِ شَيئًا، يَا عَبَّاسَ بنَ عَبدِ المُطَّلِبِ، لَا أُغنِي عَنكَ مِنَ اللهِ شَيئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ، لَا أُغنِي عَنكِ مِنَ اللهِ شَيئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنتَ رَسُولِ اللهِ، سَلِينِي بِمَا شِئتِ، لَا أُغنِي عَنكِ مِنَ اللهِ شَيئًا**»(١).

وعَن ابنِ عَبَّاسٍ ﷺ: «أَنَّ النَّبِيَّﷺ خَرَجَ إِلَىٰ البَطحَاءِ، فَصَعِدَ إِلَىٰ الجَبَلِ، فَنَادَىٰ: **يَا صَبَاحَاه!** فَاجتَمَعَت إِلَيهِ قُرَيشٌ، فَقَالَ: **أَرَأَيتُم إِن حَدَّثتُكُم أَنَّ العَدُوَّ مُصَبِّحُكُم أَو مُمَسِّيكُم أَكُنتُم تُصَدِّقُونِي؟**، قَالُوا: نَعَم، قَالَ: **فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُم بَينَ يَدَي عَذَابٍ شَدِيدٍ.**

فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: أَلِهَذَا جَمَعتَنَا؟ تَبًّا لَكَ، فَأَنزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:١] إِلَىٰ آخِرِهَا»(٢).

فبدأهم الرسولﷺ بالإنذار، وخوفهم وحذَّرهم من هذا الكفر الذي وقعوا

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم (٢٠٩).

(٢) «صحيح البخاري» (٤٩٧٢).

فيه؛ لأنه إذا حذرهم من هذا الكفر ومن هذا الشرك، قالوا: ما الذي تريد أن نفعل؟ فيدعوهم آنذاك إلىٰ توحيد الله تعالىٰ، وهكذا قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر:١-٥].

ابدأ بالنذارة من الكفر ومن الشرك، والتحذير من هذا الأمر الخطير، ثم بعد ذلك الدعوة إلىٰ التوحيد، وهكذا.

ومن نظر وتمعن في معنىٰ كلمة «لا إله إلا الله»، سيلاحظ أن هذه الكلمة بدأت بالنفي «لا إله» بمعنىٰ نفي الألوهية، كل أنواع الألوهية، ثم إثبات الألوهية لله تعالىٰ وحده «إلا الله».

وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦]، فبدأ بالكفر بالطاغوت، ثم ثنَّىٰ بالإيمان بالله تعالىٰ.

والشِّرك: هو أن تجعل لله شريكًا فيما اختص الله تعالىٰ به نفسه، وأن تجعل له ندًّا، وهذا هو أعظم الذنوب علىٰ وجه الأرض.

عن عَبدِ اللهِ بن مَسعُودٍ ﷺ قالَ: «قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الذَّنبِ أَكبَرُ عِندَ اللهِ؟ قَالَ: **أَن تَدعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**. قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **أَن تَقتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ، أَن يَطعَمَ مَعَكَ**. قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **أَن تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**.

فَأَنزَلَ اللهُ ﷻ تَصدِيقَهَا: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان:٦٨]».

والشرك الأكبر ضرره وبيل علىٰ من وقع فيه؛ لأن مآل صاحبه إذا مات عليه، أن يَئُولَ إلىٰ جهنَّم خالدًا فيها مُخَلدًا، وهو مَحرُوم من رحمة الله تعالىٰ من دخول الجنة حرمانًا أبديًّا، فصاحب الشرك هذا مَبغُوض، يبغضه الله تعالىٰ، ولهذا ينبغي للمؤمن أيضًا أن يبغض الشرك وأهله، ولابد من التغليظ والإنذار بالشرك، وتكرار ذلك، فكما أننا نكرر في أمر التوحيد وندعو إليه، فكذلك نحذر من الشرك، ونكرر هذا التحذير، في كل مجلس وفي كل موضع.

قال: «والتغليظ في ذلك»؛ أي: التكرار في هذا الأمر[(١)].

ثم قال: «والمعاداة فيه وتكفيره من فعله»؛ أي: نُعَادي من فعل هذا الشرك، ونخاصمه، ونهجره هجرًا شرعيًّا، إلا بالدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، والتحذير مما هو فيه، فإن لم ينتصح ويلتزم بما ذكرنا آنفًا، فإننا نبغضه في الله تعالىٰ، يعني: لا نتقرب إليه بالمودة والمحبة، وإنما نبغضه في الله تعالىٰ، ونتقرب إلىٰ الله تعالىٰ ببغض هذا الكافر، ونكفره ونعلن بذلك[(٢)]، ويكون تكفيرنا له، تكفيرًا

---

(١) «وهذا موجود في الكتاب والسنة، كقوله تعالىٰ: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].
ولولا التغليظ لما جرىٰ علىٰ النبيﷺ وأصحابه من قريش ما جرىٰ، من الأذىٰ العظيم، كما هو مذكور في السير مفصلًا، فإنه بادَأَهُم بسبِّ دينهم وعيب آلهتهم». [«الدرر السنية في الأجوبة النجدية» جمع: عبد الرحمن بن محمد القاسم (٢/ ٢٠٥)].

(٢) «كما قال تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ ﴾ [التوبة:٥].
والآيات في هذا كثيرة جدًّا، كقوله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾ [الأنفال:٣٩]. والفتنة: الشرك.

=

جازمًا لا تردد فيه، ولا شك، ولا ريب.

* فائدة:

بعد شرح كلام شيخ الإسلام الآنف الذِّكر، عقَّب الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ بكلام مهم نسوقه بنصه:

قال -رحم الله الجميع-: «بقي مسألة حدثت، تكلم بها شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو: عدم تكفير المعين ابتداء، لسبب ذكره -رحمه الله تعالىٰ-، أوجب له التوقف في تكفيره قبل إقامة الحجة عليه، قال -رحمه الله تعالىٰ-: ونحن نعلم بالضرورة، أن النبي لم يشرع لأحد أن يدعو أحدًا من الأموات، لا الأنبياء، ولا الصالحين، ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة، ولا بغيرها؛ كما أنه

=

ووسم تعالىٰ أهل الشرك بالكفر فيما لا يُحصَىٰ من الآيات، فلا بد من تكفيرهم أيضًا، وهذا هو مقتضىٰ (لا إله إلا الله)، كلمة الإخلاص؛ فلا يتم معناها إلا بتكفير من جعل لله شريكًا في عبادته، كما في الحديث الصحيح: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفَر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه علىٰ الله**» [مسلم: الإيمان (٢٣)، وأحمد (٣/ ٤٧٢، ٦/ ٣٩٤)].

فقوله: «**وكفر بمَا يُعبد من دون الله**»: تأكيد للنفي، فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك، فلو شك أو تردد، لم يعصم دمه وماله.

فهذه الأمور هي تمام التوحيد؛ لأن (لا إله إلا الله) قيدت في الأحاديث بقيود ثقال: بالعلم، والإخلاص، والصدق، واليقين، وعدم الشك؛ فلا يكون المرء موحدًا إلا باجتماع هذا كله، واعتقاده، وقَبوله، ومحبته، والمعاداة فيه، والموالاة، فبمجموع ما ذكره شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ، يحصل ذلك». [«الدرر السنية في الأجوبة النجدية» جمع: عبد الرحمن بن محمد القاسم (٢/ ٢٠٥-٢٠٦)].

لم يشرع لأمته السجود لميت، ولا إلىٰ ميت، ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهىٰ عن هذه الأمور كلها، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، ولكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين، لم يمكن تكفيرهم بذلك حتىٰ يبين ما جاء به الرسول مما يخالفه. انتهىٰ.

قلت: فذكر -رحمه الله تعالىٰ- ما أوجب له عدم إطلاق الكفر عليهم، علىٰ التعيين خاصة، إلا بعد البيان والإصرار، فإنه قد صار أمة وحده؛ لأن من العلماء من كفَّره بنهيه لهم عن الشرك في العبادة، فلا يمكن أن يعاملهم بمثل ما قال، كما جرىٰ لشيخنا محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ- في ابتداء دعوته، فإنه إذا سمعهم يدعون زيدًا بن الخطاب، قال: الله خير من زيد، تمرينًا لهم علىٰ نفي الشرك، بلين الكلام، نظرًا إلىٰ المصلحة، وعدم النفرة. والله سبحانه أعلم، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم»[1].

وقال الإمام حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بعد كلام متين في الفرق بين قيام الحجة من جهة بلوغها أو فهمها، ما نصه: «إذا تقرر هذا، فنقول: إن هؤلاء الذين ماتوا قبل ظهور هذه الدعوة الإسلامية، وظاهر حالهم الشرك، لا نتعرض لهم، ولا نحكم بكفرهم ولا بإسلامهم؛ بل نقول: من بلغته هذه الدعوة المحمدية، وانقاد لها، ووحَّد الله، وعبده وحده لا شريك له، والتزم شرائع الإسلام، وعمل بما أمره الله به، وتجنب ما نهاه عنه، فهذا من المسلمين الموعودين بالجنة، في كل زمان وفي كل مكان.

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» جمع: عبد الرحمن بن محمد القاسم (٢/ ٢١٠-٢١١).

وأما من كانت حاله حال أهل الجاهلية، لا يعرف التوحيد الذي بعث الله رسوله يدعو إليه، ولا الشرك الذي بعث الله رسوله ينهىٰ عنه، ويقاتل عليه، فهذا لا يقال إنه مسلم لجهله؛ بل من كان ظاهر عمله الشرك بالله، فظاهره الكفر، فلا يُستغفر له ولا يُتصدق عنه، ونكل حاله إلىٰ الله الذي يبلو السرائر، ويعلم ما تخفي الصدور.

ولا نقول: فلان مات كافرًا؛ لأنا نفرق بين المعيَّن وغيره، فلا نحكم علىٰ معين بكفر؛ لأنا لا نعلم حقيقة حاله وباطن أمره؛ بل نكل ذلك إلىٰ الله.

ولا نَسُب الأموات؛ بل نقول: أفضوا إلىٰ ما قدموا. وليس هذا من الدين الذي أمرنا الله به؛ بل الذي أمرنا به أن نعبد الله وحده ولا نشرك به، ونقاتل من أبىٰ عن ذلك، بعدما ندعوه إلىٰ ما دعاه إليه رسول الله ﷺ؛ فإن أصر وعاند كفَّرناه وقاتلناه.

فينبغي للطالب أن يفهم الفرق بين المعين وغيره؛ فنُكَفِّر من دان بغير الإسلام جملة، ولا نحكم علىٰ معين بالنار، ونلعن الظالمين جملة، ولا نخص معينًا بلعنة، كما قد ورد في الأحاديث من لعن السارق، وشارب الخمر؛ فنلعن من لعنه الله ورسول الله ﷺ جملة، ولا نخص شخصًا بلعنة؛ يبين ذلك أن رسول الله ﷺ لعن شارب الخمر جملة، ولما جلد رجلًا قد شرب الخمر، قال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يُؤتىٰ به إلىٰ النبي ﷺ؛ فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله؟**»[1].

---

(١) «النبذة الشريفة النفيسة في الرد علىٰ القبوريين»، طبعة دار الفرقان، بتحقيق: الشيخ ابن برجس رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



شروط لا إله إلا الله

الأول: العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا.

الثاني: اليقين: وهو كمال العلم بها، المنافي للشك والريب.

الثالث: الإخلاص: المنافي للشرك.

الرابع: الصدق: المنافي للكذب، المانع من النفاق.

الخامس: المحبة: لهذه الكلمة ولما دلت عليه، والسرور بذلك.

السادس: الانقياد بحقوقها: وهي الأعمال الواجبة إخلاصًا لله وطلبًا لمرضاته.

السابع: القبول: المنافي للرد.



الشرح

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شروط لا إله إلا الله».

نقول -بتوفيق الله-: قد جمع العلماءُ -علماءُ أهل السُّنة والجماعة-شروطَ لا إله إلا الله، فمنهم من جعلها سبعة شروط، ومنهم من جعلها ثمانية، وآخرون جعلوها تسعة، ومنهم من جعلها عشرة[١].

(١) **مسألة:** اعترض بعض الناس علىٰ هذه الشروط بما حاصله:

=

=

- أن هذه الشروط أول من تكلم بها الشيخ عبد الرحمن بن حسن.

- أن حصر شروط (لا إله إلا الله) في سبع فيه نظر... إلىٰ آخر ما قرره.

فأجاب الشيخ عبيد الجابري -وفقه الله- قائلًا: «والجواب عن هذا الاعتراض، والذي يحق أن يسمىٰ شبهة من أوجه:

أحدها: أن الإمام الشيخ عبد الرحمن بن حسن لم يكن هو أول من ذكرها، بل هذه الشروط معلومة عند أهل العلم بالاستقراء الصحيح من كلام الأقدمين، وما صنعه الشيخ عبد الرحمن هو جمعها وتجريد الكلام عليها بالأدلة، وهذه سُنة متبعة لدىٰ أهل العلم.

علىٰ سبيل المثال: علم أصول الفقه كان مفرقًا يتكلم فيه الصحابة، والأئمة بعدهم، حتىٰ جاء الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجمع هذا العلم وجرَّد الكلام عليه وألف فيه كتابًا معروفًا «الرسالة»، ثم تتابع بعد التصنيف في هذا الفن شعرًا ونثرًا، فلا غرابة ولا عجبَ أن يجرد الشيخ عبد الرحمن الكلام علىٰ شروط «لا إله إلا الله»، ويجمعه في مصنف مدعمًا صنيعه بالدليل من الكتاب والسنة.

ثانيها: لم يكن من علمائنا اعتراض علىٰ تدوين أبي الحسن الشيخ عبد الرحمن هذه الشروط قبل هذا المعاصر، بل تلقوها بالقَبول ونشروها وشرحوها، ومنهم من نظمها مختصرًا، ومنهم من نظمها وشرح نظمه لها، يشير إلىٰ كتاب كذا ومن ذلك البيت وشرحها.

وثالثًا: يقال لصاحب الاعتراض: لا منافاة بين عدها سبعة أو ثمانية أو تسعة؛ وذلك لأن قصرها علىٰ السبعة علىٰ سبيل الاختصار، وما زيد علىٰ ذلك علىٰ سبيل البسط، أو يقال: ما زيد علىٰ السبعة هو داخل فيها، وعلىٰ سبيل المثال: الكفر بما يُعبَد من دون الله داخل في شرط «الإخلاص المنافي للشرك».

ورابعًا: نطلب من هذا المعترض أن يزيد علىٰ هذه الشروط ما شاء بشرط (أن يكون مأخذه موافقًا مأخذ الشيخ عبد الرحمن)، فإن أتىٰ بذلك قبلناه منه، وإلا وجب عليه سحب اعتراضه هذا، وقبول ما قبله العلماء وقرروه حيال هذه الشروط».اهـ [«تيسير الإله بشرح أدلة لا إله إلا الله» (٧٢-٧٣)، دار الميراث النبوي (١٤٣٣هـ / ط٢) الطبعة الشرعية الوحيدة].

قلت: وما ذكره الشيخ من نسبة هذه الشروط وجمعها وتجريد الكلام عليها إلىٰ سليل بيت

=

فمثلًا الحافظ الحكمي: جعلها سبعة شروط، كما هو مثبت في نظمه «سلم الوصول إلىٰ علم الأصول»، حيث يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَبِشُرُوطٍ سَبعَةٍ قَد قُيِّدَت ... وَفِي نُصُوصِ الوَحيِ حَقًّا وَرَدَت
فَإِنَّهُ لَم يَنتَفِع قَائِلُهَا ... بِالنُّطقِ إِلَّا حَيثُ يَستَكمِلُهَا
العِلمُ وَاليَقِينُ وَالقَبُولُ ... وَالانقِيَادُ فَادرِ مَا أَقُولُ
وَالصِّدقُ وَالإِخلَاصُ والمَحبَّهْ ... وَفَّقَكَ اللهُ لِمَا أَحَبَّهْ

وأما الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالىٰ- وأسكنه فسيح جناته، فقد جعلها ثمانية، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته «الدروس المهمة»: «وأما شروط (لا إله إلا الله) فهي: العلم المنافي للجهل، واليقين المنافي للشك، والإخلاص المنافي للشرك، والصدق المنافي للكذب، والمحبة المنافية للبغض، والانقياد المنافي للترك، والقبول المنافي للرد، والكفر بما يعبد من دون الله».اهـ.

وقد جُمِعت في البيتين الآتيين:

=

العلم، الشيخ المحقق عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ثابت صحيح، ومن أراد الاطلاع فليرجع إلىٰ كتابه العجيب «فتح المجيد» (١/ ١٩٠)، وإلىٰ كتابه الآخر «قرة عيون الموحدين»، وستأتي بعض النقول من هذا الأخير التي جمعت دررًا من أقواله في بيان أهمية هذه الشروط.

وممن أيضًا رأيته أشار إلىٰ بعض من شروطها من المتقدمين، الإمام ابن القيم في كلام نفيس تحت تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

علـم يقين وإخلاص وصدقك مع ... محـبة وانقـياد والقـبـول لهـا
وزيـد ثامـنها الكفـران مـنك بمـا ... سـوىٰ الإلـه مـن الأشـياء قـد ألهـا

والذين جعلوها تسعة، زادوا عليها: «النطق باللسان».

ومن جعلها عشرة، زاد: «الموت علىٰ ذلك»؛ أي: الموت علىٰ شهادة أن لا إله إلا الله.

ونشرع بإذن الله تعالىٰ في شرح هذه الشروط بما تيسر لنا:

أولًا: ينبغي أن نعلم أن هذه الشروط لم تأتِ في حديث صريح عن النبي ﷺ، وإنما تم استنباطها من قِبَل العلماء، من كتاب الله، ومن سُنة نبيه ﷺ.

فاستنبطوا هذه الشروط من أدلة الكتاب، ومن أدلة السُّنة، كما استنبط العلماء شروط الصلاة، وشروط الحج، وشروط الصيام، كل هذه مستنبطة من أصول الدين، وهما الكتاب والسنة.

فلذلك ينبغي أن نعلم أن شروط (لا إله إلا الله) مستنبطة من أدلة الكتاب والسُّنة ليعلمها الناس.

فهي حقيقة شرعية مأخوذة بالتتبع والاستقراء التام لنصوص الكتاب والسُّنة[(١)].

---

(١) والاستقراء التام حجة بلا خلاف، كما ذكر ذلك الإمام الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «أضواء البيان».
حيث يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَد تَقرَّرَ فِي الأُصُولِ أَنَّ الِاستِقرَاءَ التَّامَّ حُجَّةٌ بِلَا خِلَافٍ، وَغَيرُ التَّامِّ المَعرُوفُ بِـ«إِلحَاقِ الفَردِ بِالأَغلَبِ» حُجَّةٌ ظَنِّيَّةٌ، كَمَا عَقَدَهُ فِي مَرَاقِي السُّعُودِ فِي كِتَابِ «الِاستِدلَالِ»
=

قيل لوهب بن منبه -رحمه الله تعالىٰ-: «أليس لا إله إلا الله مِفتاح الجنة؟ قال: بلىٰ، ولكن ليس من مِفتاح إلا له أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فُتِح لك، وإلا لم يُفتح لك»(١).

وهو يشير بذلك إلىٰ شروط (لا إله إلا الله) وقيودها الواردة في كتاب الله، وسُنة نبيه ﷺ.

فإن قال قائلٌ: إن مجرد النطق بـ(لا إله إلا الله) ينفع، وأنها تقبل بدون ضوابط وبدون شروط؟!

نقول له: معنىٰ ذلك: أن قول المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون:١]، أن ذلك ينفعهم؟!

وكذلك قوله تعالىٰ فيهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ [البقرة:١٤]؟! هل ينفعهم ذلك القول؟!

الجواب: لا، لا ينفعهم ذلك، ولذلك رد الله عليهم هذه الشهادة بقوله ﷻ:

=

بِقولِهِ [الرَّجَزُ]:

وَمِنهُ الِاستِقرَاءُ بِالجُزئِيِّ عَلَىٰ ثُبُوتِ الحُكمِ لِلكُلِّيِّ
فَإِن يَعُمَّ غَيرَ ذِي الشِّقَاقِ فَهُوَ حُجَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ
وَهُوَ فِي البَعضِ إِلَىٰ الظَّنِّ انتَسَب يُسَمَّىٰ لُحُوقَ الفَردِ بِالَّذِي غَلَب»

[طبعة دار عالم الفوائد (٢/ ٧)، وانظر أيضًا (٥/ ٣٥٦)، من الكتاب نفسه].

(١) وهذا الأثر ذكره البخاري في «صحيحه» في «باب الجنائز، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله»، ووصله أيضًا في «التاريخ الكبير»، وذكره أبو نعيم في «الحلية».

﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

وتوعَّدهم ﷻ بأشد العذاب يوم القيامة، فقَال تعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

فكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) لابد لقائلها من تحقيق شروطها وضوابطها المستمدة من كتاب الله، ومن سُنة رسول الله ﷺ.

فليس كل من قال: «لا إله إلا الله» يكون مسلمًا، بل لابد لمن قالها أن يعلم معناها الذي دلت عليه، وأن يأتي بشروطها، وأن يلتزم بها وبمقتضاها، وكلما كمُل حظه ونصيبه من هذه الكلمة كلما عَلَت مرتبته ودرجته عند الله ﷻ .

وعلىٰ العكس من ذلك، كلما قلَّ علم العبد بهذه الكلمة، ونصيبه منها كلما كان أقرب للهلاك والضياع(١).

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنىٰ هذه الكلمة: نفي الإلهية عن كل شيء سوىٰ ما استثني بها،... لكن هذه الكلمة العظيمة لا يحصل رجحانها إلا في حق من أتىٰ بقيودها التي قيدت بها في الكتاب والسنة، وقد ذكر تعالىٰ في سورة براءة وغيرها كثيرًا ممن يقولها ولم ينفعهم قولها، كحال أهل الكتاب والمنافقين علىٰ كثرتهم وتنوعهم في نفاقهم، فلم تنفعهم مع ما قام بهم من ترك تلك القيود.

فمنهم: من يقولها جاهلًا بما وُضِعت له، وبما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه، والصدق والإخلاص وغيرها، كعدم القَبول ممن دعا إليها علمًا وعملًا، وترك الانقياد بالعمل بما تقتضيه، كحال أكثر من يقولها قديمًا وحديثًا، ولكن في أواخر هذه الأمة أكثر.

ومنهم: من يمنعه من محبتها والعمل بها ما قام بقلبه من كِبرٍ أو هَوىٰ، أو غير ذلك من الأسباب، وهي كثيرة، منها قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ﴾ إلىٰ ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

=

وجاء عن الحسن البصري -رحمه الله تعالىٰ- أنه قيل له: «إن أُناسًا يقولون: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة. فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدىٰ حقها وفرضها دخل الجنة».

فعُلِم من ذلك: أن لهذه الكلمة، كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» شروطًا وفرائضَ وحقوقًا ينبغي للإنسان أن يعمل بها فيدخل الجنة برضوان الله تعالىٰ، ويكون من أهل الإيمان والإسلام.

ثم أخذ المؤلف في سرد هذه الشروط، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الأول**: العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا».

=

وأما أهل الإيمان الخُلَّص فهم الذين أتوا بهذه الكلمة، واجتمعت لهم قيودها التي قُيِّدت بها، علمًا ويقينًا، وصدقًا وإخلاصًا، ومحبة وقبولًا وانقيادًا، وعادَوا في الله، ووالَوا فيه، وأحبوا فيه، وأبغضوا فيه. وقد ذكرهم تعالىٰ في مواضع من سورة براءة وغيرها، وخصهم بالثناء عليهم، والعفو عنهم، وأعد لهم جنته، وأنجاهم من النار، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٧١].

وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠].

وغير هذه من الآيات في الثناء عليهم، وما أعد لهم في الدار الآخرة، فهؤلاء ومن اتبعهم بإحسان هم أهل «لا إله إلا الله».

فمن تدبَّر القرآن، وعرف تفاوت الخلق في محبة ربهم وتوحيده، والعمل بطاعته، والهرب من معصيته، وإيثار ما يحبه تعالىٰ رغبة وعملًا، وترك ما يكرهه خشية ورجاء، واعتبر الناس بأحوالهم، وأقوالهم، وأعمالهم، ونياتهم، وإراداتهم، وما هم عليه من التفاوت البعيد: تبين له خطأ المغرورين». [«قرة عيون الموحدين» (٣٩-٤٠)، طبعة دار المغني].

هذا هو الشرط الأول، وهو العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا؛ أي: أن الإنسان ينبغي أن يعلم معنىٰ «لا إله إلا الله» وما دلَّت عليه.

أولًا: هذه الكلمة -كلمةُ «لا إله إلا الله»-، مكوَّنة من ركنين: الركن الأول: «لا إله» وهذا نفي، والركن الثاني: «إلا الله» وهذا إثبات، فينبغي علىٰ المسلم أن يعلم: ما معنىٰ هذا النفي، وما معنىٰ هذا الإثبات.

فقولنا: «لا إله»؛ أي: «لا إله حقٌّ»، أي: أنَّ كلَّ الآلهة التي تُعبد من دون الله هي آلهة باطلة.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج:٦٢].

فالنفي هنا هو نفيٌ لكل الآلهة، نفيٌ أولًا لجميع الألوهيات الباطلة.

وقولنا: «إلا الله»، هذا إثبات بعد هذا النفي، إثبات للألوهية الحقة لله عَزَّ وَجَلَّ، فنُثبِتُ الألوهية لله وحده.

و«الإله» هو المعبود، فيكون بذلك معنىٰ «لا إله إلا الله»: لا معبود إلا الله.

لكن اعترض بعضهم علىٰ هذا التعريف بأنه لا يطابق الواقع، وحجتهم في ذلك، أنه قد ثبت بنص الكتاب والسُّنة أن هناك معبودات اتخذها الناس آلهة من دون الله؟!

فلذلك قال العلماء: إن معنىٰ «لا إله إلا الله» هو: «لا معبود بحقٍّ إلا الله»، فأضافوا كلمة «بحق»، فعبادة غير الله تعالىٰ وإن كانت موجودة، فإنما هي عبادة

باطلة، فكأنها ليست موجودة.

وعليه، فمن قال بأن معنىٰ «لا إله إلا الله» هو: «لا معبود إلا الله» قد أصاب، ولكن إن قلنا: بأن معنىٰ «لا إله إلا الله» هو: «لا معبود بحقٍّ إلا الله» اكتمل المعنىٰ، ولا أحد له حجة بعد ذلك في الاعتراض علىٰ هذا التفسير.

إذن، فالواجب علىٰ من نطق بهذه الكلمة، أن يعلم معنىٰ ما دلت عليه من النفي والإثبات، وإلا فإن من قال: «لا إله إلا الله» وهو لا يعلم معناها، فهذا لا يكون إيمانه صحيحًا، ولا يكون فهمه لهذه الكلمة مطابقًا لِمَا دلت عليه، فلابد أن ينطق بهذه الكلمة عالمًا ومدركًا لِمَا دلت عليه.

وهذا بخلاف ما يقوله كثير من الجهلة أن معناها: «لا خالق ولا رازق ولا مالك ولا محيي ولا مميت إلا الله»، فيقفون عند هذا المعنىٰ، وهذا التعريف هو مطابق لتوحيد الربوبية فقط، والذي يدل بالالتزام علىٰ توحيد الألوهية.

فمن اقتصر علىٰ هذا التعريف لم يعلم حقيقة معنىٰ «لا إله إلا الله»، المعنىٰ الشرعي الصحيح الذي يُدخله الإسلام، وهو جاهل جهلًا مركبًا، ولهذا قالوا في بيان هذا الشرط: «العلم المنافي للجهل»، فالجهل ضد العلم، والجهل هو تبين المعلوم علىٰ خلاف ما هو به[١]، وهو نوعان: جهل بسيط، وجهل مركب.

فالمركب: هو إدراك الشيء إدراكًا يخالف عما هو عليه في الواقع.

والبسيط: هو عدم العلم بالشيء.

---

(١) «العدة في أصول الفقه».

مشركو قريش في ذلك الزمان حين مبعث النبي -عليه الصلاة والسلام-، كانوا يعلمون معنىٰ «لا إله إلا الله»، ولذلك لما أمرهم الرسول -عليه الصلاة والسلام- أن يقولوا: «لا إله إلا الله» استكبروا، وقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥]؟

فهم كانوا يعبدون أصنامًا وأحجارًا وأشجارًا، فلما أمرهم بهذه الكلمة العظيمة قالوا: نَفَىٰ هذه الآلهة كلها وجعلها إلهًا واحدًا؟! فعرفوا أن الأمر فيه نفيٌ لكل الآلهة إلا إلهًا واحدًا، من هو؟ هو رب العالمين وخالقهم ورازقهم ومدبرهم الذي ينبغي التوجه بالعبادة له وحده، فأبوا واستكبروا.

إذن، لابد من معرفة معنىٰ «لا إله إلا الله»، معنًى وعلمًا ينافي الجهل؛ أي: علمًا صحيحًا وفهمًا قويمًا لهذه الكلمة، يخرج بها من سبيل الجهلة والجاهلين، وأما إن كان النطق بها بلا علم ولا معنىٰ لمدلولها، فإنها لا تنفع قائلها(١).

(١) وهذا الجهل بهذا المعنىٰ أدىٰ بطائفة من الذين ينطقون بهذه الكلمة، أن يقعوا فيما ينقضها، بل إن بعض أهل العلم وصفهم بأنهم أجهل من مشركي قريش في زمان الرسول ﷺ.

يقول الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ واصفًا حال أهل زمانه حين جهلوا معنىٰ هذه الكلمة:

«وقد وقع الأكثر من متأخري هذه الأمة في هذا الشرك، الذي هو أعظم المحرمات، كما وقع في الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ، عبدوا القبور والمشاهد والأشجار والأحجار والطواغيت والجن، كما عبد أولئك اللات، والعزىٰ، ومناة، وهُبل، وغيرها من الأصنام والأوثان، واتخذوا هذا الشرك دينًا، ونفروا إذا دُعوا إلىٰ التوحيد أشد نفرة، واشتد غضبهم لمعبوداتهم، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر:٤٥].

=

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الثاني**: اليقين: وهو كمال العلم بها، المنافي للشك والريب».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اليقين، وهو كمال العلم بها»، اليقين هو كمال العلم الذي يحصل به تأكيد، ولا يكون في ذلك شك أو ظن، أو ريب، أو تردد، إنما يكون يقينًا.

بل هناك علم ويقينٌ جازم، فينطق بها قائلُها وهو موقنٌ بما دلت عليه من العلم، مع انتفاء ضد هذا العلم وهو الجهل، الذي يكون معه التردد والشك والارتياب.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ حقيقةً، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إيمانًا جازمًا، ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات:١٥]، ولم يَشُكُّوا.

=

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء:٤٦].

وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦].

علموا أن «لا إله إلا الله» تنفي الشرك الذي وقعوا فيه، وأنكروا التوحيد الذي دلت عليه «لا إله إلا الله»، فصار أولئك المشركون أعلم بمعنىٰ هذه الكلمة «لا إله إلا الله» من أكثر متأخري هذه الأمة، لاسيما أهل العلم منهم الذين لهم دراية في بعض الأحكام وعلم الكلام، فجهلوا توحيد العبادة، فوقعوا في الشرك المنافي له وزينوه، وجهلوا توحيد الأسماء والصفات وأنكروه، فوقعوا في نفيه أيضًا، وصنفوا فيه الكتب لاعتقادهم أن ذلك حق، وهو باطل.

وقد اشتدت غربة الإسلام حتىٰ عاد المعروفُ منكرًا، والمنكرُ معروفًا، فنشأ علىٰ هذا الصغير، وهرم عليه الكبير، وقد قال النبي ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**». اهـ.

[«قرة عيون الموحدين» (ص٢١)].

فـ«شرط تعالىٰ في الإيمان عدم الريب؛ أي: الشك؛ لأن الإيمان النافع هو الجزم اليقيني بما أمر الله بالإيمان به، الذي لا يعتريه شك بوجه من الوجوه»[(١)].

الشاعر أبو العلاء المعري الشكاك، ماذا قال في قصيدته؟! قال:

قَالَ المُنَجِّمُ وَالطَّبِيبُ كِلَاهُمَا ... لَا تُبعَثُ الأَجسَادُ قُلتُ إِلَيكُمَا

إِن صَحَّ قَولُكُمَا فَلَستُ بِخَاسِرٍ ... أَو صَحَّ قَولِي فَالخَسَارُ عَلَيكُمَا

يعني: هو يقول: إن البعث كائن، لكن عنده شكٌّ في ذلك، فيقول: إن صحَّ كلامكما فأنا لم أخسر شيئًا، وإن لم يصح كلامكما فأنتما الخاسران.

انظر إلىٰ هذا الشكاك في البعث؟! فهل مثل هذا يصدق عليه أنه مؤمن؟ لا، هذا ليس بمؤمن[(٢)].

وقوله: «المنافي للشك والريب»، الشك والريب مترادفان.

---

(١) «تفسير ابن سعدي» [مجموع مؤلفاته (٢/ ١٠١٣)، طبعة أوقاف قطر].

(٢) يقول ابن القيم في كتابه «مدارج السالكين»: «يَعنِي: أَنَّ العَامَّةَ اعتَصَمُوا بِالخَبَرِ الوَارِدِ عَنِ اللهِ، استِسلَامًا مِن غَيرِ مُنَازَعَةٍ، بَل إِيمَانًا وَاستِسلَامًا، وَانقَادُوا إِلَىٰ تَعظِيمِ الأَمرِ وَالنَّهيِ وَالإِذعَانِ لَهُمَا، وَالتَّصدِيقِ بِالوَعدِ وَالوَعِيدِ، وَأَسَّسُوا مُعَامَلَتَهُم عَلَىٰ اليَقِينِ، لَا عَلَىٰ الشَّكِّ وَالتَّرَدُّدِ، وَسُلُوكِ طَرِيقَةِ الِاحتِيَاطِ، كَمَا قَالَ القَائِلُ:

زَعَمَ المُنَجِّمُ وَالطَّبِيبُ كِلَاهُمَا ... لَا تُبعَثُ الأَجسَادُ قُلتُ إِلَيكُمَا

إِن صَحَّ قَولُكُمَا فَلَستُ بِخَاسِرٍ ... أَو صَحَّ قَولِي فَالخَسَارُ عَلَيكُمَا

فهذه طَرِيقُ أَهلِ الرَّيبِ وَالشَّكِّ يَقُومُونَ بِالأَمرِ وَالنَّهيِ احتِيَاطًا، وَهَذِهِ الطَّرِيقُ لَا تُنجِي مِن عَذَابِ اللهِ، وَلَا تُحَصِّلُ لِصَاحِبِهَا السَّعَادَةَ، وَلَا تُوصِلُهُ إِلَىٰ المَأمَنِ».اهـ [(٢/ ١١٩١)، طبعة دار الصميعي].

والشك -كما يقول علماء الأصول-: «تجويز أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر»[(١)].

وهذا لا ينبغي أن يقوم بقلب من نطق بهذه الكلمةِ -كلمة «لا إله إلا الله»- يريد بها وجه الله.

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الثالث**: الإخلاص المنافي للشرك».

الإخلاص لغة: هو التصفية.

وشرعًا: محبة الله وإرادة وجهه، وتصفية العبادة كلها لله وحده، دون شريك.

بمعنىٰ أن قائلها لا يقِرُّ بالألوهية الحقَّة إلا لله تعالىٰ، فلا يجعل مع الله شريكًا كائنًا من كان.

فلا يريد بهذه الكلمة إلا الله عَجَلَّ، فلا يشرك أحدًا في عبادته لله، ولا ينظر إلىٰ أحد في قصده وطلبه، ولا يرائي في هذه الكلمة، فلا يقولها إلا وهو مخلص بها لله تعالىٰ، يبتغي بها وجه الله عَجَلَّ، خالصة لله تعالىٰ، ولا يُشرِك فيها مع الله أحدًا.

وقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإخلاص المنافي للشرك»، الشرك ضد التوحيد، وهو أن يعبد مع الله إلهًا آخر، فمن عبد مع الله إلهًا آخر كفر وأشرك، ونقض شركُه توحيده، ولا تنفعه هذه الكلمة -كلمة «لا إله إلا الله»-، ولو قالها بلسانه وردَّدَها مرارًا وتكرارًا، فإنها لا تنفعه؛ لأنه قد أتىٰ بما يضادُّها.

---

(١) «العدة في أصول الفقه» للقاضي أبي يعلىٰ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء.

الشرط الرابع من شروط «لا إله إلا الله»: «الصدق المنافي للكذب، المانع من النفاق».

«وَهُوَ أَن يَقُولَهَا صِدقًا من قلبه، يُواطئ قَلبُهُ لِسَانَهُ»[(١)]، أن يقولها القائل صادقًا من قلبه، فيواطئ اللسانُ ما في القلب، ويصدق ذلك بجوارحه، فلا يصدر منه ما ينافي هذا القول، فالمسألة ليست قولًا فقط، وإنما لا بد من عمل، ولذلك جاء في الحديث عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُم، وَأَموَالِكُم، وَلَكِن يَنظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُم، وَأَعمَالِكُم**»[(٢)].

أهل الضلال وأهل الجهل يقولون: «إنما ينظر إلىٰ قلوبكم» فقط، ويسكتون، لا يأتون بلفظة: «وأعمالكم»؛ لأن لفظة «وأعمالكم» تدل علىٰ الصدق!

ولذلك تجد كثيرًا من الناس -إلا من رحم الله- من يصلون معنا في المسجد، ويحجُّون معنا في عرفة، ويصومون معنا في رمضان، ويزكون بأموالهم، ويصلون علىٰ النبي -عليه الصلاة والسلام-، ويقولون: (لا إله إلا الله)، ونراهم معنا في المساجد، تجدهم إذا خرجوا من المساجد ذهبوا إلىٰ القباب، إلىٰ أولياء الله -زعموا-، فيسجدون لهم، ويذبحون لهم، وينذرون لهم، ويحلفون بهم، ويطوفون بهم، ويدعونهم للحصول علىٰ المال والولد من دون الله -يدعون الله في المساجد وعند القبور يدعون الأولياء-!

---

(١) «معارج القبول» (٢/ ٣٧)، طبعة دار ابن الجوزي.

(٢) «صحيح مسلم» (٢٥٦٥).

هل هؤلاء صادقون؟ لا واللهِ ليسوا بصادقين! وهم أكذب الناس؛ لأن أعمالهم تكذب الأقوال التي يقولونها.

لذلك ينبغي علىٰ الإنسان أن يكون ممن إذا قال: (لا إله إلا الله)، قالها صدقًا، مستيقنًا بها، وعاملًا بها، وألَّا يشرك مع الله أحدًا، لا بقول ولا بفعل كائنًا من كان، وهذا شأنه خطير، فينبغي للإنسان أن يحذر منه(١).

---

(١) كلام نفيس:

علق الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ علىٰ حديث عتبان: «**فإن الله حرم علىٰ النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**».

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا هو حقيقة معناها الذي دلت عليه هذه الكلمة من الإخلاص ونفي الشرك، والصدق والإخلاص متلازمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر، فإن من لم يكن مخلصًا فهو مشرك، ومن لم يكن صادقًا فهو منافق، والمخلص: أن يقولها مخلصًا الإلهية لله وحده دون كل ما سواه.

وهذا التوحيد هو أساس الإسلام الذي قال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً ﴾ [البقرة:١٢٨]. وقالت بلقيس: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [النمل:٤٤]، وقال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:٧٩].

والحنيف هو الذي ترك الشرك رأسًا وتبرأ منه وفارق أهله وعاداهم، وأخلص أعماله الباطنة والظاهرة لله وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ ﴾ [لقمان:٢٢]. فإسلام الوجه هو إخلاص العبادة المنافي للشرك والنفاق وهو معنىٰ الآية ونحوها إجماعًا، فهذا هو الذي ينفعه قول: «لا إله إلا الله»، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ﴾.

وهذا بخلاف من يقولها وهو يدعو غير الله، ويستغيث به، من ميت أو غائب لا ينفع ولا يضر، كما ترىٰ عليه أكثر الخلق. وهؤلاء وإن قالوها، فقد تلبسوا بما يناقضها فلا تنفع قائلها إلا بالعلم =

وقوله: «المنافي للكذب، المانع من النفاق»؛ أي: ألا يقولها كاذبًا وهو يبطن في قلبه خلافها، فهذا منافق، والنفاق من أعظم أنواع الكفر، فلا يقولها

=

بمدلولها نفيًا وإثباتًا، والجاهل بمعناها وإن قالها فإنه لا تنفعه؛ لجهله بما وضعت له الوضع العربي الذي أريد منها من نفي الشرك، وكذلك إذا عرف معناها بغير تيقن له، فإذا انتفىٰ اليقين وقع الشك.

ومما قيدت به في الحديث قوله ﷺ: «غير شاك»، فلا تنفع إلا من قالها بعلم ويقين، لقوله: «**صدقًا من قلبه، خالصًا من قلبه**»، وكذلك من قالها غير صادق في قوله، فإنها لا تنفعه؛ لمخالفة القلب اللسان، كحال المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

وكذلك حال المشرك، فلا تقبل من مشرك، لمنافاة الشرك للإخلاص، ولما دلت عليه هذه الكلمة مطابقة، فإنها دلت علىٰ نفي الشرك والبراءة منه، والإخلاص لله وحده لا شريك له مطابقة.

ومن لم يكن كذلك لم ينفعه قوله: (لا إله إلا الله)، كما هو حال كثير من عبدة الأوثان، يقولون: (لا إله إلا الله)، وينكرون ما دلت عليه من الإخلاص، ويعادون أهله، وينصرون الشرك وأهله.

وقد قال الخليل عليه السلام لأبيه وقومه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٧-٢٨]. وهي (لا إله إلا الله)، وقد عبر عنها الخليل بمعناها الذي وضعت له ودلت عليه، وهو البراءة من الشرك وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، كما تقدم تقريره.

وكذلك من قالها ولم يقبل ما دلت عليه من الإخلاص، كان قوله لهذه الكلمة كذبًا منه، بل قد عكس مدلولها، فأثبت ما نفته من الشرك، ونفىٰ ما أثبتته من الإخلاص.

فهذا الذي ذكرناه هو حال الأكثرين من هذه الأمة بعد القرون الثلاثة، وسبب ذلك: الجهل بمعناها، واتباع الهوىٰ، فيصده عن اتباع الحق، وما بعث الله به رسله من دينه الذي شرعه لعباده ورضيه لهم».اهـ «قرة عيون الموحدين» [(ص٣٤-٣٦)، طبعة دار المغني].

رياء، ولا يقولها سمعة، كالمنافقين الذين قالوا: «لا إله إلا الله» يراءون النبيﷺ والصحابة، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢]، فهؤلاء قالوا: «لا إله إلا الله» رياء وسُمعة، وهم أهل نفاق.

الشرط الخامس: قال الشيخ -رحمه الله تعالىٰ-: «المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه، والسرور بذلك».

هذا شرط عظيم من شروط (لا إله إلا الله)، وهو أن يكون قائلها مُحبًّا لكلمة التوحيد، وإلىٰ ما دلت عليه من الأوامر والنواهي، مسرورًا فرحًا بها، فتحمله هذه المحبة علىٰ فعل ما أوجبه الله ﷻ عليه، وألزمه من شرائع الدين.

ويقابل ذلك أن يبغض من خالف معنىٰ «لا إله إلا الله»، من أهل الشرك والنفاق، والمحبة هذه لابد أن تكون منافية للبغض والكره، فالإنسان ينبغي أن يحب الله، ويُحب مَن يحب الله تعالىٰ، وبالمقابل يجب عليه أن يُبغض أهل الشرك، ويُبغض من يبغض الله تعالىٰ، وهذه من صفة الإيمان.

والمحبة لهذه الكلمة من دعائم توحيد العبادة، فهي -كما قال أهل العلم-: من أركان التعبد القلبية. والتي لا تُقبل أي عبادة إلا بها؛ لأن عبادة المؤمن في هذه الدنيا تقف بين ثلاثة أشياء، بين المحبة والخوف والرجاء، ولا يجوز للعبد أن يعبد الله بواحد من هذه الأركان دون الأخرىٰ، كأن يعبد الله بالحب وحده، أو يعبده بالرجاء وحده، أو بالخوف وحده، ولهذا قال بعض أهل العلم: «مَن عَبَدَ الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن

عبده بالرَّجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرَّجاء فهو مؤمن موحِّد»[(١)].

ومن لوازم هذه المحبة أيضًا: اتباع الرسولﷺ، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ [آل عمران:٣١].

«فَبَيَّنَ سُبحَانَهُ أَنَّ مَحَبَّتَهُ تُوجِبُ اتِّبَاعَ الرَّسُولِ، وَأَنَّ اتِّبَاعَ الرَّسُولِ يُوجِبُ مَحَبَّةَ اللهِ لِلعَبدِ، وَهَذِهِ مَحَبَّةٌ امتَحَنَ اللهُ بِهَا أَهلَ دَعوَىٰ مَحَبَّةِ اللهِ، فَإِنَّ هَذَا البَابَ تَكثُرُ فِيهِ الدَّعَاوَىٰ وَالِاشتِبَاهُ»[(٢)].

«فَاتِّبَاعُ سُنَّةِ رَسُولِهِﷺ وَشَرِيعَتِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا هِيَ مُوجِبُ مَحَبَّةِ اللهِ، كَمَا أَنَّ الجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ، وَمُوَالَاةَ أَولِيَائِهِ، وَمُعَادَاةَ أَعدَائِهِ هُوَ حَقِيقَتُهَا»[(٣)].

فلابد من محبة هذه الكلمة، ومحبة من تُوحِّده بها -وهو الله ﷻ-، فتقول هذه الكلمة وأنت صادق فيها، ومحب لها، ومحب لمن وحدته بها، فتعبده محبة وتذللًا وخضوعًا، مخلصًا هذه العبادة لله ﷻ، لا لغيره، ولا تشرك معه كائنًا من كان، ولو كان من أقرب الناس.

ثم الشرط السادس: «الانقياد بحقوقها، وهي الأعمال الواجبة، إخلاصًا لله وطلبًا لمرضاته».

الانقياد معناه: الاستسلام لحقوق هذه الكلمة، كلمة «لا إله إلا الله»، فالانقياد

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية (١٠/ ٨١).
(٢) نفس المرجع السابق.
(٣) نفس المرجع السابق.

هو الاستسلام، والطواعية، والامتثال الكامل لحقوق هذه الكلمة العظيمة، فينقاد لشرع الله ولطاعة الله تعالىٰ، ويستسلم بقلبه ولسانه وبجوارحه لدين الإسلام، وللتوحيد.

و«الانقياد المنافي للترك»، معناه: أنه إذا قيل لك: إنَّ من مُقتضىٰ هذه الكلمة «لا إله إلا الله» طاعةَ الرسُول؛ أَطَعْتَ الرسول.

وإذا قيل لك: إن من مقتضىٰ هذه الكلمة «لا إله إلا الله» طاعة الرسول فيما أمر به، من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ؛ صلَّيت وزكيت -إن كنتَ صاحب مال- وصُمْت.

فالانقياد لهذه الكلمة وحقوقِها شأنٌ عظيم، ومحكٌّ للصادق والمخلص والموقن.

فمن ادَّعىٰ أنه يعلم معنىٰ هذه الكلمة، وأنه مستيقن ومخلص لله بها، ومُصَدِّق لها، ولم يَنقَدْ لِمَا أَمَرَ الله به ورسوله ﷺ، أو لم يَنتَهِ عمَّا نهىٰ الله عنه ورسولهﷺ، فهو كاذب، وبانَ بُطلان دعواه.

ومن الانقياد أيضًا لهذه الكلمة: أنه إذا قيل لك: أن تحب والديك برًّا بهما؛ لأن الله أمر بذلك، أطَعْت.

ومن الانقياد أيضًا لهذه الكلمة: أنه إذا قيل لك: أن تعفي لحيتك، أعفيتها لأمر الرسولﷺ بذلك.

ومن الانقياد أيضًا لهذه الكلمة: أنه إذا قيل لك: إن من معاني «لا إله إلا الله»

أن تكرم جارك وضيفك، أكرمته، وهكذا، امتثالٌ لكل ما جاء به الشرع، وانقياد لما دلت عليه هذه الكلمة التي من ورائها أعمال عظيمة.

يقول الله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [لقمان:٢٢]. التي هي (لا إله إلا الله)، هذه هي العروة الوثقىٰ.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر:٥٤]؛ أي: استسلموا له، فأنت تستلم لهذه الكلمة، وما دلت عليه من الحقوق:

من توحيد الله.

ومن إخلاص الدين لله.

ومن البعد عن الشرك وعبادة غير الله تعالىٰ -كائنًا من كان-.

ومن القيام بالواجبات.

ومن الانتهاء عن المحرمات.

وكل ذلك يكون «إخلاصًا لله وطلبًا لمَرْضَاته»، هذا هو الانقياد.

فلابد من الانقياد والامتثال لـ«لا إله إلا الله»، طواعية، والعمل بها، وهذا العمل يكون بالقلب، وبالقول، وبالجوارح، فالقلب إذا انقاد لهذه الكلمة، وأذعن لها، وتشَرَّبها بعدما عَلِم معناها، وأيقن بها، فنطق بها صادقًا، عاملًا بما دلَّت عليه، مستسلمًا لها، مُنقادًا لها، مُحبًّا لها ولأهلها، مُبغِضًا لمَن خالفها، قادته إلىٰ الفلاح العظيم.

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «القبول المُنَافي للرد».

وهذا الشرط هو الشرط السابع، والمراد: أنك تقبل هذه الكلمة ولا تردها، وقبولك لها بمعنىٰ الرضا بها، وعدم التكبر، فإن «لا إله إلا الله» شأنها عظيم، فترضىٰ بها وبما دلَّت عليه، فلا تتكبَّر كما تكبَّر المشركون من قبل فردوها، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص:٥].

وكما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [الصافات:٣٥][1]، تكبرًا منهم، ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾ [الصافات:٣٦].

---

(١) وكما قالها نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ من قبل ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف:٥٩]. فكان جواب قومه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الأعراف:٦٠].

وقالها هود عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿۞وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:٦٥]. فكان جوابهم: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف:٦٦].

وقالها أيضًا صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ [الأعراف:٧٣]، فكان جوابهم بعدما وصفهم اللهُ بالكفر والكبر: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف:٧٥-٧٦].

وقالها شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ من بعدهم: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ [الأعراف:٨٥]، فكان جوابهم: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ [الأعراف:٨٨].

فسبحان الله ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:١١٨].

أمَّا المسلم فإنه يذعن لها، وينقاد لها، ويقبلها، ويقبل كل ما جاءت به، وكل ما تَئُول إليه من مَعَانٍ، عاملًا بها، ولا يَرُدها بأي وجه من الوجوه، لا بلسانه ولا بجوارحه ولا بأفعاله، إنما قبول تام لها.

فهذه سبعة شروط ذكرها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد جمعها بعض أهل العلم في أبيات، كما في «سلم الوصول» للشيخ حافظ الحكمي -رحمه الله تعالىٰ-، حيث يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَبِشُرُوطٍ سَبعَةٍ قَد قُيِّدَت ... وَفِي نُصُوصِ الوَحيِ حَقًّا وَرَدَت
فَإِنَّهُ لَم يَنتَفِع قَائِلُهَا ... بِالنُّطقِ إِلَّا حَيثُ يَستَكملُهَا[(١)]
العِلمُ وَاليَقِينُ وَالقَبُولُ ... وَالانقِيَادُ فَادرِ مَا أَقُولُ
وَالصِّدقُ وَالإِخلَاصُ والمحبه ... وَفَّقَكَ اللهُ لِمَا أَحَبَّه

فهذه أبيات خَفيفَة يَحفَظُها الإنسان، ويفقه معناها، ويحرص علىٰ تطبيق هذه الشروط في نفسه، والالتزام بها ما دام حيًّا حتىٰ يتوفاه الله علىٰ ذلك، والله الموفق.

❊ ❊ ❊

---

(١) يقول الحافظ الحكمي في تعليقه علىٰ هذه الأبيات: «(لَمْ يَنْتَفِعْ قَائِلُهَا) أَيْ: قَائِلُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، (بِالنُّطْقِ)؛ أَيْ: بِنُطْقِهِ بِهَا مُجَرَّدًا (إِلَّا حَيْثُ يَسْتَكْمِلُهَا)؛ أَيْ: هَذِهِ الشُّرُوطَ السَّبْعَةَ، وَمَعْنَىٰ اسْتِكْمَالِهَا: اجْتِمَاعُهَا فِي الْعَبْدِ وَالْتِزَامُهُ إِيَّاهَا بِدُونِ مُنَاقَضَةٍ مِنْهُ لِشَيْءٍ مِنْهَا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِن ذَلِكَ عَدَّ أَلْفَاظِهَا وَحِفْظَهَا فَكَم مِن عَامِّيٍّ اجتَمَعَتْ فِيهِ وَالتَزَمَهَا وَلَوْ قِيلَ لَهُ: اعْدُدْهَا لَمْ يُحسِنْ ذَلِكَ، وَكَمْ حَافِظٍ لِأَلْفَاظِهَا يَجْرِي فِيهَا كَالسَّهْمِ وَتَرَاهُ يَقَعُ كَثِيرًا فِيمَا يُنَاقِضُهَا، وَالتَّوْفِيقُ بِيَدِ اللهِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ». «معارج القبول».

ثم شرع المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان أدلة هذه الشروط من الكتاب والسُّنة، نشرع في التعليق عليها بما يسَّر الله.

وكما ذكرنا آنفًا، أن هذه الشروط هي شروط مستنبطة بالاستقراء، استنبطها العلماء من كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، ولذلك أورد المصنف -رحمه الله تعالىٰ- هذه الأدلة حتىٰ يتبين صحة هذه الشروط، وليَعمل بها علىٰ يقين دون تردد، ويكون علمه قائمًا علىٰ دليل واضح، إما بآية أو بحديث، أو بهما معًا.

ولذلك شرع المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان هذه الأدلة بشروطها، من كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ، فتجده رَحِمَهُ ٱللَّهُ يورد علىٰ كل شرطٍ دليلًا، آية أو آيات، وأحاديثَ في مواضع، لإثبات صحة هذه الشروط.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أدلة هذه الشروط من كتاب الله تعالىٰ، ومن سُنَّة رسُول الله ﷺ:

*** دليل العلم:** قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]، وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزخرف:٨٦]؛ أي: بـ«لا إله إلا الله»، ﴿ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ بقلوبهم معنىٰ ما نطقوا به بألسنتهم.

ومن السُّنة: الحديث الثابت في الصحيح، عَن عُثمَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن مَاتَ وَهُوَ يَعلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ»(١).

سبق بيان معنىٰ العلم، وذكرنا أن المراد به هنا: العلمُ المنافي للجهل.

وأنَّ الواجب علىٰ كل مسلمٍ نَطَقَ بهذه الكلمة «لا إله إلا الله»، أن يكون

(١) أخرجه مسلم (٢٦).

نطقه واعترافه بها، عن علمٍ يطابق معنىٰ هذه الكلمة العظيمة، وألَّا يكون هذا الاعتراف عن جهل أو تقليد للناس.

فيكون مَبنَىٰ ذلك علىٰ علمٍ ويقينٍ، لا علىٰ جهلٍ وشكٍّ وتَرَدُّد.

وأدلة ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ [محمد:١٩].

وجه الدلالة من الآية: أن الله ﷻ أمر أوَّلًا بالعلم، فقال:، ﴿ فَٱعۡلَمۡ ﴾؛ أي: اعلم عِلمَ يقينٍ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، ولهذا قال البخاري: «بابٌ: العلم قبل القول والعمل، ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ فبدأ بالعلم»[(١)]؛ لأن هذا العلم هو الأساس.

ومن الأدلة علىٰ هذا الشرط أيضًا: قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزخرف:٨٦]، ما هو هذا الحق؟ هو كلمة لا إله إلا الله، قال: ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾؛ أي: علم يقين لهذه الكلمة ينافي الجهل.

وهذه الآية تحمل معنىٰ الآية الأولىٰ، فهم لم يشهدوا بالحق -وهي هذه الكلمة العظيمة- إلا بعد علمهم بما دلت عليه، ولذلك قال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾، فقدَّم العلم قبل شهادتهم بالحق، فدلت الآية علىٰ وجوب العلم قبل الشهادة بهذه الكلمة العظيمة، علمًا صحيحًا وجازمًا يطابق ما دلت عليه هذه الكلمة العظيمة.

---

(١) «فتح الباري» (١/ ١٦٠).

قال المفسرون في تأويل قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بـ«لا إله إلا الله»، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعلمون بعقولهم وقلوبهم معنىٰ ما شهدوا به.

وفي «صحيح مسلم»، عَن عُثمَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن مَاتَ وَهُوَ يَعلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ».

انظر: «وَهُوَ يَعلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» فاشترط العلم.

فينبغي لكل إنسان مسلم أن يعلم معنىٰ هذه الكلمة العظيمة، فإذا علم معناها وانتفىٰ عنه الجهل؛ يكون قد حقَّق بذلك أول شرط من شروط «لا إله إلا الله»، وهو العلم.

* ودليل اليقين: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥].

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا -أي: لم يَشُكُّوا-، فأما المرتاب فهو من المنافقين.

ومن السُّنة: الحديث الثابت في الصحيح، عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلقَىٰ اللهَ بِهِمَا عَبدٌ غَيرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ».

وفي رواية: «أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلقَىٰ اللهَ بِهِمَا عَبدٌ غَيرَ شَاكٍّ، فَيُحجَبَ عَنِ الجَنَّةِ»[1].

(١) مسلم (٢٨).

وعن أبي هريرة ﷺ أيضًا من حديث طويل: «**فَمَن لَقِيتَ مِن وَرَاءِ هَذَا الحَائِطِ، يَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُستَيقِنًا بِهَا قَلبُهُ، فَبَشِّرهُ بِالجَنَّةِ**»[(١)].

الدليل الثاني: اليقين، والمراد به: اليقين المنافي للشك أو الريب أو التردد، بمعنىٰ: أن الإنسان يجب أن يكون نطقُه لهذه الكلمة مَبنيًّا علىٰ علمٍ ويقين، فينطق لسانه بها صادقًا وموقنًا بما دلت عليه.

واستدل المؤلف لهذا الشرط بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾، والشاهد من الآية قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾؛ أي: لم يَشُكُّوا.

قال ابن كَثِير: «أَي: إِنَّمَا المُؤمِنُونَ الكُمَّل ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾؛ أَي: لَم يَشُكُّوا وَلَا تَزَلزَلُوا، بَل ثَبَتُوا عَلَىٰ حَالٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ التَّصدِيقُ المَحضُ، ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾؛ أَي: وَبَذَلُوا مُهَجَهُم وَنَفَائِسَ أَموَالِهِم فِي طَاعَةِ اللهِ وَرِضوَانِهِ، ﴿هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾؛ أَي: فِي قَولِهِم إِذَا قَالُوا: «إِنَّهُم مُؤمِنُونَ»، لَا كَبَعضِ الأَعرَابِ الَّذِينَ لَيسَ مَعَهُم مِنَ الدِّينِ إِلَّا الكَلِمَةَ الظَّاهِرَةَ»[(٢)].

فمن قام بقلبه شَكٌّ وتردد نحو هذه الكلمة فهو كافر، ومن نطق بها غير جازم بما دلت عليه فهو مُنَافق، ولا يصح النطق بها إلا لمن علم معناها وصدَّق وأيقن بما دلت عليه.

---

(١) مسلم (٣١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٣/ ١٧٥).

وفي «صحيح مسلم»، عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﵁، أَو عَن أَبِي سَعِيدٍ ﵁ -شَكَّ الأَعمَشُ-: أن رسول الله ﷺ قال: «**أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلقَىٰ اللهَ بِهِمَا عَبدٌ غَيرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**»(١).

فاشترط الرسول ﷺ اليقين، وهو انتفاء الشك.

وفي الحديث الآخر الذي أخرجه مسلم، من حديث أبي هريرة ﵁: أن النبي ﷺ قال: «**مَن لَقِيتَ مِن وَرَاءِ هَذَا الحَائِطِ، يَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُستَيقِنًا بِهَا قَلبُهُ، فَبَشِّرهُ بِالجَنَّةِ**».

إذن؛ لابد أن تكون هذه الكلمة نابعة عن يقين من قلب قائلها، ولا يكون معه شك ولا ريب ولا تردُّد، هذا هو الشرط الذي من حققه ضمن أن يكون قد حقَّق شرطًا عظيمًا من شروط (لا إله إلا الله)، وأن يكون من أهل الجنة.

كما قال -صلوات الله وسلامه عليه-: «**أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلقَىٰ اللهَ بِهِمَا عَبدٌ غَيرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**»(٢).

وقال: «**مَن لَقِيتَ مِن وَرَاءِ هَذَا الحَائِطِ، يَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُستَيقِنًا بِهَا قَلبُهُ، فَبَشِّرهُ بِالجَنَّةِ**».

* **ودليل الإخلاص:** قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥].

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٩).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٩).

ومن السُّنة: الحديث الثابت في الصحيح، عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﵁، عن النبي ﷺ: «أَسعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَومَ القِيَامَةِ، مَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِن قَلبِهِ -أَو: نَفسِهِ-»(١).

وفي الصحيح، عن عتبان بن مالك ﵁، عن النبي ﷺ قال: «فَإِنَّ اللهَ قَد حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبتَغِي بِذَلِكَ وَجهَ اللهِ»(٢).

وللنسائي في «اليوم والليلة» من حديث رجلين من الصحابة، عن النبي ﷺ: «مَن قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ، وَلَهُ الحَمدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، مُخلِصًا بِهَا من قلبه، يُصَدِّقُ بِهَا لِسَانُهُ، إِلَّا فتق الله لَهُ السَّمَاء فَتقًا حَتَّىٰ يُنظَرَ إِلَىٰ قَائِلِهَا مِن أَهلِ الأرض، وَحَقٌّ لِعَبدٍ إِذَا نَظَرَ اللهُ إِلَيهِ أَن يُعطِيَهُ سُؤلَهُ»(٣).

هذا هو الشرط الثالث، وهو الإخلاص، الإخلاص المنافي للشرك، ودليله قوله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر:٢-٣]. «أي: أَخْلِص لله تعالىٰ جميع دينك، من الشرائع الظاهرة والشرائع الباطنة: الإسلام والإيمان والإحسان، بأن تفرد الله وحده بها، وتقصد بها وجهه، لا غير ذلك من المقاصد.

(١) البخاري (٩٩).

(٢) متفق عليه.

(٣) النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٨)، وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٩٣٢)، و«الضعيفة»، والشيخ عبيد الجابري أيضًا أشار إلىٰ ضعفه في تعليقه علىٰ شروط «لا إله إلا الله».

فقوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ هذا تقرير للأمر بالإخلاص، وبيانٌ أنه تعالىٰ كما أنَّ له الكمالَ كلَّه، وله التفضُّل علىٰ عباده من جميع الوجوه، فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب، فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه، وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به؛ لأنه متضمن للتأله لله في حبه وخوفه ورجائه، والإنابة إليه في عبوديته، والإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده، وذلك الذي يصلح القلوب ويزكيها ويطهرها، دون الشرك به في شيء من العبادة، فإن الله بريء منه، وليس لله فيه شيء، فهو أغنىٰ الشركاء عن الشرك، وهو مفسد للقلوب والأرواح والدنيا والآخرة، مُشْقٍ للنفوس غاية الشقاء.

فلذلك لما أمر بالتوحيد والإخلاص، ونهىٰ عن الشرك به، وأخبر بذم من أشرك به»[(١)].

أما الدِّين الذي فيه رياء وسُمعة ونفاق، هذا لا يكون لله تعالىٰ، فصاحبه بين شرك أصغر وخفي[(٢)]، إلىٰ شرك أكبر، وهو شرك النفاق[(٣)].

(١) «تفسير ابن سعدي» [مجموع مؤلفاته، طبعة قطر (٢/ ٩٠٣)].

(٢) «وهل يمكن أن يصل إلىٰ الأكبر؟ ظاهر الحديث لا يمكن؛ لأنه قال: «الشرك الأصغر»، فسئل عنه؛ فقال: «الرياء».

لكن في عبارات ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه إذا ذكر الشرك الأصغر قال: كيسير الرياء؛ فهذا يدل علىٰ أن كثيره ليس من الأصغر، لكن إن أراد بالكمية؛ فنعم؛ لأنه لو كان يرائي في كل عمل؛ لكان مشركًا شركًا أكبر لعدم وجود الإخلاص في عمل يعمله، أما إذا أراد الكيفية؛ فظاهر الحديث أنه أصغر مطلقًا. «القول المفيد» للشيخ ابن عثيمين [(١/ ١٢٥)، طبعة ابن الجوزي].

(٣) «وَاعلَم أَنَّ العَمَلَ لِغَيرِ اللهِ أَقسَامٌ: فَتَارَةً يَكُونُ رِيَاءً مَحضًا، بِحَيثُ لَا يُرَادُ بِهِ سِوَىٰ مراءاة
=

وفي الصحيح -«صحيح البخاري»- عَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَن أَسعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَومَ القِيَامَةِ؟

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **لَقَد ظَنَنتُ يَا أَبَا هُرَيرَةَ، أَلَّا يَسأَلَنِي عَن هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنكَ؛ لِمَا رَأَيتُ مِن حِرصِكَ عَلَىٰ الحَدِيثِ، أَسعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَومَ القِيَامَةِ، مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِن قَلبِهِ أَو نَفسِهِ**»[(١)].

والشاهد من الحديث: «**خَالِصًا مِن قَلبِهِ**»، فهو يريد بها وجه الله، فلا يرائي أحدًا، لا يشرك بعبادة ربه أحدًا، وإنما قالها خالصًا من قلبه، فاشترط -عليه الصلاة والسلام- الإخلاص، أن تكون نابعة من قلب مخلص لله تعالىٰ، ولم يُرِد قائلُها من هذه الكلمة شيئًا من أمور الدنيا، وإنما قالها خالصًا يريد بها وجه الله تعالىٰ.

=

المَخلُوقِينَ لِغَرَضٍ دُنيَوِيٍّ، كَحَالِ المُنَافِقِينَ فِي صَلَاتِهِم، كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء:١٤٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾ [الماعون:٤-٦].

وَكَذَلِكَ وَصفَ اللهُ تَعَالَىٰ الكَفَّارَ بِالرِّيَاءِ فِي قَولِهِ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال:٤٧].

وَهَذَا الرِّيَاءُ المَحضُ لَا يَكَادُ يَصدُرُ مِن مُؤمِنٍ فِي فَرضِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَقَد يَصدُرُ فِي الصَّدَقَةِ الوَاجِبَةِ أَوِ الحَجِّ، وَغَيرِهِمَا مِنَ الأَعمَالِ الظَّاهِرَةِ، أَوِ الَّتِي يَتَعَدَّىٰ نَفعُهَا، فَإِنَّ الإِخلَاصَ فِيهَا عَزِيزٌ، وَهَذَا العَمَلُ لَا يَشُكُّ مُسلِمٌ أَنَّهُ حَابِطٌ، وَأَنَّ صَاحِبَهُ يَستَحِقُّ المَقتَ مِنَ اللهِ وَالعُقُوبَةَ». «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي (١/ ٧٩).

(١) «صحيح البخاري» (٩٩)، (٦٥٧٠).

والخلوص: هو الصفاء والنقاء الذي ليس فيه شائبة شرك أو رياء، فينبغي للإنسان أن يخلص بهذه الكلمة لله تعالىٰ، والإخلاص يكون لله رب العالمين، ولا يكون مع الله أحد كائنًا من كان.

يقول الله تعالىٰ في الحديث القدسي: «**أَنَا أَغنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّركِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أَشرَكَ فِيهِ مَعِي غَيرِي تَرَكتُهُ وَشِركَهُ**»(١).

فالإخلاص محله القلب، ومنبعه القلب، فلذلك قال: «**خالصًا من قلبه**».

* **ودليل الصدق:** قوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١-٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [البقرة:٨-١٠].

ومن السُّنة: ما ثبت في «الصحيحين»، عن معاذ بن جبل ﷺ، عن النبي ﷺ: «**مَا مِن أَحَدٍ يَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدقًا مِن قَلبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ**»(٢).

سبق وأن قلنا: إن الصدق هنا أو التصديق كما يطلق عليه بعضهم، المراد

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه.

به «الصدق المنافي للكذب، المانع من النفاق»، فمن نطق بهذه الكلمة وهو يبطن خلافها فهو منافق، كاذب في نطقه بهذه الكلمة، ولهذا ساق المصنف آية من سورة المنافقين تبين أن من نطق بهذه الكلمة وهو مُكذِّب بقلبه، فلا ينفعه ذلك، فلابد من الصدق بالقول لكي تنفع هذه الكلمة صاحبها.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ودليل الصدق**: قوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾.

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقَولُهُ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ استِفهَامُ إِنكَارٍ، وَمَعنَاهُ: أَنَّ اللهَ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لَابُدَّ أَن يَبتَلِيَ عِبَادَهُ المُؤمِنِينَ بِحَسبِ مَا عِندَهُم مِنَ الإِيمَانِ، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الأَنبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمثَلُ فَالأَمثَلُ، يُبتَلَىٰ الرَّجُلُ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ، فَإِن كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي البَلَاءِ**»[(١)].

وَهَذِهِ الآيَةُ كَقَولِهِ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢]، وَمِثلُهَا فِي سُورَةِ «بَرَاءَة»، وَقَالَ فِي البَقَرَةِ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة:٢١٤]؛ وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

---

(١) «المسند» (١/ ١٧٢)، والترمذي في «السنن» برقم (٢٣٩٨)، من طريق مصعب بن سعد عن أبيه سَعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:٣]، أَي: الَّذِينَ صَدَقُوا فِي دَعوَاهُمُ الإِيمَانَ مِمَّن هُوَ كَاذِبٌ فِي قَولِهِ وَدَعوَاهُ.

وَاللهُ ﷻ يَعلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَم يَكُن لَو كَانَ كَيفَ يَكُونُ. وَهَذَا مُجمَعٌ عَلَيهِ عِندَ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما وَغَيرُهُ فِي مِثلِ ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ [سبأ:٢١]: إِلَّا لِنَرَىٰ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الرُّؤيَةَ إِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِالمَوجُودِ، وَالعِلمُ أَعَمُّ مِنَ الرُّؤيَةِ، فَإِنَّهُ [يَتَعَلَّقُ] بِالمَعدُومِ وَالمَوجُودِ»(١).

ثم ساق المؤلف رحمه الله قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨]، إذن قالوها مع عدم قيام الإيمان الصادق بقلوبهم حين نطقهم بهذه الكلمة، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة:٩]، يعلنون خلاف ما يبطنون، «يَعتَقِدُونَ بِجَهلِهِم أَنَّهُم يَخدَعُونَ اللهَ بِذَلِكَ، وَأَنَّ ذَلِكَ نَافِعُهُم عِندَهُ، وَأَنَّهُ يَرُوجُ عَلَيهِ كَمَا يَرُوجُ عَلَىٰ بَعضِ المُؤمِنِينَ»(٢).

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة:٩]، أن هذا الخداع سيرجع ويعود عليهم، ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة:١٠]، والشاهد منه: الكذب، وهو ضد الصدق.

وفي الحديث الصحيح، عَن قَتَادَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بنَ مَالِكٍ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَىٰ الرَّحلِ، قَالَ: **يَا مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ**. قَالَ: لَبَّيكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعدَيكَ، قَالَ: **يَا مُعَاذُ**. قَالَ: لَبَّيكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعدَيكَ، ثَلَاثًا، قَالَ: **مَا مِن**

(١) «تفسير ابن كثير»، طبعة أولاد الشيخ (١٠/ ٤٩٣).

(٢) «تفسير ابن كثير»، طبعة أولاد الشيخ (١/ ٢٨٣).

أَحَدٍ يَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدقًا مِن قَلبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ»(١).

انظر ماذا يقول: «صِدقًا مِن قَلبِهِ»، فاشترط -عليه الصلاة والسلام- الصدق في هذه الكلمة، والصدق فيها أن يكون ما يقوله بلسانه ويعمله بجوارحه يُصدِّق ما ينطوي عليه قلبُه، ولا يكون كالمنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]؛ أي: كاذبون فيما قالوا. قالوا: (لا إله إلا الله) كذبًا وليس صدقًا، ولذلك أعمالهم تكَذِّب ما يقولون.

فينبغي للإنسان أن يحرص علىٰ هذا الشرط العظيم.

* ودليل المحبة: قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة:١٦٥].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾ [المائدة:٥٤].

ومن السُّنة: ما ثبت في الصحيح، عَن أَنَسٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَن يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَن يُحِبَّ المَرءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَن يَكرَهَ أَن يَعُودَ فِي الكُفرِ كَمَا

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري (١٢٨).

يَكرَهُ أَن يُقذَفَ فِي النَّارِ»(١).

هذا دليل الشرط الخامس من شروط «لا إله إلا الله»، وهو المحبة، ومحلها القلب، وهذه المحبة يصدقها العمل، فيخضع قائلُها لله ﷻ وحده، ويتذلل ويخشع له وحده دون ما سواه.

فالمُحِبُّ لـ «لا إله إلا الله»، يكون بمحبته لها قد فاق محبة أهل الكفر، من الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾، وأما الذين آمنوا فقال فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، هؤلاء هم أهل الإيمان، هم أشد حبًّا لمعنىٰ «لا إله إلا الله»، ولله تعالىٰ، ولرسوله، وللمؤمنين، وهم موحدون لله تعالىٰ.

وهؤلاء أحبوا الله تعالىٰ، وأحبوا دين الله تعالىٰ، وأحبوا هذه الكلمة العظيمة، التي تنجيهم من النار، وتكتب لهم الخلود في الجنة، إذا عملوا بها وأخلصوا لها(٢).

قال: وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة:٥٤]، فأثبت الله ﷻ هنا المحبة صفةً له، وأثبت أيضًا المحبة القائمة بقلوب أهل الإيمان لله ﷻ، وأنَّ هذه المحبة خالصة لله ﷻ.

---

(١) متفق عليه.

(٢) وسيأتي مزيد بيان حول المحبة وما ينقضها تحت «باب أنواع الشرك».

قال: ومن السُّنة: ما ثبت في الصحيح، عَن أَنَسٍ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَن يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَن يُحِبَّ المَرءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَن يَكرَهَ أَن يَعُودَ فِي الكُفرِ كَمَا يَكرَهُ أَن يُقذَفَ فِي النَّارِ»**(١).

فيه أن للإيمان حلاوة، وهذه الحلاوة يجدها القلب، فيطمئن بها ويسكن بها، وهذه الحلاوة لا تتولد في هذا القلب إلَّا إذا حقق هذه الأمور العظيمة، وهي محبة الله تعالىٰ، ومحبة رسوله ﷺ، ومحبة ما يحب الله تعالىٰ، ويُصاحِب هذه المحبة بُغضُ الكفر، وبغض أهله بكل مِلَلِهِم، وبكُل فِرَقِهِم الضالة.

وهذه المحبة التي تكون قائمة بالقلب، تظهر علىٰ جوارح الإنسان، فينشرح صدره بكل ما فيه إقبالًا علىٰ دين الله تعالىٰ؛ من قرآن، وصلاة، وعبادة، وطاعة، فينشرح لها صدره، وتهفو إليها نفسه، وتهفو نفسه إلىٰ اتباع سنة نبيه -عليه الصلاة والسلام-، ويتعلمها ويعمل بها، وتنفر نفسه من كل كفر ومن كل عمل مشين يجره إلىٰ الكفر، وأيضًا من كل معصية.

إذن، محبةٌ في الله، وفي دين الله، وبغضٌ في الله وفي دين الله، من بغض الشرك وشُعَبِه، هذا هو الأمر الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم المؤمن، وهذه هي المحبة العظيمة.

---

(١) متفق عليه.

* **ودليل الانقياد**: لما دل عليه قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر:٥٤].

وقوله: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾ [النساء:١٢٥].

وقوله: ﴿ ۞وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ ﴾ [لقمان:٢٢]؛ أي: بـ«لا إله إلا الله».

وقوله تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء:٦٥].

ومن السُّنة: قوله ﷺ: «**لا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئتُ بِهِ**»[١]، وهذا هو تمام الانقياد وغايته.

هذا هو الشرط السادس وهذه هي أدلته، والانقياد كما سبق هو الإذعان لما

---

(١) أخرجه أبو بكر بن أبي عاصم في كتابه «السنة»، وعلق الشيخ الألباني قائلًا: إسناده ضعيف. رجاله ثقات غير نعيم بن حماد ضعيف لكثرة خطئه، وقد اتهمه بعضهم، والحديث أخرجه الحسن بن سفيان في «الأربعين» له (ق ٦٥/ ١)، وعنه السلفي في «الأربعين البلدانية» (ق ٣٢/ ٢)، وفي «معجم السفر» (ق١٩٢/ ١)، والهروي في «ذم الكلام» (٢/ ٤٠/ ٢)، وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ١٢٢/ ٢)، والقاسم بن عساكر في «طرق الأربعين» (ق٥٩/ ٢)، كلهم عن نعيم به.

قال ابن عساكر: «وهو حديث غريب». يعني ضعيف، وقد كشفنا لك عن علته، وذكر له الحافظ ابن رجب الحنبلي عللًا أخرىٰ في «شرح الأربعين النووية» فراجعه مع تعليقنا علىٰ «المشكاة» (١٦٧). اهـ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ [«ظلال الجنة في تخريج السنة» (١/ ١٢-١٣)، طبعة المكتب الإسلامي].

جاء عن الله ﷻ، وعن رسوله -صلوات الله وسلامه عليه- اعتقادًا وتصديقًا ويقينًا ومحبة، كل ذلك يكون فيه منقادًا ومخلصًا لله ﷻ، وهذا هو معنىٰ التسليم الكامل لله ﷻ قولًا وعملًا، ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريف هذا الشرط: «الانقياد بحقوقها، وهي الأعمال الواجبة؛ إخلاصًا لله وطلبًا لمرضاته».

ثم استدل لذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالأدلة التالية، قال:

ودليل الانقياد: لِمَا دلَّ عليه قولُهُ تعَالىٰ: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر:٥٤]؛ أي: ارجِعُوا إلىٰ ربكم واستَسلِمُوا له، بأن تَنقَادُوا لكل ما جاء عن الله تعالىٰ، فتنقادون لما جاء من الأوامر بالتصديق والامتثال، ولما جاء من النواهي بالتصديق والانتهاء.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾ [النساء:١٢٥]»، الشاهد قوله: ﴿مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ ﴾؛ أي: انقاد واستسلم ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾؛ أي: إخلاصًا ومتابعة.

واستدل أيضًا علىٰ هذا الشرط بقوله تعالىٰ: ﴿ ۞وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ ﴾؛ أي: بـ«لا إله إلا الله».

فاجتمع هنا في هذه الآية ثلاث أمور:

- إسلام الوجه، وهو الانقياد والاستسلام.

- الإحسان، ويندرج تحته الإخلاص والمتابعة.

فمن جمع هذه الأمور ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾؛ أي: بـ«لا إله إلا الله»، التي تُنجيه من النار وتُدخِله الجنة.

قال: «وقوله تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ ﴾ هذا قسَمٌ من الله ﷻ، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: لا يَكمُل إيمانهم ولا يصح؛ ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: حتىٰ يُذعِنُوا لك في هذا الحكم الذي جئت به من عند الله ﷻ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ فيكون هذا التسليم بالقلب والجوارح، استسلامًا كاملًا بالقلوب والأبدان.

قال: «ومن السُّنة: قوله ﷺ: «**لا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئتُ بِهِ**».

هذا الحديث يضعفه العلماء سندًا، لكن معناه يصححونه، إذ تشهد عليه النصوص الشرعية[(١)].

(١) **يقول الحافظ ابن رجب في كتابه العُجَاب «جامع العلوم والحكم» بعد أن بيَّن ضعف هذا الحديث وعلله:** «وأما معنىٰ الحديث: فهو أنَّ الإنسان لا يكون مؤمنًا كامل الإيمان الواجب حتىٰ تكون محبته تابعةً لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنَّواهي وغيرها، فيحبُّ ما أمر به، ويكره ما نهىٰ عنه.

وقد ورد القرآن بمثل هذا في غير موضع.

قال تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

=

* **ودليل القبول:** قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ۝٢٣ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٢٤ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف:٢٣-٢٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦].

ومن السُّنة: ما ثبت في الصحيح، عن أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَىٰ وَالعِلم، كَمَثَلِ الغَيثِ الكَثِيرِ أَصابَ أَرضًا فَكَانَ مِنهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشبَ الكَثِيرَ، وَكَانَت مِنهَا أَجَادِبُ أَمسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَت مِنهَا طَائِفَةً أُخرَىٰ**

=

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ [الأحزاب:٣٦].

وذمَّ سبحانه من كره ما أحبَّه الله، أو أحبَّ ما كرهه الله، قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد:٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد:٢٨].

فالواجب علىٰ كلِّ مؤمن أن يُحِبَّ ما أحبَّه الله محبةً توجِبُ له الإتيان بما وجب عليه منه، فإن زادت المحبَّةُ، حتَّىٰ أتىٰ بما ندب إليه منه، كان ذلك فضلًا، وأن يكره ما كرهه الله تعالىٰ كراهةً توجِبُ له الكفَّ عمَّا حرَّم عليه منه، فإن زادت الكراهةُ حتَّىٰ أوجبت الكفَّ عما كرهه تنزيهًا، كان ذلك فضلًا».

إنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمسِكُ مَاءً وَلَا تُنبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَن لَم يَرفَع بِذَلِكَ رَأسًا وَلَم يَقبَل هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرسِلتُ بِهِ»[(١)].

هذه هي أدلة الشرط السابع وهو الشرط الأخير في هذه الرسالة، وهو القَبول المنافي للرد، بمعنىٰ أن تقبل هذه الكلمة وما دلت عليه من حقوق وواجبات.

هنا استدل المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بآية من سورة الزخرف تدل علىٰ هذا الشرط، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ﴾؛ أي: من نبي أو رسول ﴿إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾ وَهُم أُولُو النِّعمَةِ وَالحِشمَةِ وَالثَّروَةِ والرياسة، قال قتادة: هم جَبَابرتهم وقادتهم ورءوسهم فِي الشَّرِّ»[(٢)].

﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ علىٰ طريقة، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ سائرون علىٰ درب آبائنا، وهذا فيه رد وعدم قبول وتكبر عما جاء به المرسلون.

﴿۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الزخرف:٢٤]. فصرحوا بالكفر، وعدم قبول ما جاء به الأنبياء من عند الله، مع أن هذا الذي جاءت به الرسل هو أفضل وأعلىٰ مما هم عليه، ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف:٢٥] انتقامًا في الدنيا بالعذاب، وفي الآخرة مأواهم جهنم وبئس المصير.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥

---

(١) متفق عليه.

(٢) «تفسير ابن كثير» (١١/ ٢٩٠).

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦].

أي: إذا قيل لهم قولوا: «لا إله إلا الله»، ووحدوا الله ﷻ بالعبادة، وأخلصوا له الدين، فإذا بهم ﴿يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾، وهكذا قالت قريش للنبي ﷺ، فردوا ما جاء به واستكبروا وشاقوا الله ورسوله، واتبعوا كبراءهم وشياطينهم، فكان عاقبتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٨].

ثم ختم المؤلف هذه الأدلة بقوله: «ومن السُّنة: ما ثبت في الصحيح، عَن أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَىٰ وَالعِلمِ**(١)، **كَمَثَلِ الغَيثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرضًا فَكَانَ مِنهَا نَقِيَّةٌ**(٢) **قَبِلَتِ**(٣) **المَاءَ، فَأَنبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشبَ الكَثِيرَ**(٤)، **وَكَانَت مِنهَا أَجَادِبُ**(٥) **أَمسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا**(٦) **النَّاسَ فَشَرِبُوا**

(١) «الهُدَىٰ» أَي: الدَّلَالَةُ المُوَصِّلَةُ إِلَىٰ المَطلُوبِ، وَ«العِلمُ» المُرَادُ بِهِ مَعرِفَةُ الأَدِلَّةِ الشَّرعِيَّةِ. [«فتح الباري»، طبعة طيبة (١/ ٣٠٨)].

(٢) قَولُهُ: «نَقِيَّةٌ» هُوَ مِثلُ قَولِهِ فِي مُسلِمٍ: «طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ». [«فتح الباري»، طبعة طيبة (١/ ٣٠٩)].

(٣) قَولُهُ: «قَبِلَت» بِفَتحِ القَافِ وَكَسرِ المُوَحَّدَةِ، مِنَ القَبُولِ. [«فتح الباري»، طبعة طيبة (١/ ٣٠٩)].

(٤) قَولُهُ: «الكَلَأَ» بِالهَمزَةِ بِلَا مَدٍّ، وقَولُهُ: «وَالعُشبَ» هُوَ مِن ذِكرِ الخَاصِّ بَعدَ العَامِّ؛ لِأَنَّ الكَلَأَ يُطلَقُ عَلَىٰ النَّبتِ الرَّطبِ وَاليَابِسِ مَعًا، وَالعُشبُ لِلرَّطبِ فَقَط. [«فتح الباري»، طبعة طيبة (١/ ٣٠٨)].

(٥) قَولُهُ: «أَجَادِبُ» بِالجِيمِ وَالدَّالِ المُهمَلَةِ بَعدَهَا مُوَحَّدَةٌ، جَمعُ (جَدَبٍ) بِفَتحِ الدَّالِ المُهمَلَةِ عَلَىٰ غَيرِ قِيَاسٍ، وَهِيَ الأَرضُ الصُّلبَةُ الَّتِي لَا يَنضُبُ مِنهَا المَاءُ. [«فتح الباري»، طبعة طيبة (١/ ٣٠٩)].

(٦) «فَنَفَعَ اللهُ بِهَا»؛ أَي: بِالإِخَاذَاتِ (وهي الأَجَادِب)، وَلِلأَصِيلِيِّ: «بِهِ» أَي: بِالمَاءِ. [«فتح الباري»، طبعة طيبة (١/ ٣٠٩)].

وَسقَوا وزَرَعُوا[(١)]، وَأَصَابَت مِنهَا طَائِفَةً أُخرَىٰ[(٢)] إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ[(٣)] لَا تُمسِكُ مَاءً وَلَا تُنبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَن لَم يَرفَع بِذَلِكَ رَأسًا وَلَم يَقبَل هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرسِلتُ بِهِ»[(٤)].

قَالَ القُرطُبِيُّ وَغَيرُهُ: «ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الدِّينِ مَثَلًا بِالغَيثِ العَامِ الَّذِي يَأتِي النَّاسَ فِي حَالِ حَاجَتِهِم إِلَيهِ، وَكَذَا كَانَ النَّاسُ قَبلَ مَبعَثِهِ، فَكَمَا أَنَّ الغَيثَ يُحيِي البَلَدَ المَيِّتَ فَكَذَا عُلُومُ الدِّينِ تُحيِي القَلبَ المَيِّتَ، ثُمَّ شَبَّهَ السَّامِعِينَ لَهُ بِالأَرضِ المُختَلِفَةِ الَّتِي يَنزِلُ بِهَا الغَيثُ.

فَمِنهُمُ: العَالِمُ العَامِلُ المُعَلِّمُ، فَهُوَ بِمَنزِلَةِ الأَرضِ الطَّيِّبَةِ شَرِبَت فَانتَفَعَت فِي نَفسِهَا وَأَنبَتَت فَنَفَعَت غَيرَهَا.

وَمِنهُمُ: الجَامِعُ لِلعِلمِ المُستَغرِقِ لِزَمَانِهِ فِيهِ غَيرَ أَنَّهُ لَم يَعمَل بِنَوَافِلِهِ أَو لَم يَتَفَقَّه فِيمَا جَمَعَ، لَكِنَّهُ أَدَّاهُ لِغَيرِهِ، فَهُوَ بِمَنزِلَةِ الأَرضِ الَّتِي يَستَقِرُّ فِيهَا المَاءُ فَيَنتَفِعُ النَّاسُ بِهِ، وَهُوَ المُشَارُ إِلَيهِ بِقَولِهِ: «**نَضَّرَ اللهُ امرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا**».

وَمِنهُم: مَن يَسمَعُ العِلمَ فَلَا يَحفَظُهُ وَلَا يَعمَلُ بِهِ وَلَا يَنقُلُهُ لِغَيرِهِ، فَهُوَ بِمَنزِلَةِ الأَرضِ السَّبخَةِ أَوِ المَلسَاءِ الَّتِي لَا تَقبَلُ المَاءَ أَو تُفسِدُهُ علىٰ غَيرِهَا.

---

(١) قَولُهُ: «وَزَرَعُوا» كَذَا لَهُ بِزِيَادَةِ زَايٍ، مِنَ الزَّرعِ...، وَلِمُسلِمٍ وَالنَّسَائِيِّ وَغَيرِهِمَا عَن أَبِي كُرَيبٍ: «وَرَعَوا» بِغَيرِ زَايٍ، مِنَ الرَّعيِ. [«فتح الباري»، طبعة طيبة (١/ ٣١٠)].

(٢) المُرَادُ بِالطَّائِفَةِ: القِطعَةُ. [«فتح الباري»، طبعة طيبة (١/ ٣١٠)].

(٣) قَولُهُ: «قِيعَانٌ» بِكَسرِ القَافِ، جَمعُ (قَاعٍ)، وَهُوَ الأَرضُ المُستَوِيَةُ المَلسَاءُ الَّتِي لَا تُنبِتُ. [«فتح الباري»، طبعة طيبة (١/ ٣١٠)].

(٤) متفق عليه.

وَإِنَّمَا جَمعَ فِي المَثَل بَينَ الطَّائِفَتَينِ الأُولَيينِ المَحمُودَتَينِ لِاشتِرَاكِهِمَا فِي الِانتِفَاعِ بِهِمَا، وَأَفرَدَ الطَّائِفَةَ الثَّالِثَةَ المَذمُومَةَ لِعَدَمِ النَّفعِ بِهَا. وَاللهُ أَعلَمُ»[١].

❊ ❊ ❊

(١) «فتح الباري»، طبعة طيبة (١/ ٣١٠).



نواقض الإسلام

اعلم أن نواقض الإسلام عشرة:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١١٦].

وقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢].

ومنه الذبح لغير الله؛ كمن يذبح للجن أو للقبر.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، كَفَرَ إجماعًا.

الثالث: من لم يُكَفِّر المشركين، أو يشك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كفر.

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه. كالذي يفضل حكم الطواغيت علىٰ حكمه، فهو كافر.

الخامس: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به، كفر. والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد:٩].

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر. والدليل

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

السابع: السحر، ومنه الصرف والعطف. فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢].

الثامن: مظاهرة المشركين، ومعاونتهم علىٰ المسلمين، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسىٰ عليه السلام، فهو كافر.

العاشر: الإعراض عن دين الله تعالىٰ، لا يتعلمه ولا يعمل به. والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا وأكثر ما يكون وقوعًا.

فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها علىٰ نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه.



الشرح

قال المؤلف رحمه الله: «نواقض الإسلام»، النواقض جمع (ناقض)، والناقض

أو النقض لغةً: هو الحل، حل عقد الشيء[1].

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾ [النحل:٩٢]؛ أي: حلت عقدها بعد غزله وحبكه.

والنقض اصطلاحًا -وفي هذا الباب-: هو نقض الإيمان والإسلام؛ أي: إفساده وهدمه، بمعنىٰ التحلل من الإسلام، والوقوع في الكفر، والشرك، والإلحاد.

فنواقض الإسلام هذه من ارتكبها، فقد زالت عنه صفة الإيمان والإسلام، ووقع في الشرك والكفر والإلحاد، وهو بذلك يكون معرضًا للوعيد الشديد، الذي هو الخلود في النار، وحبوط أعماله جميعها.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

اللهم إلا من تاب وآمن، ورجع إلىٰ الله تعالىٰ قبل موته ومات علىٰ الإسلام، فمآله الجنة إما ابتداء أو انتهاء.

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ-، جمع هذه العشر النواقض اجتهادًا منه، واستنباطًا لها من كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، وإلا فالنواقض كثيرة، لكن هذه أخطرها وأعظمها وأظهرها، فينبغي للإنسان أن يحذر هذه النواقض وغيرها مما يهدم الإسلام ويفسده.

---

(١) «النَّقضُ: إِفسَادُ مَا أَبرَمتُهُ مِن بِنَاءٍ أَو حَبلٍ أَو عَهدٍ». [«تفسير القرطبي» (١/ ٣٦٩)، طبعة مؤسسة الرسالة].

لأن هذه النواقض مُفسِدة للإيمان والتوحيد، كما يُفسِد الحَدَث وضوء الإنسان، فكما أن الإنسان إذا تطهر وخرج يريد الصلاة، لكن في طريقه أحْدَثَ، كأن خرج منه ريح أو بول، انتقض وبطل وضوؤه، فلا تقبل منه الصلاة حتىٰ يتطهر مرة أخرىٰ، فكذاك نواقض الإسلام، فمن ارتكب ناقضًا من هذه النواقض، تحلل من الإسلام، فلا يُقبَل منه عمل، وهو من أظلم الناس علىٰ وجه الأرض، ويَئُول إلىٰ النار خالدًا مخلدًا فيها، إن لم يتداركه الله تعالىٰ بالتوبة والرجوع إلىٰ الإيمان قبل الموت.



الناقض الأول

قال الشيخ -رحمه الله تعالىٰ-: «الأول: الشرك في عبادة الله»، والشرك هو أعظم الذنوب، وهو «تسوية غير الله بالله، في شيء من خصائص الله تعالىٰ»، كأن يعبد الله تعالىٰ، ويعبد غير الله كعبادته لله، فيخضع ويتذلل لغير الله، وربما سجد له وركع، أو دعاه كما يدعو الله، وطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله، أو نذر له، أو استغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله، سواء كان ذلك المدعوُّ نبيًّا، أو مَلَكًا، أو قبرًا، أو وثنًا، أو شيطانًا، وغير ذلك، وما أكثر هؤلاء، لا كثَّرهم الله تعالىٰ!

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨]، فأنذر الله تعالىٰ المشرك بهذا النذير العظيم، فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾؛ أي: لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك، ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ من الذنوب، سواء كانت من الكبائر أو الصغائر، فكل ذلك يغفره الله تعالىٰ ﴿لِمَن يَشَآءُۚ﴾ أو يعذبه علىٰ قدرها ولا يخلده في النار.

عَن أَنَسٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الظُّلْمُ ثَلاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يَغفِرُهُ اللهُ، وَظُلْمٌ يَغفِرُهُ اللهُ، وَظُلْمٌ لا يَترُكُهُ اللهُ.**

فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لا يَغفِرُهُ اللهُ فَالشِّركُ، وَقَالَ اللهُ: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان:١٣].

وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يَغفِرُهُ اللهُ: فَظُلْمُ العِبَادِ لأَنفُسِهِم فِيمَا بَينَهُم وَبَينَ رَبِّهِم.

وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لا يَترُكُهُ اللهُ: فَظُلْمُ العِبَادِ بَعضِهِم بَعضًا حَتَّىٰ يَدِينَ لِبَعضِهِم مِن بَعضٍ»(١).

ولذلك علىٰ الإنسان أن يخاف علىٰ نفسه من الشرك، وأن يحذَر من كل أنواع الشرك.

ذكر ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تأويل قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم:٣٥]، أن إِبرَاهِيم التَّيمِي كان يَقُولُ فِي قَصَصِهِ: «مَن يَأمَنُ البَلَاءَ بَعدَ الخَلِيلِ حِينَ يَقُولُ: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾؟!»(٢).

ثم استشهد المؤلف أيضًا بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴾؛ أي: حرم عليه الجنة تحريمًا أبديًّا، لا يدخلها ألبتة؛ لأنه عصىٰ الله تعالىٰ في أعظم الذنوب وأشدها خطرًا، ﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ خالدًا مخلدًا فيها، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢]؛ لأنه وقع في أعظم ظلم، وهو الشرك بالله تعالىٰ.

فلذلك ينبغي للإنسان أن يحذر من الشرك بكل صوره.

---

(١) «مسند أبي داود الطيالسي» والبزار، وحسنه الشيخ الألباني، انظر «الصحيحة» حديث رقم (١٩٢٧)، و«صحيح الجامع» (٣٩٦١).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٢/ ١٤٦)، وابن جرير (١٣/ ٦٧٧).

ثم مثَّل الشيخ لذلك بنوع من أنواع الشرك الأكبر التي ابتُلِي بها كثيرٌ من الناس في هذا الزمان، وهو الذبح لغير الله، فقال: «ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر».

وخصه الشيخ -رحمه الله تعالىٰ- بالذِّكر؛ لأنه كان مشتهرًا ومعروفًا في قريش، وكان هذا النوع هو أظهر ما عندهم من الشرك، من الذبح لغير الله تعالىٰ، كالذبح للجن وللأصنام وللقبور.

وهكذا في زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفي زماننا هذا أيضًا في بلاد المسلمين -إلا من رحم الله-، تفشَّت هذه الظاهرة وهذا العمل الشركي.

مع أن الله تعالىٰ قد حذَّر من ذلك، وبيَّن أن هذا من الشرك الأكبر، وبيَّن أن الذبح عبادة يحبها الله تعالىٰ، ولا يجوز صرفها لغير الله تعالىٰ.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

و«النسك»: الذَّبحُ.

قال ابن كثير: «وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾، يَأمُرُهُ تَعَالَىٰ أَن يُخبِرَ المُشرِكِينَ الَّذِينَ يَعبُدُونَ غَيرَ اللهِ وَيَذبَحُونَ لِغَيرِ اسمِهِ، أَنَّهُ مُخَالِفٌ لَهُم فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ صَلَاتَهُ لِلَّهِ وَنُسُكَهُ عَلَىٰ اسمِهِ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذَا كَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]، أَي: أَخلِص لَهُ صَلَاتَكَ وَذَبِيحَتَكَ، فَإِنَّ المُشرِكِينَ كَانُوا يَعبُدُونَ الأَصنَامَ وَيَذبَحُونَ لَهَا، فَأَمَرَهُ اللهُ تعالىٰ

بِمُخَالَفَتِهِم وَالِانحِرَافِ عَمَّا هُم فِيهِ، وَالإِقبَالِ بِالقَصدِ وَالنِّيَّةِ وَالعَزمِ عَلَىٰ الإِخلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ»[1]. اهـ

وعَن أَبِي الطُّفَيلِ قَالَ: قُلنَا لِعَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ: أَخبِرنَا بِشَيءٍ أَسَرَّهُ إِلَيكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا أَسَرَّ إِلَيَّ شَيئًا كَتَمَهُ النَّاسَ، وَلَكِنِّي سَمِعتُهُ يَقُولُ: «**لَعَنَ اللهُ مَن ذَبَحَ لِغَيرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَن آوَىٰ مُحدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَن لَعَنَ وَالِدَيهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَن غَيَّرَ منَار الأرض**»[2].

إذن؛ فالمتوجه لغير الله بهذه العبادة الجليلة -التي لا ينبغي أن تكون إلا لله تعالىٰ-، قد وقع في الشرك الأكبر، وهكذا قس علىٰ ذلك، فكل من صرف عبادة من أنواع العبادات لغير الله تعالىٰ[3]؛ فقد أشرك بالله شركًا أكبر، نسأل الله العفو والعافية والسلامة.



(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٤٩)، طبعة مؤسسة قرطبة.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٣) «وأنواع العبادة التي أمر الله بها: مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها، كلها لله تعالىٰ». رسالة «الأصول الثلاثة» للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.



الناقض الثاني

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الثاني**: من جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، كفر إجماعًا».

الناقض الثاني: أن يجعل الإنسان بينه وبين الله وسائط، يدعوهم ويسألهم الشفاعة، بل ويتوكل عليهم ويرجوهم كما يتوكل علىٰ الله ويرجوه، وهذا كفر بالإجماع؛ أي: أجمع عليه أهل العلم جميعًا، لا مخالف لأهل العلم في هذا الأمر؛ لأن النصوص الشرعية دلت علىٰ أن الخصومة فيه.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَي: فَاعبُدِ اللهَ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَادعُ الخَلقَ إِلَىٰ ذَلِكَ، وَأَعلِمهُم أَنَّهُ لَا تَصلُحُ العِبَادَةُ إِلَّا لَهُ [وَحدَهُ]، وَأَنَّهُ لَيسَ لَهُ شَرِيكٌ وَلَا عَدِيلٌ وَلَا نَدِيدٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾؛ أَي: لَا يُقبَلُ مِنَ العَمَلِ إِلَّا مَا أَخلَصَ فِيهِ العَامِلُ لِلَّهِ وَحدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ...

ثُمَّ أَخبَرَ تَعَالَىٰ عَن عُبَّادِ الأَصنَامِ مِنَ المُشرِكِينَ أَنَّهُم يَقُولُونَ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ

إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾؛ أَي: إِنَّمَا يَحمِلُهُم عَلَىٰ عِبَادَتِهِم لَهُم أَنَّهُم عَمَدُوا إِلَىٰ أَصنَامٍ اتَّخَذُوهَا عَلَىٰ صُوَرِ المَلَائِكَةِ المُقَرَّبِينَ فِي زَعمِهِم، فَعَبَدُوا تِلكَ الصُّوَرَ تَنزِيلًا لِذَلِكَ مَنزِلَةَ عِبَادَتِهِمُ المَلَائِكَةَ؛ لِيَشفَعُوا لَهُم عند الله فِي نَصرِهِم وَرِزقِهِم، وَمَا يَنُوبُهُم مِن أَمرِ الدُّنيَا، فَأَمَّا المَعَادُ فَكَانُوا جَاحِدِينَ لَهُ كَافِرِينَ بِهِ»(١).

فهذا الذي يجعل بينه وبين الله واسطة في طلب ما ينفعه ودفع ما يضره، سواء كان هذا الواسطة نبيًّا مرسلًا أو مَلَكًا مقربًا، فيدعوه ويسأله «يا فلان أغثني، يا فلان أجرني»!، إما قولًا بالدعاء والاستغاثة، أو عملًا بالتقرب إليه بالذبح، معتقدًا بذلك أن هذه الواسطة تقرب حاجته إلىٰ الله تعالىٰ وتشفع له بها عنده، يكون بفعله هذا قد أشرك شركًا أكبر، يخرج صاحبه من الملة ويخلِّده في النار؛ لأن الله تعالىٰ قد أمرنا بالتوجه إليه وإفراده بهذه العبادة العظيمة.

قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠].

وقال أيضًا -عز من قائل-: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦].

فأمرنا الله عَزَّ وَجَلَّ بدعائه مباشرة، وأنه أقرب إلينا من اتخاذ الشفعاء والوسطاء والأنداد.

فهذا من جهل الفاعل لهذا الأمر، وهذا هو فعل قريش في جاهليتهم -الذين

---

(١) «تفسير ابن كثير» [طبعة مؤسسة قرطبة (١٢/ ١١١-١١٢)].

اتخذوا من دون الله أولياء- في ذلك الزمان، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣]، فهم أقروا بالعبادة، وأقروا بأن الغاية من ذلك تقربهم إلىٰ الله بواسطتهم؛ ليشفعوا لهم عنده، فرد الله عليهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[1]، فكفَّرهم الله تعالىٰ، ووصفهم بالكذب والافتراء.

وينبغي للإنسان أن يحذر من هذا، وكم نرىٰ بين الناس من العوام والجهلة، بل من بعض الذين يدَّعون العلم، ولكنهم زاغوا وما عرفوا حقيقة العلم في توحيد الله تعالىٰ، ممن يستشيط حماسة وقوة في دعاء الجن وأصحاب القبور، فيستنجد بهم عند الشدائد والمحن والمصائب.

فهؤلاء يتخذونهم وسطاء بينهم وبين الله تعالىٰ، مع أن الأدلة الشرعية كلها تمنع ذلك وتحذر منه.

قال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨].

قال ابن كثير: «يُنكِرُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ المُشرِكِينَ الَّذِينَ عَبَدُوا مَعَ اللهِ غَيرَهُ، ظَانِّينَ أَنَّ تِلكَ الآلِهَةَ تَنفَعُهُم شفاعتُها عِندَ اللهِ، فَأَخبَرَ تَعَالَىٰ أَنَّهَا لَا تَنفَعُ وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَملِكُ

(١) **قال ابن كثير**: «أَي: لَا يُرشِدُ إِلَىٰ الهِدَايَةِ مَن قَصدُهُ الكَذِبُ وَالِافتِرَاءُ عَلَىٰ اللهِ، وَقَلبُهُ كَفَّارٌ يَجحَدُ بِآيَاتِهِ [وَحُجَجِهِ] وَبَرَاهِينِهِ».

شَيئًا، وَلَا يَقَعُ شَيءٌ مِمَّا يَزعُمُونَ فِيهَا، وَلَا يَكُونُ هَذَا أَبَدًا؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾. وَقَالَ ابنُ جَرِيرٍ: مَعنَاهُ: أَتُخَبِّرُونَ اللهَ بِمَا لَا يَكُونُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرضِ؟، ثُمَّ نَزَّهَ نَفسَهُ عَن شِركِهِم وَكُفرِهِم، فَقَالَ: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾»[(١)].

وهؤلاء وقعوا في التشبيه، فشبهوا الخالق بالمخلوق[(٢)]؛ لأنه كما هو معلوم

(١) «تفسير ابن كثير» [طبعة دار قرطبة (٧/ ٣٤٦)].

(٢) يقول الشيخ الفوزان -حفظه الله-: «فحصل من زعمهم هذا:

أولًا: أنهم قاسوا الله ﷻ على ملوك الدنيا، وهذا أمر باطل، وليس من تعظيم الله ﷻ، بل هو من تنقص الله بحيث إنهم قاسوه بخلقه وصرفوا شيئًا من عبادته لغيره، والشرك تنقص لله ﷻ، وليس تعظيمًا كما يزعمون.

ثانيًا: أن قياس الله علىٰ البشر تنقص لله تعالىٰ، فالله -جل وعلا- يعلم أحوال عباده، أما البشر والملوك فلا يعلمون أحوال الرعية إلا بأحد يبلغهم عنها لأنهم بشر، وأما الله ﷻ فإنه يعلم ما في السموات والأرض ولا يحتاج من يبلغه حوائج عباده.

ثالثًا: أن ملوك الدنيا بحاجة إلىٰ أن يقبلوا شفاعة الشافعين؛ لأنهم بحاجة إلىٰ الأعوان والوزراء، فلو ردوا شفاعتهم لتنكروا عليهم وعادوهم، فهم يقبلون شفاعتهم وإن كانوا يكرهون ذلك من أجل الإبقاء علىٰ ملكهم واستجلاب الناس للخضوع لهم، أما الله -جل وعلا- فإنه غني عن عباده، ولا يحتاج إلىٰ وزراء ولا شفعاء كملوك الدنيا.

رابعًا: أن ملوك الدنيا في الغالب لا يريدون الخير، ولا يعطون الطلب إلا مع تثاقل، وأما الله -جل وعلا- فكريم، ولا يؤثِّر عليه أحد في إرادة الخير لعباده، كما يؤثر علىٰ ملوك الدنيا، الله -جل وعلا- إذا طلبته ودعوته، فإنه قريب مجيب لا يحتاج إلىٰ وساطة، بخلاف ملوك الدنيا، فإنهم لا يعطون الطلب إلا بالتي واللتيَّا كما هو معروف؛ لأنهم بشر، وصفة البشر الشح والبخل والتمنع والتنكر، أما الله -جل وعلا- فإنه كريم مجيب قريب غني.

=

عند الجميع أن الحكام والأمراء إذا أراد الإنسان أن يتقرب إليهم، استشفع بمقرب لهم، من وزير أو قريب لهم أو ذو حظ عظيم عندهم، فأنزلوا الله تعالىٰ منازل هؤلاء، وشبهوا الخالق بالمخلوق(١).

=

خامسًا: أن ملوك الدنيا فقراء ينفد الذي عندهم، وقد لا يكون عندهم شيء ويحتاجون إلىٰ القرض والاحتيال، أما الله -جل وعلا- فعنده خزائن السموات والأرض، فهو غني كريم، كل حوائج الخلق عنده.

قال الله تعالىٰ في الحديث القدسي: «**يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر**»، فلو أن كل الخلق أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم اجتمعوا في صعيد واحد، وسألوا وأعطاهم الله حوائجهم كلها، لا ينقص ذلك من ملكه شيئًا، بخلاف ملوك الدنيا فلو أعطوا نفد الذي عندهم.

قال الله تعالىٰ: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل:٩٦]، فقياس الخالق سبحانه علىٰ المخلوق باتخاذ الوسائط عنده قياس باطل من وجوه متعددة».اهـ

«دروس في شرح نواقض الإسلام» للشيخ الدكتور صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ- [صفحة (٦٣-٦٤)، طبعة مكتبة الرشد].

(١) ولهذا كان الشرك من أعظم الظلم في حق الله تعالىٰ، إذ كيف يُسوي العاقلُ بينَ رب العالمين، وبين أحقر الخلق من بني آدم؟!

وتأمل قوله تعالىٰ فيهم: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧].

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما قدر هؤلاء المشركون ربهم حق قدره، ولا عظموه حق تعظيمه، بل فعلوا ما يناقض ذلك، من إشراكهم به من هو ناقص في أوصافه وأفعاله، فأوصافه ناقصة من كل وجه، وأفعاله، ليس عنده نفع ولا ضر، ولا عطاء ولا منع، ولا يملك من الأمر شيئًا.

=

وهذا لا شك أنه شرك أكبر لا ينبغي للإنسان أن يقع فيه، وهو شرك الكفار الأولين كما ذكرنا.

وينبغي علىٰ المسلم أن يُحذِّر منه، لاسيما أنه يَكثُر بين الجهال وبين العوام، وهم لا يشعرون بذلك، فينبغي تعليمهم وتحذيرهم من هذا الناقض، وإرشادهم إلىٰ التوحيد الخالص لله تعالىٰ، ودعوتهم إلىٰ التوجه إلىٰ الله تعالىٰ مباشرة، فهو عَزَّ وَجَلَّ القائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

❊ ❊ ❊

=

فسووا هذا المخلوق الناقص بالخالق الرب العظيم، الذي من عظمته الباهرة، وقدرته القاهرة، أن جميع الأرض يوم القيامة قبضة للرحمن، وأن السموات -علىٰ سعتها وعظمها- مطويات بيمينه، فلا عظمه حق عظمته مَن سوَّىٰ به غيره، ولا أظلم منه ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]؛ أي: تنزه وتعاظم عن شركهم به». «تفسير السعدي» (ص٧٢٩).



الناقض الثالث

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الثالث**: من لم يكفِّر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم؛ كفر».

المشركون ابتداء هم: اليهود، والنصارىٰ، وعبدة الأوثان، وغيرهم ممن اتبعهم، فهؤلاء مشركون، وينبغي لكل مؤمن مسلم أن يعتقد كفر هؤلاء، وألا يشك في كفرهم، وأن يكفِّرهم.

قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧].

وقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٧٣].

وقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة:٣٠].

وقال: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ

﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥].

وقال ﷻ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧].

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسمَعُ بِي أَحَدٌ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَم يُؤمِن بِالَّذِي أُرسِلتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِن أَصحَابِ النَّارِ**»(١).

فهذه بعض الأدلة في كفر المشركين، من اليهود، والنصارىٰ، وممن لم يتبع دين الإسلام، فعلىٰ المسلم أن يعتقد هذا الأمر الذي دلت عليه النصوص، وألا يشك فيه، وأن يلتزم بما دلت عليه.

وقول المؤلف: «من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم».

مثاله: كأن يقول قائل: «إن النصارىٰ أو اليهود، هؤلاء أصحاب كتب سماوية، وهم علىٰ دين، فأنا لا أكفرهم، وأتوقف في هذا الأمر!».

فقوله هذا؛ لا يجوز؛ لأن من لم يُكَفِّر من كَفَّرَه اللهُ ورسوله، فإنه يكفر بذلك.

وهكذا، كل مَن وقع في أمر مُكفِّر يُخرِج صاحبه من الملة، أو ارتد عن دين الإسلام، فإنه يجب علينا أن نعتقد كفره، ونكَفِّره، ونقول: إن هذا كافر، بلا تردد، ونجزم بذلك.

فإن قيل: ما الدليل علىٰ ذلك؟

---

(١) «صحيح مسلم» (١٥٥).

قلنا له: **الجواب علىٰ ذلك من وجهين:**

الأول: أن مَن لم يعتقد كفرهم لم يحقق ما دلت عليه شهادة أن «لا إله إلا الله»، من الكفر بالطاغوت.

قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦]، «والكفر بالطاغوت معناه: البراءة من عبادة غير الله، واعتقاد بطلانها، وأن الواجب علىٰ كل مكلف أن يعبد الله وحده، وأن يؤمن به، ويعتقد أنه سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة، وأن ما عبده الناس من دون الله من أصنام أو أشجار أو أحجار أو أموات أو جن أو ملائكة أو كواكب أو غير ذلك، أنه معبود بالباطل، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢].

فالمؤمن إذا علم أن فلانًا يعبد غير الله، وجب عليه البراءة منه، واعتقاد بطلان ما هو عليه، وتكفيره بذلك إذا كان ممن بلغته الحجة، ممن كان بين المسلمين، أو علم أنه بلغته الحجة، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [إبراهيم:٥٢].

فالله أوحىٰ القرآن إلىٰ نبيه ﷺ وجعله بلاغًا للناس، فمن بلغه القرآن أو السُّنة ولم يرجع عن كفره وضلاله وجب اعتقاد بطلان ما هو عليه وكفره»[1].

---

(١) «فتاوىٰ ومقالات الشيخ ابن باز» (٢٨/ ص ٢٢٩).

الوجه الثاني: أن «الذي يعلم حال الكافر وما هو عليه من الباطل، ثم لا يكفِّره، أو يشك في كفره، معناه: أنه مكذِّب لله ولرسوله ﷺ، غير مؤمن بما حرَّم الله عليه من الكفر، فاليهود والنصارىٰ كفارٌ بنص القرآن، ونص السُّنة، فالواجب علىٰ المكلفين من المسلمين اعتقاد كفرهم وضلالهم، ومن لم يكفرهم أو شك في كفرهم يكون مثلهم؛ لأنه مكذب لله ولرسوله، شاك فيما أخبر الله به ورسوله»[١].

قال المؤلف: «أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم».

كأن يقول: «أنا لا أدري هل هم كفار أم غير كفار؟ فهم أهل كتاب ولهم دينهم... ولعلهم... ولعلهم...».

فنقول: لا، هذا لا يجوز، بل لابد من أن تقر أنهم من المشركين، وتجزم بذلك، وإلا كَفَرت ونقضت إسلامك.

كذلك لا يجوز أن تصحح مذاهبهم، فإن مذاهبهم هذه مذاهب كفر، بشهادة الله وشهادة رسوله ﷺ، كأن يقول القائل -وما أكثرهم اليوم-: إن النصرانية فيها حق، أو أنها حق، وأن من أخذ بها فهو علىٰ خير، أو اليهودية، وأنهم مؤمنون بالله... أو شيء من المذاهب الكفرية التي هي كلها شرك وضلال، كالنقشبندية وغيرها...[٢].

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) «وهذا أشد كفرًا من الذي شك في كفرهم». دروس في «نواقض الإسلام» لمعالي الشيخ الدكتور صالح الفوزان (ص٨٠).

لا، هذا لا يجوز، فلابد من أن تكفِّر هؤلاء، وتكفِّر مذاهبهم، وتكفِّر طرقهم الكفرية الشركية، ومَن لم يفعل ذلك فقد كَفَر ونَقَضَ إسلاَمَه[(١)].

---

(١) مسألة:

يقول معالي الشيخ الدكتور صالح الفوزان -حفظه الله-:

«ينبني علىٰ تكفير الكفار أحكام كثيرة، نذكُرُ منها ما تيسَّر:

١ - أنه يجب بغض الكفار ومعاداتهم وعدم موالاتهم حتىٰ لو كانوا من أقرب الناس...

٢- ... المسلم لا يشيع جنازة الكافر ولا يجهزها ولا تدفن في مقابر المسلمين...

٣- المسلم لا يرث الكافر، والكافر لا يرث المسلم...

٤- لا يجوز أن يزوج الكافر من مسلمة خشية علىٰ دينها منه؛ لئلا تكون تحت سلطانه...

٥- وجوب الهجرة علىٰ المسلم من بلادهم...

٦- عدم بداءة المشركين والكفار بالسلام...

٧- لا يصدرون في المجالس ولا يفسح لهم الطريق...

٨- عدم تمكينهم من دخول الحرم المكي...

٩- يلزم ولي الأمر إخراجهم من جزيرة العرب...

١٠- عدم الثناء عليهم ومدحهم...

١١- تحريم التشبه بهم في لباسهم وعوائدهم الخاصة بهم...

بقي أن نعرف ما يجوز التعامل به معهم... فيجوز لنا:

١- أن نتعامل مع الكفار بالتجارة...

٢- أن نستفيد من خبراتهم ونستأجرهم للقيام بأعمال ليس عند المسلمين من يقوم بها...

٣- يجوز أن نعقد معهم معاهدات إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين...

٤- يجوز أن نكافئهم إذا أحسنوا إلينا...».

انظر: «دروس في نواقض الإسلام» لمعالي الشيخ الدكتور صالح الفوزان (من الصفحة ٨٣ إلىٰ الصفحة ٩٣) (طبعة مكتبة الرشد - ناشرون)، والكتاب من أنفس وأجمع الكتب -فيما أعلم- التي تناولت هذا المتن بالشرح والبيان.



الناقض الرابع

قال: «الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه؛ كالذي يفضل حكم الطواغيت علىٰ حكمه، فهو كافر».

هنا مسائل:

المسألة الأولىٰ: قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «من اعتقد»، انتبه لهذه اللفظة «اعتقد»، فإنها مهمة في هذا الشرط.

المسألة الثانية: قال: «أن هدي»، «وهديُ الرسول ﷺ: دينُه وطريقتُه التي يسير عليها في دعوته إلىٰ الله وفي تعليمه وفي أخلاقه، فإن الرسول ﷺ هو أكمل الناس».

ودليل ذلك من الكتاب والسُّنة:

قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٥٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

ومن السُّنة: ما أخرجه النسائي في «سننه»، عَن جَابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ ﵄ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي خُطبَتِهِ يَحمَدُ اللهَ وَيُثنِي عَلَيهِ بِمَا هُوَ أَهلُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: **مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِلهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، إِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحسَنَ الهَدي هَديُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلُّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»(١).

المسألة الثالثة: قال: «من اعتقد أن غير هدي النبي -عليه الصلاة والسلام- أكمل من هديه».

وهذا كفعل المتصوفة ودعاة الباطل، ممن يرون أنَّ عندهم من الهدي ما هو أفضل من هدي النبي -عليه الصلاة والسلام-، وأن لهم القدرة علىٰ الوصول إلىٰ الله تعالىٰ بطرقهم المبتدعة الضالة، أسرع مما يصل إليه الإنسان بهدي النبي -عليه الصلاة والسلام-.

فهم يعتقدون في الأولياء أن لهم اتصالًا بالله تعالىٰ مباشرة، فهم بلا واسطة يتلقون الأحكام من الله، ففاقوا باتصالهم هذا الأنبياءَ زعموا؟! فالنبي عندهم دون الولي، والولي عندهم أعظم، لماذا؟ لأن هذا الولي بزعمهم عنده هديٌ أكمل وأعظم من هدي النبي -عليه الصلاة والسلام-، فلا يحتكمون لهدي الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ولا بما جاء به من الآيات والحكمة من سنته ﷺ(٢).

---

(١) حديث رقم (١٥٧٨)، وأصله في مسلم لكن بلفظ: «**وَخَيرُ الهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ**».

(٢) وهذا نظير قول الصوفية أرباب عقيدة وحدة الوجود، إذ زعموا أن الرسالة والنبوة ينقطعان، والولاية لا تنقطع أبدًا، ولهذا من حاججهم بأن التشريع قد سد بابه بخاتم الأنبياء، ردوا عليه
=

فمن اعتقد هذا الأمر فهو كافر الكفر الأكبر المخرج من الملة؛ لأن من أركان الإسلام، ومن الأمور التي ينبغي للإنسان أن يعتقدها، أن يشهد «أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»، ومعنىٰ شهادة «أن محمدًا عبد الله ورسوله»: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصدِيقُهُ فِيمَا أَخبَرَ، واجتِنَابُ مَا عنه نهىٰ وزجر[1]، وألَّا يُعبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ[2].

=

بأن محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء وليس بخاتم الأولياء؟!

وانظر ما قاله أحد أتباع التيجاني في كتابه المعنون زورًا: «رماح حزب الرحيم علىٰ نحور حزب الرجيم» حيث نقل قول دجالهم الأكبر، حيث قال: «إن مقامنا عند الله في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء، ولا يقاربه من كَبُر شأنه ولا من صغر، وإن جميع الأولياء من الصحابة إلىٰ النفخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا».اهـ

وصدق فليس ثَمَّة إلا صنف واحد لا يصل الأنبياء إلىٰ مقامهم -من جهة الدنو وليس من جهة العلو- وهم صنف الشياطين والدجالين، فهؤلاء في أسفل السافلين، وأولئك -أي: الأنبياء والرسل وأولياء الله ممن سار علىٰ دربهم- في أعلىٰ عليين.

وانظر: رسالة «الهدية الهادية إلىٰ الطائفة التجانية» للشيخ تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكذلك رسالة «إعلام المسلمين بما في كلام التجاني من الكذب الظاهر والكفر المبين» طبعت مؤخرًا طبعة فاخرة عن دار التوحيد بالرياض، وانظر: المجلد الثاني من «جامع الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام ابن تيمية، فقد خص فصلًا في الرد علىٰ هذه الترهات، وخص فيه بالرد علىٰ ابن عربي فهو إمامهم في هذا الباب.

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧].

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه**».

(٢) «لا بالأهواء والبدع، فإن الأصل في العبادات التشريع، وكل بدعة ضلالة، هذا معنىٰ شهادة

=

فمَن زعم أن غير هدي النبيﷺ أكمل من هدي نبينا -عليه الصلاة والسلام-، فإنه يناقض معنىٰ ما دلت عليه هذه الشهادة، ومن المحال اجتماع المتضادين في قلب المرء ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب:٤]، فإما أن يعتقد مضمون هذه الشهادة ويلتزم بمعناها الذي دلت عليه فيستسلم ويخضع، وإما أن ينقض هذا المعنىٰ باعتقاد ضده أو باعتقاد جوازه، فيكون بذلك قد خرج من ملة الإسلام التي أنزلها الله علىٰ محمدﷺ، والتي أثنىٰ الله فيها بإتمام الدين وإكماله بما رضيه الله.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

وعليه أن يعتقد أيضًا أن رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه- قد بلَّغ عن الله تعالىٰ وأدىٰ الأمانة.

قال تعالىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ ﴾ [المائدة:٦٧].

= أن محمدًا رسول الله من طريق اللزوم، ولا ريب أنها تقتضي الإيمان به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما عنه نهىٰ زجر، وأن يعظم أمره ونهيه، ولا يقدَّم عليه قول أحد، ولا بد مع النطق بها من العمل بما دلت عليه، فقولها باللسان دون العمل بما دلت عليه لا يصير به من أهل شهادة أن محمدًا رسول الله، كما أن قوله: (لا إله إلا الله) بدون العمل بما دلت عليه لا يصير به من أهل شهادة أن لا إله إلا الله علىٰ الحقيقة، فأول ما يجب علىٰ الإنسان أن يعلم بقلبه علم يقين، وينطق بلسانه بالشهادتين، ويعمل بما دلت عليه». «حاشية الأصول الثلاثة» للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وأن مَن أراد الإسلام الحق فيلزمه اتباع هدي النبي -عليه الصلاة والسلام-، وأن يعلم أنه أكمل الهدي، ولا يجوز لكائن من كان أن يخرج عن هدي النبي -عليه الصلاة والسلام-.

المسألة الرابعة: قول المؤلف: «أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ﷺ؛ كالذي يفضل حكم الطواغيت علىٰ حكمه ﷺ، فهو كافر».

فيلحق إذن بالقسم الأول أيضًا: مَن حكَّم الطواغيت ورأىٰ أحكامهم مقدمة، وأنه يمكن الوصول إلىٰ الحق بواسطتهم، كالذين يتبعون الفلاسفة أو الصابئة أو الصوفية كما ذكرنا، وأن هذه الطريقة قد توصلهم إلىٰ منزلة أفضل مما قد يدركون إن التزموا بهدي النبي -عليه الصلاة والسلام-؟!

فهؤلاء قد ضلوا ضلالًا شديدًا؛ لأن هديَ النبي -عليه الصلاة والسلام- هو الهدي الحق.

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣-٤].

وأما هؤلاء، فإنما مثلهم كمثل مَن قال الله فيهم: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٢].

وهكذا، مَن تَحَاكَمَ إلىٰ القوانين الوضعية وجعلها مماثلة لحكم الله تعالىٰ الشرعي، فإن اعتقد بأن ذلك الحكم القانوني والوضعي أنه يوصله إلىٰ الحق، والتزم به، وأحبه، فإنه لا شَكَّ أنه كافر، ودليله قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤]؛ أي: أنهم تركوا حكم الله تعالىٰ

ورضوا بالقوانين الوضعية، معتقدين إما أنها أحسن من حكم الله تعالىٰ، وهذا كفر أكبر، أو أنها مماثلة لحكم الشريعة وهذا أيضًا كفر أكبر، أو كأن يقول: إن هذه القوانين من حكم بها لم يكن علىٰ باطل، وأنه مثله مثل الذي يحكم بالإسلام، وأننا لسنا ملزمين بتحكيم شريعة الله ﷻ، فيساوي بينها -أي: القوانين الوضعية- وبين ما أنزل الله، فهذا أيضًا كفر أكبر يخرج من الملة.

ويلحق بهؤلاء أيضًا: مَن اعتقد أن حكم الشريعة لا يناسب العمل به في هذا الزمان، وإنما يجب إخضاع الناس لقوانين جديدة تراعي تطورات العصر، فهذا أيضًا صاحبه كافر كفرًا أكبر، والعياذ بالله[1].

وهكذا من جعل هذه القوانين الوضعية -ولو مسألة واحدة منها- خيرًا وأحسن من شريعة الله تعالىٰ، فإنه يكفر بمجرد هذه المسألة فقط.

وأما من تحاكم إلىٰ القوانين الوضعية لهوىٰ في نفسه، وضعفًا في حاله، وميلًا إلىٰ الدنيا، مع اعترافه وإقراره أن شرع الله وهدي النبي -عليه الصلاة والسلام- هو الأَوْلىٰ والأفضل، وإنما فعل ذلك لهوىٰ في نفسه أو حمله الطمع؛ كأن دُفِعَ إليه مالٌ ليحكم بغير ما أنزل الله، مع اعتقاد أنه فعل محرمًا، فهذا لا يكفر الكفر المخرج من الملة، وإنما وقع في معصية وكبيرة من كبائر الذنوب، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]. قال: «كفر دون كفر»[2].

(١) دروس في «شرح نواقض الإسلام» للشيخ الفوزان (ص٩٩).
(٢) «الصحيحة» للشيخ الألباني (٦/ ص ١١٣).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧][(١)].

---

(١) **فتحصل أن مسألة الحكم بغير ما أنزل الله تشمل نوعين:**

- نوع يخرج من الملة.
- ونوع لا يخرج من الملة، ولكنه كبيرة من كبائر الذنوب.

فأما النوع الأول: وهو الذي يخرج من الملة فأقسامه خمسة:

١- أن يعتقد أن هدي غير الرسول ﷺ أكمل من هديه.

٢- أن يعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه.

٣- أن يعتقد أن حكم الشريعة لا يناسب هذا الزمان، وإنما يجب الإتيان بأحكام تتناسب وهذا الزمان.

٤- أن يعتقد أنه مُخير بين أن يحكم بالشريعة وأن يحكم بالقوانين.

٥- أن يعتقد أنه لا يلزمنا الالتزام بحكم الله، وأنه يجوز أن نحكم بغير ما أنزل الله تماشيًا مع متطلبات العصر.

وأما النوع الذي لا يخرج من الملة: فهو أن يعتقد أن حكم الله هو الأفضل، وأنه يجب أن يلتزم به كل من دخل الإسلام، وأن البشر مهما تقدمت عقولهم، فإنهم لن يضاهوا حكم الله ﷻ، ولكن مع ذلك غلبته شهوته؛ إما لطمع تحصيل مال أو منصب أو قرابة، فحكم بغير ما أنزل الله، فإنه لا يكفر، ولكنه علىٰ باب عظيم خطير من أبواب الفسوق في الدين، والله المستعان.

وقد بسط معالي الشيخ الدكتور صالح الفوزان القول علىٰ هذه الأقسام في الكتاب المذكور آنفًا «شرح نواقض الإسلام» -طبعة دار الرشد-، فليراجع فإنه شرح نفيس، وهو غير الشرح المختصر لفضيلته.



الناقض الخامس

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الخامس**: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ولو عمل به، كفر. والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٩]».

هنا مسائل:

المسألة الأولىٰ: قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾؛ أي: «لا يريدونه ولا يحبونه»[1]، ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾؛ أي: أبطلها.

المسألة الثانية: قوله: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾، يشمل ما جاء في الكتاب وما جاء في السنة، فكله منزَّل من عند الله.

المسألة الثالثة: ضد «البُغض»: المحبة، والمحبة شرط من شروط شهادة «لا إله إلا الله» وقد سبق الكلام عليها، وأيضًا ركن من أركان التعبد القلبية الثلاث، والتي لابد من وجودها في قلب المسلم، فوجودها في قلب المسلم فرضٌ لازمٌ، دل عليها قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٦٦).

ورأس الإيمان الحب والبغض في الله، والكافر قلبه خال من هذا الأمر.

ولهذا ثمامة بن أُثَال ﵁ لما أسلم قال للنبي ﷺ: «يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ مَا كَانَ عَلَىٰ الأَرضِ وَجهٌ أَبغَضَ إِلَيَّ مِن وَجهِكَ، فَقَد أَصبَحَ وَجهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِن دِينٍ أَبغَضَ إِلَيَّ مِن دِينِكَ، فَأَصبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِن بَلَدٍ أَبغَضُ إِلَيَّ مِن بَلَدِكَ، فَأَصبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلَادِ إِلَيَّ»(١).

وهذا دليل علىٰ أن من أبغض شيئًا مما أنزل الله، إنما باعِثُه البغضُ لدين الله، ودين رسولهﷺ.

المسألة الرابعة: «أن يبغض شيئًا مما جاء به الرسول -عليه الصلاة والسلام- ولو عمل به»؛ أي: أن عمله لا يغني عنه شيئًا، كأن يبغض الصلاة ومع ذلك يصلي، أو يبغض الزكاة ومع ذلك يتصدق، وهذه من شرائع الإسلام التي لا ينبغي للإنسان أن يبغضها، وهي من المعلوم من الدين بالضرورة، فمن أبغضها وكرهها وإن فعلها، فإنه بذلك يقع في الكفر.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢].

وقال أيضًا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء:٦١].

فالذي يبغض حكم الله ومع ذلك يعمل به، فهو منافق وكافر كفرًا أكبر

---

(١) متفق عليه.

يخرج من الملة، وعمله هذا من جنس عمل المنافقين، الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة:٦١].





الناقض السادس

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**السادس**: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه؛ كفر، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]».

هنا مسائل:

المسألة الأولىٰ: أن هذه الآية لها سبب، وهو ما أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» بسند صححه الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال: حَدَّثَنَا يُونُسُ بنُ عَبدِ الأَعلَىٰ، أَنبَأَ عَبدُ اللهِ بنُ وَهبٍ، ثنا هِشَامُ بنُ سَعدٍ، عَن زَيدِ بنِ أَسلَمَ، عَن عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ فِي غَزوَةِ تَبُوكَ فِي مَجلِسٍ يَومًا: مَا رَأَيتُ مِثلَ قُرَّائِنَا هَؤُلاءِ لا أَرغَبَ بُطُونًا، وَلا أَكذَبَ أَلسِنَةً، وَلا أَجبَنَ عِندَ اللِّقَاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ فِي المَجلِسِ: كَذَبتَ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ لأُخبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ وَنَزَلَ القُرآنُ، قَالَ عَبدُ اللهِ: فَأَنَا رَأَيتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ[1] نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَنكُبُهُ الحجارةُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إنما كنا نخوض[2]

---

(١) حبل يُشد به الرحل في بطن البعير.

(٢) وَالخَوضُ: الدُّخُولُ فِي المَاءِ، ثُمَّ استُعمِلَ فِي كُلِّ دُخُولٍ فِيهِ تَلوِيثٌ وَأَذًىٰ.

ونلعب!، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة:٦٥]»[1].

المسألة الثانية: الاستهزاء، هو الاستخفاف واللعب والسخرية، والتحقير، والنظر إليه شَزْرًا وبِعَدَم اهتمام، وتمني إزالة هذا الأمر، فيستهزئ به، ويسخر منه، ويستخف به، ويهون من أمره أمام الناس[2].

وحكم من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ؛ أي: مما جاء به الرسول -عليه الصلاة والسلام- مما هو وحي من الله تعالىٰ، أو استهزأ بثوابه، كأن يقال له: إن ثواب العمل الفلاني كذا وكذا، فيستهزئ بهذا الثواب، أو يستهزئ بعقابه، فهذا لا شك أنه كافر بنص الكتاب والسُّنة.

من ذلك، ما يفعله بعض الذين يستهزئون ببعض أحاديث النبي -عليه الصلاة

(١) «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص ١٢٣).

(٢) وهذا منافٍ للتعظيم الذي أمر الله به لرَسُوله، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢]، وانظر إلىٰ حال بعض الصحابة مع هذه الآية لما نزلت:

فعَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ افتَقَدَ ثَابِتَ بنَ قَيسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَعلَمُ لَكَ عِلمَهُ، فَأَتَاهُ، فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيتِهِ مُنَكِّسًا رَأسَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا شَأنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرفَعُ صَوتَهُ فَوقَ صَوتِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَد حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِن أَهلِ النَّارِ، فَأَتَىٰ الرَّجُلُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخبَرَهُ أَنَّهُ، قَالَ: كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ مُوسَىٰ: فَرَجَعَ إِلَيهِ المَرَّةَ الآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: **اذهَب إِلَيهِ، فَقُل لَهُ إِنَّكَ لَستَ مِن أَهلِ النَّارِ، وَلَكِنَّكَ مِن أَهلِ الجَنَّةِ**»، أخرجه البخاري (٤٨٤٦).

والسلام- كمن يستهزئ بحديث الذُّبابة[١]، من ذلكم الترابي -عامله الله بما يستحق-، حيث قال في محاضرة له بجامعة الخرطوم بتاريخ (٢٢/ ١٠/ ١٤٠٢هـ): (في الأمور العلمية يُمكن أن آخذ برأي الكافر، وأترك رأي النبيِّ ﷺ، ولا أجد في ذلك حرجًا ألبتة)[٢]، فهو يستهزئ بهذا الحديث.

وهكذا المدعو محمد الغزالي السقا -عامله الله بما يستحق-[٣].

---

(١) وهو الحديث الذي أخرجه البخاري وتلقته الأمة بالقَبول، حديث أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُم فَلْيَغْمِسهُ، ثُمَّ لِيَنْزِعهُ؛ فَإِنَّ فِي إِحدَىٰ جَنَاحَيهِ دَاءً وَالأُخرَىٰ شِفَاءً**».

(٢) وليست هذه هي الطامة الوحيدة من ترهاته، بل كان من المنادين أيضًا بوحدة الأديان، من ذلكم ما ذكر عنه في مؤتمر الحوار بين الأديان الذي عقد بالخرطوم بتاريخ (٤-٦/ ٥/ ١٤١٥هـ)، وكان ذلك في محاضرة بعنوان: (الحوار بين الأديان التحديات والآفاق): قال: «إنني أدعو اليوم إلىٰ قيام جبهة أهل الكتاب، وهذا الكتاب هو كلُّ كتاب جاء من عند الله»، وقال: «إنَّ البعد عن عصبية الدين، والتحرر من التعصب المذهبي، هو الباب المفضي إلىٰ حوار حقيقي بين الأديان، فإذا ترك أهل الأديان التعصب كلٌّ لمذهبه وملته، وأقبل علىٰ دراسة الأديان بعقل متفتح، كان أحرىٰ أن ينكشف له الأصل الواحد لهذه الأديان، واشتراكها في القيم الأساسية التي تدعو لها، وهذه هي دعوتنا اليوم: أن تقوم جبهة أهل الكتاب، والكتاب عندنا يُطلق في القرآن يُقصد به كلُّ كتاب جاء من عند الله».
وكان من المنادين أيضًا بالتجديد المذموم في الدين.

(٣) **يقول الشيخ العلامة ربيع -حفظه الله-: «لقد شد انتباهي أن الغزالي يشترك مع أبي رية في توجيه المطاعن إلىٰ جملة من الأحاديث الشريفة أذكر منها:**
١- حديث تميم الداري عن الدجال والجساسة. «الأنوار الكاشفة» (ص ١٣٤).
٢- حديث الاضطجاع بعد ركعتي الفجر. «الأنوار الكاشفة» (ص ١٧٤).
٣- أحاديث إثبات الصورة لله. «الأنوار الكاشفة» (ص ١٨٦).
=

انظروا يا عباد الله، كيف يقف الإنسان علىٰ حافة الكفر بكلمة مثل هذه، فيها استهزاء وسخرية من آيات الله، ومن أحاديث النبي -عليه الصلاة والسلام-، ومن صفات الله الثابتة في كتابه وسُنة نبيهﷺ.

انظروا كيف كان حال أولئك الذين كانوا مع الرسول -عليه الصلاة والسلام- في غزوة تبوك، يوم استهزءوا بحملة الدين، وهم أصحاب الرسول -عليه الصلاة والسلام-، فقالوا فيهم: «ما رَأَينَا مِثلَ قُرَّائِنَا هَؤُلاءِ، أَرغَبَ بُطُونًا، وَلا أَكذَبَ ألسنًا، وَلا أَجبَنَ عِندَ اللِّقَاءِ»، يقصدون الرسولﷺ وأصحابه، فنزلت فيهم هذه الآية العظيمة: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

فهم لم يستهزئوا بالله، ولم يستهزئوا بآيات الله، ولا برسوله ﷺ فقط، بل استهزءوا بحملة دين الله، وحملة هذه الآيات، واستهزءوا بالرسول -عليه الصلاة والسلام- أيضًا، استهزءوا بهم واستخفوا بهم واستحقروهم، فحكم الله

=

٤- حديث موسىٰ وملك الموت. «الأنوار الكاشفة» (ص ٢١٩).

٥- وحديث الذُّبابة.

٦- وبلغني عن ثقات أنه يسخر من حديث ضرس الكافر في النار مثل أُحد، وأبو رية ينكر حديث ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام. (ص٢٢١)، فلا يبعد أن ينكر الغزالي هذا الحديث، وحديث ضرس الكافر ... في تأويل مختلف الحديث.

هذا ما وجدت من الأحاديث التي يشترك الغزالي مع أبي رية في ردها والطعن فيها» انتهىٰ كلام الشيخ ربيع -حفظه الله-، وانظر كتابه «موقف الغزالي من السُّنة وأهلها» ففيه مزيد تفصيل لشبهه واستهزائه بأحاديث النبيﷺ.

علىٰ فعلهم هذا بأنه كفر، فقال: ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَـٰنِكُمۡ ﴾، وقوله: ﴿بَعۡدَ إِيمَـٰنِكُمۡۚ ﴾، فيه أنهم كانوا علىٰ إيمان، وهذا هو القول الراجح لأهل العلم، وأن الآية لا تختص فقط بالمنافقين(١).

فالله تعالىٰ صرح ﴿قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَـٰنِكُمۡ ﴾؛ أي: بعدما كنتم علىٰ إيمان، فأقر لهم شيئًا من الإيمان، ثم كفروا فلم ينفعهم ذلك الإيمان؛ لأنهم وقعوا في الاستهزاء بالرسول ﷺ وبالصحابة حملة هذا الدين، وهذا وعيد شديد لكل من وقع في هذا الأمر، نسأل الله العافية.



(١) ذهب أيضًا الشيخ الفوزان في تعليقه علىٰ النواقض إلىٰ ذلك، مستدلًّا بأن قوله تعالىٰ: ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَـٰنِكُمۡ ﴾ لا يختص بالمنافقين؛ لأن المنافقين ليسوا مؤمنين من الأصل.
[انظر: كتاب دروس في «شرح نواقض الإسلام» (ص١٢٨)، طبعة مكتبة الرشد].



الناقض السابع

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «السابع: السحر، ومنه الصرف والعطف. فمن فعله أو رضي به؛ كفر، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢]».

هنا مسائل:

المسألة الأولىٰ: تعريف السحر، وهو لغة: ما خفي وما لَطُف سببه.

وفي الشرع: هو عُقَد ورقىٰ وتمائم تؤثر في القلوب والأبدان باستخدام الشياطين، أن يرقي ويعقد ويتمتم بألفاظ غير معروفة يستعين فيها بالشياطين وبالجن(١).

---

(١) **ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في شرحه «فتح المجيد»، تعريف موفق الدين ابن قدامة المقدسي للسحر، في كتابه «الكافي»، حيث قال:** «السحر: عزائم ورقىٰ وعُقَد تؤثر في الأبدان، والقلوب، فيمرض، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه، قال الله تعالىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال الله سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق:١-٤]؛ يعني: السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن، وينفثن في عقدهن، ولولا أن للسحر حقيقة، لم يأمر بالاستعاذة منه». اهـ

المسألة الثانية: دليله من الكتاب والسُّنة:

أما من الكتاب: فالآية التي استدلَّ بها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡ﴾.

وأما من السُّنة: فما جاء عَن عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا قالت: «سَحَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَهُودِيٌّ مِن يَهُودِ بَنِي زُرَيقٍ يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بنُ الأَعصَمِ، قَالَت: حَتَّىٰ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيهِ أَنَّهُ يَفعَلُ الشَّيءَ وَمَا يَفعَلُهُ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ ذَاتَ يَومٍ أَو ذَاتَ لَيلَةٍ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ دَعَا ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ يَا عَائِشَةُ: **أَشَعَرتِ أَنَّ اللهَ أَفتَانِي فِيمَا استَفتَيتُهُ فِيهِ؟، جَاءَنِي رَجُلَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِندَ رَأسِي وَالآخَرُ عِندَ رِجلَيَّ، فَقَالَ الَّذِي عِندَ رَأسِي لِلَّذِي عِندَ رِجلَيَّ -أَوِ: الَّذِي عِندَ رِجلَيَّ لِلَّذِي عِندَ رَأسِي-: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟، قَالَ مَطبُوبٌ، قَالَ: مَن طَبَّهُ؟، قَالَ: لَبِيدُ بنُ الأَعصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيءٍ؟، قَالَ: فِي مُشطٍ وَمُشَاطَةٍ، قَالَ: وَجُفِّ طَلعَةِ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَينَ هُوَ؟، قَالَ: فِي بِئرِ ذِي أَروَانَ.**

قَالَت: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أُنَاسٍ مِن أَصحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ يَا عَائِشَةُ: **وَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ!**

قَالَت: فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أَحرَقتَهُ؟، قَالَ: **لَا، أَمَّا أَنَا فَقَد عَافَانِي اللهُ، وَكَرِهتُ أَن أُثِيرَ عَلَىٰ النَّاسِ شَرًّا، فَأَمَرتُ بِهَا فَدُفِنَت**»[(١)].

المسألة الثالثة: قول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن فعله أو رَضيَ به كفر».

---

(١) لفظ مسلم (٢١٩١)، وأخرجه البخاري أيضًا برقم (٣٢٦٨).

نعم، فالسحر كفر، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ هذه الأولىٰ.

والثانية: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

والثالثة: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢][1].

ووجه كفر الساحر: أن الساحر لا يستطيع فعل هذا السحر إلا بالاستعانة بالجن، ولا يمكن أن يستعين بهم أو يعينوه إلا بعد الوقوع في الكفر، فيأمرونه مثلًا بتلطيخ كتاب الله تعالىٰ بالنجاسات، كالحيض أو البول والغائط، أو يأمرونه بأمر كفريٍّ ظاهرِ الكفرِ فيفعله، فإذا فعل ذلك وقع في الكفر، فإذا ضمنوا كفره وولاءه فعلوا له ما يريد مقابل كفره وطاعته لهم، فيطيعونه في الإضرار بالناس، وهذا فيما قدَّره الله عليهم، لقوله تعالىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة:١٠٢]، فيفعلون أمورًا هي من المحرمات، ولكن تقع بإرادة الله ﷻ الكونية.

المسألة الرابعة: قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنه الصرف والعطف».

الصرف: هو أن يُصرَف الإنسان عن شيء يحبه، يُسحَر حتىٰ ينقلب حبُّه للشيء

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾؛ أي: ما له من نصيب، وكل من ليس له في الآخرة من خلاق، فمقتضاه أن عمله حابط باطل، لكن إما أن ينتفي النصيب انتفاء كليًّا فيكون العمل كفرًا، أو ينتفي كمال النصيب فيكون فسقًا». [«القول المفيد» (١/ ٤٩١)].

الذي كان واقعًا في محبته إلىٰ بُغْض وكُره، كأن يكون رجل يحب زوجته، فيسحرونه ليُصرَف عنها، فيكرهها، وهذا عن طريق العُقَد والرقىٰ والتمائم، وبالاستعانة بالشياطين، شياطين الجن والإنس، فهذا يقال له: «الصرف».

وأما العطف: فهو ضد الصرف؛ أي: يسحر الرجل حتىٰ يحببونه فيما لا يحب، فيحببونه في زوجته، فيكون كالبهيمة المنقادة، لا تميز بين القبيح والحسن، فيستجيب لكل أوامر المرأة وإن كانت علىٰ ضلال، وهذا أيضًا بفعل السحر.

المسألة الخامسة: قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن فعله أو رضي به كفر»، فمن فعل ذلك؛ أي: السحر، ومن باب أولىٰ من تعلَّمه وعلَّمه، أو رضي بفعله؛ لأن من رضي بالكفر فقد كفر[(١)]؛ كأن يذهب إلىٰ السحرة ويرضىٰ بما يفعلون، واستعان بهم في ذلك، معتقدًا [حلَّ] هذا الفعل وبرضًا عنهم، فهذا لا شك أنه يكفر.

إذن، فمن تعامل مع الجن والشياطين وتعلَّم السحر كفر[(٢)]، ومن علَّمه كفر، ومن عمل به كفر، ومن رضي به كفر.

---

(١) دروس في «شرح نواقض الإسلام» للشيخ الفوزان (ص١٤٩).

(٢) عمل به أم لم يعمل، وهذا هو قول الجمهور كما ذكر صاحب «أضواء البيان» [(٤/ ٥٧٦)، طبعة عالم الفوائد]؛ لأن الله وصفه بالضر، ولأن الكفر شرط في تعلُّمه، فمن يدري هل تصيبك المنية أثناء تعلمك له فيختم الله لك بسوء، ولهذا توقف بعض الصحابة -رضوان الله عليهم- في المرأة التي استفتتهم في تعلمها للسحر مع أنها لم تعمل به، وذلك في قصة عجيبة ذكرها الحافظ ابن كثير في «تفسيره» تحت الآية السابقة. انظرها في «تفسير ابن كثير» [طبعة طيبة (١/ ٣٦٠-٣٦١)].

المسألة السادسة: قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾؛ يعني: هذا السحر تأثيره لا يكون إلا بإذن الله تعالىٰ، وهو ابتلاء من الله تعالىٰ، يقدره الله علىٰ من يشاء من عباده.

المسألة السابعة: قوله تعالىٰ: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ﴾، وأعظم الضرر أنه يوقعهم في الكفر، فأي ضرر أعظم من هذا.

أما السحر الذي لا يتصل صاحبه بالشياطين، وإنما يقوم بأفعال أمام الناس من الشعوذة والتخييل، أو بواسطة أدهنة وأبخرة، دون اتصال بالجن، وقد يكون له تأثير علىٰ الإنسان بشكل من الأشكال، وكيفية من الكيفيات، لكن دون الاستعانة بالجن، فهذا الراجح أنه لا يكفر صاحبه، وإنما هو صاحب كبيرة، ولا يجوز له فعل ذلك.

أما إذا استحل هذا الفعل، واستحل أموال الناس المحرمة بهذا الفعل، وهي من أكل أموال الناس بالباطل، فاستحل أخذه لأموال الناس بهذه الكيفية، فإنه يكفر بلا شك، وذلك بعد إقامة الحجة عليه، ورفع الجهالة عنه، ثم إقراره لذلك؛ لأن استحلال ما حرَّم الله كُفرٌ مخرجٌ من المِلَّة، وناقضٌ آخر من نواقض الإسلام.

دليله: ما جَاءَ عَن عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ ﵁ قَالَ: «أَتَيتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِن ذَهَبٍ، فَقَالَ: **يَا عَدِيُّ، اطرَح عَنكَ هَذَا الوَثَنَ**. وَسَمِعتُهُ يَقرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١]، قَالَ: **أَمَا إِنَّهُم لَم يَكُونُوا يَعبُدُونَهُم، وَلَكِنَّهُم كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُم شَيئًا استَحَلُّوهُ،**

وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيهِم شَيئًا حَرَّمُوهُ»[١].

المسألة الثامنة: في أقسام السحر:

السِّحر في الشرع ينقسم إلىٰ قسمين: حقيقي، وتخييلي[٢].

فالتخييلي: دليله قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦].

وقوله: ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:١١٦]؛ «لِأَنَّ قَولَهُ: سَحَرُوا أَعيُنَ النَّاسِ، يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُم خَيَّلُوا لِأَعيُنِ النَّاظِرِينَ أَمرًا لَا حَقِيقَةَ لَهُ»[٣].

وأما الحقيقي: فتدلُّ عليه الآية السابقة من سورة البقرة، وتدل عليه سورة الفلق.

و«من كان سحره بواسطة الشياطين، فإنه يكفر؛ لأنه لا يتأتىٰ ذلك إلا بالشرك غالبًا... ومن كان سحره بالأدوية والعقاقير ونحوها، فلا يكفر، ولكن يعتبر عاصيًا معتديًا»[٤].

فينبغي للإنسان أن يحذر من السِّحر والسَّحرة، نسأل الله تعالىٰ أن يحفظنا وإياكم منهم.

---

(١) الترمذي (٣٠٩٥)، وحسنه الشيخ الألباني.

(٢) دروس في «نواقض الإسلام» للشيخ صالح الفوزان (ص١٤١).

(٣) «أضواء البيان» (٤/ ٥٤٦).

(٤) «القول المفيد» للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



الناقض الثامن

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «الثامن: مظاهرة المشركين، ومعاونتهم علىٰ المسلمين، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١]».

المظاهرة: هي المعاونة والمناصرة، والتأييد بالمال والفعل، وهذه منافية للإيمان؛ لأن فعله هذا يدل علىٰ أنه لم يتبرأ من الشرك وأهله، والتبرؤ من الشرك أمر واجب لابد منه، لأن كلمة «لا إله إلا الله» فيها نفي وإثبات، فالنفي دلت عليه كلمة «لا إله»، والإثبات دلت عليه كلمة «إلا الله»، والمراد بالنفيِ: نفيُ التأله لجميع الآلهة المعبودة بالباطل، والتبرؤ منها.

وانظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل:٣٦].

والطاغوت: «ما تجاوز به العبد حدَّهُ من متبوع، أو معبود، أو مطاع»[(١)].

(١) «القول المفيد» (١/ ٢٨)، طبعة دار ابن الجوزي.

قال ابن كثير: «وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؛ أَي: مَن خَلَعَ الأَندَادَ وَالأَوثَانَ وَمَا يَدعُو إِلَيهِ الشَّيطَانُ مِن عِبَادَةِ كُلِّ مَا يُعبَدُ مَن دُونِ اللهِ، وَوَحَّدَ اللهَ فَعَبَدَهُ وَحدَهُ، وَشَهِدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾؛ أَي: فَقَد ثَبَتَ فِي أَمرِهِ وَاستَقَامَ عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ المُثلَىٰ وَالصِّرَاطِ المُستَقِيمِ»[1].

والموحد مأمور بالكفر بالطاغوت، قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء:٦٠].

فمن لم يتبرأ من الطاغوت، ومن الكَفَرَة والمشركين الذين يفضلون عبادة الطواغيت علىٰ عبادة الله وحده، ولم يُحذِّر منهم، فإنه منهم؛ لأنه بفعله هذا يكون قد ناصَرَهُم وعاونهم وتولاهم.

فالواجب مباينتهم، والتبرؤ منهم، وعدم اتخاذهم أولياء، ولو كانوا أقرب قريب.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة:٢٣].

قال ابن كثير: «أمر تَعَالَىٰ بِمُبَايَنَةِ الكُفَّارِ بِهِ، وَإِن كَانُوا آبَاءً أو أبناء، ونهىٰ عن موالاتهم إذا ﴿ٱسْتَحَبُّوا۟﴾؛ أَي: اختَارُوا الكُفرَ عَلَىٰ الإِيمَانِ، وَتَوَعَّدَ علىٰ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٦٨٣)، طبعة دار طيبة.

ذلك كما قال تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [المجادلة:٢٢]»[1].

«قال العلماء: إن الله حرَّم علىٰ المؤمنين في كتابه، وعلىٰ لسان نبيه ورسوله محمدﷺ، أن يُوَالُوا المشركين ويظهروا لهم المودة، ولو بأدنىٰ شيء من أنواع الانبساط، وتوعدهم بأعظم وعيد، وزجرهم بأكبر زجر وتهديد، كما في الآيات التي تسمعها الآن من كلام الله المحكم المبين:

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران:٢٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٧].

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٣٨-١٣٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٤٤].

﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ

(١) «تفسير ابن كثير».

وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٨١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه مستلزم: بعدم ولايتهم [أي: الكفار][1]، وثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان؛ لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم.

وقال بعض المحققين: رتَّب الله علىٰ موالاتهم سخطه، والخلود في العذاب، وأخبر أن ولايتهم لا تحصل إلا ممن ليس بمؤمن، وأما أهل الإيمان بالله، وكتابه، ورسوله، فإنهم لا يوالونهم بل يعادونهم، كما أخبر الله عن خليله إبراهيم والذين معه.

وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ ﴾ [الممتحنة:١٣] الآية.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢] الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة:١] الآية.

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود:١١٣] الآية.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ

---

(١) زيادة من باب التوضيح.

فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١-٥٢] الآيتين.

﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [المائدة:٨٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٩].

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال:٧٣].

وقال في حق نبيه محمدﷺ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء:٧٤-٧٥].

وقال عن خليله إبراهيم عليه السلام ومن آمن معه: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤].

وقال عنه: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

وقال عنه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [مريم:٤٨].

قال العلماء: فهذه البراءة، وهذه الموالاة، هي معنىٰ (لا إله إلا الله)، لاشتمالها

علىٰ إثبات العبادة لله وحده، ونفيها عمن سواه؛ وهي حقيقة الإسلام، وهي ملة إبراهيم عليه السلام التي أمرنا باتباعها بقوله: ﴿أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣].

فهذه أيها المسلمون، بعض من آيات الله، ظاهرة الدلالة، بينة الحجة، واضحة البرهان، حاكمة بمنطوقها علىٰ كل مسلم يوالي الكفار والمشركين واليهود والنصارىٰ، ولا ينكر عليهم شركهم، ويحسن أفعالهم أو يشك في كفرهم، أنه كافر، ولو عرف التوحيد وعمل بشرائع الإسلام الظاهرة. ولو تتبعنا أقوال العلماء علىٰ هذه الآيات، لطال الكلام، وخرجنا عن مقصود الاختصار»[(١)].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الممتحنة:١]، هذه الآية نزلت في أمر حاطب بن أبي بلتعة، الصحابي الجليل البدري -رضي الله تعالىٰ عنه-، وفيه قصة.

فعن عَلِيٍّ رضي الله عنه قال: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيرَ، وَالمِقدَادَ، فقَالَ: **ائتُوا رَوضَةَ خَاخٍ[(٢)]، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً[(٣)] مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنهَا**.

---

(١) «الدرر السنية» (١٥/ ٤٧٢-٤٧٤).

(٢) «(رَوضَة خَاخ) بخاءين معجمتين، مَوضِع بِقرب حَمرَاء الأسد من المَدِينَة، كَذَا هُوَ الصَّحِيح، وَذكر البُخَارِي من رِوَايَة أبي عوَانَة: «حَاج» بإهمال الأولىٰ وَآخره جِيم، وَهُوَ وهم من أبي عوَانَة، وَحكىٰ الصَّابُونِي أَنه مَوضِع قريب من منىٰ، وَالأولُ الصَّحِيح».اهـ نقلًا من «المشارق» للقاضي عياض [(١/ ٢٥٠)، طبعة المكتبة العتيقة ودار التراث].

(٣) الظعينة: هم النِّسَاء، وَأَصله الهوادج الَّتِي يكنَّ فِيهَا، ثمَّ سُمِّي النِّسَاء بذلك. «المشارق».

فَانطَلَقنَا تَعَادَىٰ[١] بِنَا خَيلُنَا، فَإِذَا نَحنُ بِالمَرأَةِ، فَقُلنَا: أَخرِجِي الكِتَابَ، فَقَالَت: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَقُلنَا: لَتُخرِجِنَّ الكِتَابَ أَو لَتُلقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخرَجَتهُ مِن عِقَاصِهَا[٢]، فَأَتَينَا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: مِن حَاطِبِ بنِ أَبِي بَلتَعَةَ إِلَىٰ نَاسٍ مِنَ المُشرِكِينَ مِن أَهلِ مَكَّةَ، يُخبِرُهُم بِبَعضِ أَمرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟**

قَالَ: لَا تَعجَل عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنتُ امرَأً مُلصَقًا[٣] فِي قُرَيشٍ، -قَالَ سُفيَانُ: كَانَ حَلِيفًا لَهُم، وَلَم يَكُن مِن أَنفُسِهَا- وكَانَ مِمَّن كَانَ مَعَكَ مِن المُهَاجِرِينَ لَهُم قَرَابَاتٌ يَحمُونَ بِهَا أَهلِيهِم، فَأَحبَبتُ إِذ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِم، أَتَّخِذُ فِيهِم يَدًا يَحمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَلَم أَفعَلهُ كُفرًا، وَلَا ارتِدَادًا عَن دِينِي، وَلَا رِضًا بِالكُفرِ بَعدَ الإِسلَامِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **صَدَقَ.**

فَقَالَ عُمَرُ: دَعنِي يَا رَسُولَ اللهِ، أَضرِب عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ.

فَقَالَ: **إِنَّهُ قَد شَهِدَ بَدرًا، وَمَا يُدرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهلِ بَدرٍ، فَقَالَ: اعمَلُوا مَا شِئتُم فَقَد غَفَرتُ لَكُم.**

فَأَنزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١]»[٤].

---

(١) تجري. «المشارق».

(٢) لَيُّ خصلات الشَّعر بعضه علىٰ بعض، وضَفره ثمَّ ترسل. «المشارق».

(٣) أي: حليفًا لَهُم لست من جُملَتهم ونسبهم. «المشارق».

(٤) متفق عليه، واللفظ لمسلم [(٢٥٧٥)، بترقيم طبعة دار التأصيل].

فحاطب ﷺ كما في الحديث، فعل فعلًا ظاهره المعاونة والمناصرة لمشركي قريش في زمن الرسول -عليه الصلاة والسلام-، في غزوة الفتح في عام الفتح؛ لأنه كتب إليهم يخبرهم بخبر رسول الله ﷺ؛ ليتخذ بذلك عندهم يدًا، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فلما قال له رسول الله ﷺ: «**مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعتَ؟**»[(١)].

انظروا إلىٰ هذا السؤال العظيم الذي يفرق بين التولي الذي يخرج صاحبه من الملة، وبين الموالاة التي لا تخرج صاحبها من الملة[(٢)]، مع أن عمر بن الخطاب

---

(١) وهذه رواية البخاري.

(٢) جاء في «الدرر السنية» (٨/ ٤٥٥) ما نصه: «**وسئل**: عن الفرق بين الموالاة والتولي؟

فأجاب: التولِّي كفرٌ يخرج من الملة، وهو كالذبِّ عنهم، وإعانتهم بالمال والبدن والرأي.

والموالاة كبيرةٌ من كبائرِ الذنوب، كبَلِّ الدواة، أو بريِ القلم، أو التبشُّشِ لهم، أو رفع السوط لهم».اهـ

ويزيد ذلك بيانًا ووضوحًا ما فصله معالي الوزير الشيخ صالح آل الشيخ في محاضرة له بعنوان «الضوابط الشرعية لموقف المسلم من الفتن»، قال -وفقه الله-:

«فهاهنا عندنا في الشرع، وعند أئمة التوحيد، لفظان لهما معنيان، يلتبس أحدهم بالآخر عند كثيرين:

الأول: التولي.

الثاني: الموالاة.

التولي: مكفر.

الموالاة: غير جائزة.

والثالث: الاستعانة بالكافر واستئجاره: جائزة بشروطها.

فهذه ثلاث مسائل.

* أما التولي؛ فهو الذي نزل فيه قول الله -جلَّ وعلا-: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ
=

-رضي الله تعالىٰ عنه- وكان حاضرًا المجلس، لمَّا علم بمظاهرته ومعاونته للكفار

=

وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١]، وضابط التولي: هو نصرة الكافر علىٰ المسلم وقت الحرب، المسلم والكافر، قاصدًا ظهور الكفار علىٰ المسلمين.

فأصل التولي: المحبة التامة، أو النصرة للكافر علىٰ المسلم، فمَن أحب الكافر لدينه؛ فهذا قد تولَّاه توليًا، وهذا كفر.

* وأما موالاة الكفار؛ في مودتهم، ومحبتهم لدينهم، وتقديمهم، ورفعهم، وهي فسق وليست كفرًا.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة:١]، قال أهل العلم : ناداهم باسم الإيمان ، وقد دخل في النداء من ألقىٰ المودة للكفار ، فدلَّ علىٰ أن فعله ليس كفرًا ، بل ضلال عن سواء السبيل.

وذلك لأنه ألقىٰ المودة، وأسَرَّ لهم؛ لأجل الدنيا، لا شكًّا في الدين.

ولهذا قال النبي ﷺ لمَن صنع ذلك: «**ما حملك علىٰ ما صنعت؟** قال: والله ما بي إلا أن أكون مؤمنًا بالله ورسوله، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي...» الحديث. أخرجاه في «الصحيحين».

فمن هذا يتبيَّن أن مودة الكافر والميل له لأجل دنياه ليس كفرًا إذا كان أصل الإيمان والاطمئنان به حاصلًا لمن كان منه نوع موالاة.

* وأما الاستعانة بالكافر علىٰ المسلم أو استئجاره؛ فهذا قال أهل العلم بجوازه في أحوال مختلفة؛ يفتي أهل العلم في كل حال، وفي كل واقعة، بما يرونه يصح أن يُفتىٰ به.

وأما إعطاء الكفار أموالًا صدقة أو للتألُّف أو لدفع الشرور فهذا له مقام آخر، وهو نوع آخر غير الأقسام الثلاثة».اهـ

قال: «إِنَّهُ قَد خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالمُؤمِنِينَ، فَدَعنِي فَلِأَضرِبَ عُنُقَهُ»(١).

فقال له رسول الله ﷺ: «أَلَيسَ مِن أَهلِ بَدرٍ؟»، فَقَالَ: «لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ إِلَىٰ أَهلِ بَدرٍ فَقَالَ: **اعمَلُوا مَا شِئتُم فَقَد وَجَبَت لَكُمُ الجَنَّةُ**، أَو: **فَقَد غَفَرتُ لَكُم**. فَدَمَعَت عَينَا عُمَرَ، وَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ».

وحاطب -رضي الله تعالىٰ عنه- لما سأله النبي ﷺ بيَّن أن فعله هذا لم يكن كرهًا في الإسلام ولا بغضًا فيه، ولا رجوعًا ولا رِدَّة، وإنما أراد أن يكون له ظهيرٌ من هؤلاء الكفار في أمور دنيوية، فعرف رسول الله ﷺ حقيقة الأمر، وأن قلبه مطمئن بالإيمان، فتجاوز عنه.

فينبغي للإنسان أن يحذر من المناصرة، ومن المظاهرة لأهل الكفر علىٰ أهل الإسلام.

فإن مناصرة الكفار علىٰ المسلمين، مناصرتهم بالمحبة والبغض في الإسلام، فهذا تولٍّ لهم لا يحل، وهو كفر صريح ينبغي للإنسان أن يحذره، نسأل الله العفو والعافية.

---

(١) قال الحافظ في «الفتح»: «إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ عُمَرُ مَعَ تَصدِيقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِحَاطِبٍ فِيمَا اعتَذَرَ بِهِ لِمَا كَانَ عِندَ عُمَرَ مِنَ القُوَّةِ فِي الدِّينِ وَبُغضِ مَن يُنسَبُ إِلَىٰ النِّفَاقِ، وَظَنَّ أَنَّ مَن خَالَفَ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ استَحَقَّ القَتلَ، لَكِنَّهُ لَم يَجزِم بِذَلِكَ فَلِذَلِكَ استَأذَنَ فِي قَتلِهِ، وَأَطلَقَ عَلَيهِ مُنَافِقًا لِكَونِهِ أَبطَنَ خِلَافَ مَا أَظهَرَ.

وَعُذرُ حَاطِبٍ مَا ذَكَرَهُ، فَإِنَّهُ صَنَعَ ذَلِكَ مُتَأَوِّلًا أَن لَا ضَرَرَ فِيهِ. وَعِندَ الطَّبَرِيِّ مِن طَرِيقِ الحَارِثِ عَن عَلِيٍّ فِي هَذِهِ القِصَّةِ (فَقَالَ: **أَلَيسَ قَد شَهِدَ بَدرًا**؟ قَالَ: بَلَىٰ، وَلَكِنَّهُ نَكَثَ وَظَاهَرَ أَعدَاءَكَ عَلَيكَ)».اهـ [«فتح الباري» (١٠/ ٦٨٤)، طبعة طيبة].



الناقض التاسع

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**التاسع**: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمدﷺ كما وسع الخضرُ الخروجَ عن شريعة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو كافر».

هذا الناقض التاسع فيه أيضًا «من اعتقد»، فلابد للإنسان أن يعرف هنا أن الأمر عقيدة(١).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ»، وهذا عامٌّ، فلا يجوز للمسلم كائنًا من كان الخروج عن شريعة محمدﷺ، والتي هي الإسلام الخاص الذي جاء به.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:٨١-٨٢].

والشاهد ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ﴾(٢)،

---

(١) لأن من اعتقد ذلك كَفَر، وإن لم يعمل بهذا الاعتقاد، وذلك كمن يعتقد أن الخمر حلال مع أنه لا يشربها، فهو كافر، شرب أم لم يشرب.

(٢) إلا إن ادعىٰ أحد أن لفظة الرسول تشمل الرسول محمدًاﷺ، وتشمل كل من علا وتجاوز مقام الأنبياء؟! فمثل هذا لا تنفع معه النصوص، اللهم إلا العصا والسوط.

فهذا في حق الأنبياء فكيف بمن هو دونهم؟!

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا إخبار منه تعالىٰ أنه أخذ عهد النبيين وميثاقهم كلهم بسبب ما أعطاهم، ومَنَّ به عليهم من الكتاب والحكمة المقتضي للقيام التام بحق الله وتوفيته، أنه إن جاءهم رسول مصدق لما معهم، بُعِثَ بما بُعِثوا به من التوحيد والحق والقسط والأصول التي اتفقت عليها الشرائع، أنهم يؤمنون به وينصرونه، فأقروا علىٰ ذلك، واعترفوا، والتزموا، وأشهدهم، وشهد عليهم، وتوعد من خالف هذا الميثاق.

وهذا أمر عام بين الأنبياء أن جميعَهم طريقُهم واحدٌ، وأن دعوة كل واحد منهم قد اتفقوا وتعاقدوا عليها، وعموم ذلك أنه أخذ علىٰ جميعهم الميثاق بالإيمان والنصرة لمحمدﷺ، فمن ادعىٰ أنه من أتباعهم فهذا دينهم الذي أخذه الله عليهم وأقروا به واعترفوا، فمن تولَّىٰ عن اتباع محمد ممن يزعم أنه من أَتباعهم فإنه فاسقٌ خارجٌ عن طاعة الله، مكذِّبٌ للرسول الذي يزعم أنه من أتباعه، مخالفٌ لطريقه، وفي هذا إقامة الحجة والبرهان علىٰ كل من لم يؤمن بمحمدﷺ من أهل الكتاب والأديان.

وأنه لا يمكنهم الإيمانُ برسلهم الذين يزعمون أنهم أتباعهم حتىٰ يؤمنوا بإمامهم وخاتمهمﷺ»[(١)].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

---

(١) «تفسير السعدي» [طبعة دولة قطر، (٢/ ١٦١)، من مجموع مؤلفاته].

«فمن زهد عنه –أي: الإسلام- ورَغِب عنه فأين يذهب؟ إلىٰ عبادة الأشجار والأحجار والنيران، أو إلىٰ اتخاذ الأحبار والرهبان والصلبان، أو إلىٰ التعطيل لرب العالمين، أو إلىٰ الأديان التي هي من وحي الشياطين؟ وهؤلاء كلهم في الآخرة من الخاسرين»(١).

وعَن جَابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ رضي الله عنهما: «أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِن بَعضِ أَهلِ الكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَغَضِبَ، وَقَالَ: **أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابنَ الخَطَّابِ؟!، وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، لَقَد جِئتُكُم بِهَا بَيضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسأَلُوهُم عَن شَيءٍ فَيُخبِرُوكُم بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَو بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، لَو أَنَّ مُوسَىٰ كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَن يَتَّبِعَنِي**»(٢).

ثم ضرب الشيخ –رحمه الله تعالىٰ– مثالًا بالخضر عليه السلام، فقال: «كما وسع الخضرُ الخروجَ عن شريعة موسىٰ عليه السلام»، فالذي يعتقد أنه بإمكانه الخروج عن شريعة الرسول –عليه الصلاة والسلام–، وأنه يصل بذلك إلىٰ مبتغاه، وإلىٰ رضوان الله تعالىٰ، وإلىٰ الله تعالىٰ، دون هذه الشريعة؛ بل يعتقد أنه يمكنه ذلك بأي شريعة كانت، سواء من عنده –أي: من اختراعه–، أو من اختراع غيره، كما يفعل غلاة المتصوفة؛ الذين يقولون: «نحن أصحاب حقيقة لا أصحاب شريعة»(٣)،

---

(١) المرجع السابق (صفحة ١٦٢).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (١٤٧٣٦).

(٣) ولهذا قال قائلهم: «فالجاهلون هم الذين اعتقدوا بالشرائعِ فقط، وأنكروا الحقائقَ مطلقًا، وظنُّوا أنَّهم لم يُكلَّفوا إلا بالصورِ الشرعيَّةِ الظاهرةِ».

وأننا نصل إلىٰ الله تعالىٰ إلىٰ منازل أعلىٰ من منازل الأنبياء بهذه الحقيقة؟!

فيقولون: «اعبدوا الله حتىٰ يأتيكم اليقين، فإذا أتاكم اليقين تحللتم من الأوامر، وسقطت عنكم التكاليف، وتكون لك صلة بالله تعالىٰ متصلة دون هذه الأفعال من العبادات التي جاء بها الرسول -عليه الصلاة والسلام-؟!

وهذا لا شك أنه كفر أكبر مخرج من الملة(١)؛ لأنه خرج من دين النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي أمرنا الله تعالىٰ باتباعه، فالله أمر الجن والإنس بطاعة رسول الله ﷺ، وأرسله للثقلين، لجميع من في الأرض منهم، فلا يسع أحدًا أن

---

(١) وهذا القول هو قول الملاحدة من أهل الزندقة والتصوف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأَمَّا استِدلَالُهُم بِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩]. فَهِيَ عَلَيهِم لَا لَهُم، قَالَ الحَسَنُ البَصرِيُّ: إنَّ اللهَ لَم يَجعَل لِعَمَلِ المُؤمِنِينَ أَجَلًا دُونَ المَوتِ، وَقَرَأَ قَولَهُ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾؛ وَذَلِكَ أَنَّ اليَقِينَ هُنَا المَوتُ وَمَا بَعدَهُ بِاتِّفَاقِ عُلَمَاءِ المُسلِمِينَ وَهَؤُلَاءِ مِن المُستَيقِنِينَ.

وَذَلِكَ مِثلُ قَولِهِ: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ [المدثر:٤٥-٤٧]. فَهَذَا قَالُوهُ وَهُم فِي جَهَنَّمَ. وَأَخبَرُوا أَنَّهُم كَانُوا عَلَىٰ مَا هُم عَلَيهِ مِن تَركِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالتَّكذِيبِ بِالآخِرَةِ وَالخَوضِ مَعَ الخَائِضِينَ حَتَّىٰ أَتَاهُم اليَقِينُ.

وَمَعلُومٌ أَنَّهُم مَعَ هَذَا الحَالِ لَم يَكُونُوا مُؤمِنِينَ بِذَلِكَ فِي الدُّنيَا، وَلَم يَكُونُوا مَعَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِم: ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤]. وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَتَاهُم مَا يُوعَدُونَ وَهُوَ اليَقِينُ.

وَمِنهُ قَولُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: لَمَّا تُوُفِّيَ عُثمَانُ بنُ مَظعُونٍ رضي الله عنه، وَشَهِدَت لَهُ بَعضُ النِّسوَةِ بِالجَنَّةِ. فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**وَمَا يُدرِيك؟ إنِّي وَاَللَّهِ وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا أَدرِي مَا يُفعَلُ بِي**. وَقَالَ: **أَمَّا عُثمَانُ فَقَد جَاءَهُ اليَقِينُ مِن رَبِّهِ**» أَي: أَتَاهُ مَا وَعَدَهُ وَهُوَ اليَقِينُ...

فَأَمَّا أَن يُظَنَّ أَنَّ المُرَادَ: اعبُدهُ حَتَّىٰ يَحصُلَ لَك إيقَانٌ ثُمَّ لَا عِبَادَةَ عَلَيك. فَهَذَا كُفرٌ بِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ المُسلِمِينَ». اهـ من «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٢٢٩-٢٣٠).

يؤمن بالله ويصح دينُه إلا بدين الرسول -عليه الصلاة والسلام-؛ لأنه مرسل إلىٰ الجميع، فلا ينبغي لأحد أن يخرج عن هذا الدين ثم يدَّعي أنه يصل إلىٰ الله تعالىٰ بطرق أخرىٰ، ويقيس فعلَه هذا علىٰ ما حصل لموسىٰ مع الخضر عليهما السلام.

الخضر عليه السلام ليس من بني إسرائيل، فلم يُكَلَّف بما جاء به موسىٰ عليه السلام؛ لأن ما جاء به موسىٰ عليه السلام من الشرائع خاص ببني إسرائيل، وإن كان دين الأنبياء واحدًا، لكنهم يختلفون في الشرائع، فالخضر عليه السلام لم يكن من بني إسرائيل، فلذلك وسعه أن يأتي بأشياء ليست مما أرسل به موسىٰ عليه السلام، ولذلك قال الخضر لموسىٰ عليهما السلام: «**إِنِّي عَلَىٰ عِلمٍ مِن عِلمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعلَمُهُ أَنتَ، وَأَنتَ عَلَىٰ عِلمٍ عَلَّمَكَهُ لَا أَعلَمُهُ**»[1]، ثم كان من أمره ما كان؛ من خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار، وكلها بأمر من الله تعالىٰ، وهو نبي علىٰ الراجح من كلام أهل العلم.

فالخضر عليه السلام خروجه بكونه نَبيًّا كما رجح بعض أهل العلم[2]، ولكون موسىٰ عليه السلام لم يُرسَل إليه، ولم يكلفه الله تعالىٰ باتباعه؛ لأنه ليس من بني إسرائيل، وأما من خرج عن دين محمد ﷺ من هؤلاء الغلاة الذين ذكرنا وغيرهم، فإنه بهذا الفعل يكفر ويشرك بالله تعالىٰ، فيُخلَّد بذلك في النار خالدًا مخلدًا، نسأل الله العفو والعافية.

❊ ❊ ❊

---

(١) «صحيح البخاري» كتاب العلم (١٢٢).

(٢) وآخرون رجَّحوا أنه رجل صالح.

الناقض العاشر

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**العاشر**: الإعراض عن دين الله تعالىٰ، لا يتعلمه ولا يعمل به. والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢]».

إذا تدبرنا هذه النواقض جميعها، وجدنا أن أسباب الوقوع فيها هو الإعراض، فالإعراض عن دين الرسول -عليه الصلاة والسلام- وهو دين الإسلام، يوقع في الشرك، يوقع في الذبح لغير الله، يوقع في السخرية والاستهزاء بالدين، يوقع في السحر المُكفِّر، يوقع في كل هذه النواقض، ولذا كان الإعراض عن دين الله تعالىٰ ناقضًا من نواقض الإسلام، وهو الناقض العاشر الذي ذكره الإمام المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والإعراض: هو عدم تعلم دِين الله تعالىٰ، وعدم طلب هذا العلم الشرعي، كأن يكون هذا العلم مهيأً له، ويستطيع أن يتعلمه وأن يهتدي به ويعمل به، ثم لا يتعلمه ولا يعمل به، إعراضًا منه وتكبرًا، وإلا فالدين يسير وسهل لمن يسَّر الله له هذا الأمر.

الآن انتشر العلماء وانتشر الدعاة -والحمد لله-، وكلٌّ من الناس قادر علىٰ

الأخذ بهذا الدين وتعلمه، لكنه يُعرض ويأبىٰ ويبتعد، وينشغل بأمور لا ينبغي الانشغال بها؟! وبخاصة أن هذه الأمور من الدين بالضرورة، لابد أن يتعلمها، أمور فرض عين علىٰ كل مسلم –أي: تعلم العلم الشرعي–.

وهذا جاء في حديث عن النبي –عليه الصلاة والسلام–: «**طَلَبُ العِلمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسلِمٍ**»(١).

والمقصود بذلك العلم الشرعي الذي هو فرض عين علىٰ كل مسلم، فيما لا يقوم به من الدين إلا بالضرورة، كعلم التوحيد، وعلم الصلاة وشروطها وأركانها، وعلم الزكاة لمن كان له مال، وهكذا...

فإن كان مع ذلك يتركها ويُعرض عنها، فلا يتعلم دين الله، ولا يعمل بدين الله تعالىٰ، فهذا لاشك أنه يقع في الكفر؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة:٢٢]، يعني: من أشد ظلمًا ممن ذكر بآيات الله، فذُكِّر ودُعي إلىٰ الإيمان، ودُعِي للتعلم، ثم أعرض عنها، وتركها، وابتعد عنها، وحَادَ عن هذا الأمر.

ثم ختم الشيخ كلامه فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا.

فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها علىٰ نفسه. نعوذ بالله من موجبات

(١) (صحيح) انظر حديث رقم (٣٩١٣) في «صحيح الجامع».

غضبه وأليم عقابه».

إذن من وقع في شيء من هذه النواقض:

١- إما هازلًا، يعني: يضحك ويمزح في قول أو فعل، فهذا فعله كفر، وقد مر معنا ذلك في الناقض السادس.

٢- أو يفعلها جادًّا، يعني: ليس مازحًا -مع عدم جواز المزح في ذلك-، وهذا لا شك في كفره؛ لأنه أظهر كفره وأعلنه.

٣- أو يفعلها خائفًا من الإكراه وليس مكرهًا -إنما يخاف أن يُكره فيفعل هذه الأمور-، فهذا أيضًا له نفس الحكم السابق، ولا فرق بينه وبين الهازل والجاد.

أما الذي يفعلها مكرهًا لكن قلبه مطمئن بالإيمان، فهذا لا ينطبق عليه الحكم الذي يترتب علىٰ ما مر من النواقض، أي: لا يكفر؛ لأنه مكره باللسان، وأما القلب فمطمئن بالإيمان، قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦].

ولذلك ينبغي للإنسان أن يحذر من الهزل، ومن المزح، ومن الوقوع في هذه الأمور.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكلها من أعظم ما يكون خطرًا وأكثر ما يكون وقوعًا.

فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها علىٰ نفسه. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه».

نعم، لا شك أن الإنسان ينبغي أن يحذر ويتَنَبَّه، وألا ينطق الكلمة إلا ويعلم ما تحمل من معاني، فإن أمر الدين عظيم، فليت شعري كيف يعقل أن الإنسان يعيش سنين طويلة وهو موحِّد لله تعالىٰ، مؤمن بالله، مذعن يُصلي ويفعل ويفعل، ثم تأتي زلة من لسانه لا يأبه بها، فيقع في شيء من هذه النواقض فيكفر بالله تعالىٰ، نسأل الله العافية.

ثم إن المسلم عليه ألا يكتفي بأن يحذرها ويخاف منها علىٰ نفسه فقط، بل وعلىٰ غيره أيضًا، يخاف منها علىٰ أهله، علىٰ أولاده، علىٰ قومه، علىٰ أهل بلده، ويُحذِّرهم وينصح لهم ويُبيِّن لهم ويُخوِّفهم، حتىٰ لا يقعوا في شيء من هذا وهم غافلون أو معرضون، نسأل الله السلامة والعافية.



التوحيد ثلاثة أنواع

الأول: توحيد الربُوبية:

وهو الذي أقر به الكفَّار علىٰ زمن رسول الله ﷺ، ولم يُدخلهم في الإسلام، وقاتلهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم. وهو توحيد الله بفعله تعالىٰ.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١]. والآيات علىٰ هذا كثيرة جدًّا.

الثاني: توحيد الألوهية:

وهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد، كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة، وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرآن.

الثالث: توحيد الذات والأسماء والصفات:

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:١-٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ

سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقال تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].



الشرح

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوحيد ثلاثة أنواع:

الأول: توحيد الربوبية:

وهو الذي أقر به الكفار علىٰ زمن رسول الله ﷺ، ولم يُدخلهم في الإسلام، وقاتلهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم. وهو توحيد الله بفعله تعالىٰ.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١]. والآيات علىٰ هذا كثيرة جدًّا».

ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا أن التوحيد ثلاثة أنواع، وهذا باستقراء العلماء من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، حيث تتبَّعوا نصوص الكتاب والسُّنَّة، فوجدوا أن التوحيد الذي ينبغي أن يُوحِّد المسلم به ربَّه علىٰ ثلاثة أنواع.

قال: «الأول: توحيد الربوبية»، وهو توحيد الله تعالىٰ بأفعاله، أن تعتقد بأن الله تعالىٰ هو خالق كل شيء وموجده، وهو المالك لكل شيء، المحيي والمميت الذي يتوفىٰ الأنفس، الرزاق المدبِّر.

وكل هذه أفعالٌ لله تعالىٰ في خلقه، فإذا عرفنا ذلك، أيقنَّا أن لا خالق مع الله ولا مالك مع الله، ولا مُدَبِّر مع الله تعالىٰ، وهذا أمر قد أقرَّ به أهل الكفر في

جميع الأزمنة، ولم ينفِ هذا ويجحده إلا قليل من الملاحدة والدهريين، وإلا فجميع من علىٰ وجه الأرض، سواء ممن يشركون بالله تعالىٰ أو لا يشركون، جميعهم يقرون بتوحيد الربوبية لله تعالىٰ(١).

قريش، القوم الذين بُعِثَ فيهم الرسول ﷺ، كانوا يقرون بهذا التوحيد، توحيد الربوبية -إجمالًا، وإن كانوا يخالفون في بعض الأمور في توحيد الربوبية-، ومع ذلك لم يحصُل لهم الأمان بهذا التوحيدِ، توحيدِ الربوبية، ولم يدخلوا به الإسلام، بل قاتلهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم؛ لأنهم لم يُحققِّوا التوحيد الصحيح الذي دلَّت عليه كلمة «لا إله إلا الله»، والذي يعصم دماءهم وأموالهم.

فهذا التوحيد -توحيد الربوبية- لا ينفع معتقده وقائله، وإنما لابد فيه من تحقيق توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

ثم استدل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن

---

(١) قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «أضواء البيان» (٣/ ٤٨٨): «وَإِنكَارُ فِرعَونَ لِهَذَا النَّوعِ مِنَ التَّوحِيدِ فِي قَولِهِ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣].
تَجَاهُلٌ عَن عَارِفٍ أَنَّهُ عَبدٌ مَربُوبٌ؛ بِدَلِيلِ قَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء:١٠٢].
وَقَولُهُ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤].
وَهَذَا النَّوعُ مِنَ التَّوحِيدِ لَا يَنفَعُ إِلَّا بِإِخلَاصِ العِبَادَةِ لِلَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦].
وَالآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَىٰ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا».اهـ

يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١].

وجه الدلالة من الآية: أن الله احتج على المشركين بإقرارهم لربوبيته ﷻ، فقال لهم: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾.

يقولُ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «أَي: مَن ذَا الَّذِي يُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءَ المَطَرِ، فَيَشُقُّ الأَرضَ شَقًا بِقُدرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، فَيُخرِجُ مِنهَا ﴿حَبًّا ٢٧ وَعِنَبًا وَقَضۡبًا ٢٨ وَزَيۡتُونًا وَنَخۡلًا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبًا ٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس:٢٧-٣١]، أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ؟، فَسَيَقُولُونَ: اللهُ، ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ ﴾ [الملك:٢١].

وَكَذَلِكَ قَولُهُ: ﴿أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ [يونس:٣١]؛ أَي: الَّذِي وَهَبَكُم هَذِهِ القُوَّةَ السَّامِعَةَ، وَالقُوَّةَ البَاصِرَةَ، وَلَو شَاءَ لَذَهَبَ بِهَا وَلَسَلَبَكُم إِيَّاهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ [الملك:٢٣].

وَقَالَ: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ﴾ [الأنعام:٤٦].

وَقَولُهُ: ﴿وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾ [يونس:٣١]؛ أَي: بِقُدرَتِهِ العَظِيمَةِ، وَمِنَّتِهِ العَمِيمَةِ...

وَقَولُهُ: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ﴾ [يونس:٣١]؛ أَي: مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيهِ، وَهُوَ المُتَصَرِّفُ الحَاكِمُ الَّذِي لَا مُعَقِّبَ لِحُكمِهِ، وَلَا يُسأَلُ عَمَّا يَفعَلُ وَهُم يُسأَلُونَ.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩]، فَالمُلكُ كُلُّهُ العُلوِيُّ وَالسُّفلِيُّ، وَمَا فِيهِمَا مِن مَلَائِكَةٍ وَإِنسٍ وَجَانٍّ، فَقِيرُونَ إِلَيهِ، عَبِيدٌ لَهُ، خَاضِعُونَ لَدَيهِ، ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾؛ أَي: هم يعلمون ذلك وَيَعتَرِفُونَ بِهِ، ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ أَي: أَفَلَا تَخَافُونَ مِنهُ أَن تَعبُدُوا مَعَهُ غَيرَهُ بِآرَائِكُم وَجَهْلِكُم؟»[(١)].

فتبين بهذا الأمر إذن، أن توحيد الربوبية لا يُغني شيئًا، ولا يدخل المُقِرُّ به الإسلام، ولا يحقن الدماء ولا الأعراض ولا الأموال، بل لابد من تحقيق أقسام التوحيد الأخرىٰ، توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

ولهذا قال الإمام محمد بن عبد الوهاب في رسالته «القواعد الأربع»، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القاعدة الأولىٰ: أن تعلم أنَّ الكفَّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرُّون بأنَّ الله تعالىٰ هو الخالِق المدبِّر، وأنَّ ذلك لم يُدخِلهم في الإسلام، والدليل: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١]».اهـ.

ثم قال المؤلف: «والآيات علىٰ هذا كثيرة جدًّا»، نعم، الآيات التي تدل علىٰ هذا الأمر كثيرة جدًّا في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، من ذلكم:

قوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٦٦-٢٦٧) طبعة طيبة.

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون:٨٤-٩١][١].

ثم انتقل المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ القسم الثاني من أقسام التوحيد، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الثاني: توحيد الألوهية: وهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد؛ كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة، وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرآن»[٢].

---

(١) وقد بسط القول في هذا الأمر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «أضواء البيان» المجلد الثالث، (من صفحة ٤٩٠ إلىٰ الصفحة ٤٩٣) طبعة دار عالم الفوائد، في كلام متين محرر لولا خشية الإطالة لسقته كله، فلينظر في مظانه.

(٢) **يقول الشيخ محمد الأمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، صاحب «أضواء البيان» ما نصه:** «وَضَابِطُ هَذَا النَّوعِ مِنَ التَّوحِيدِ هُوَ تَحقِيقُ مَعنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَهِيَ مُتَرَكِّبَةٌ مِن نَفيٍ وَإِثبَاتٍ.

فَمَعنَىٰ النَّفيِ مِنهَا: خَلعُ جَمِيعِ أَنوَاعِ المَعبُودَاتِ غَيرَ اللهِ كَائِنَةً مَا كَانَت فِي جَمِيعِ أَنوَاعِ العِبَادَاتِ كَائِنَةً مَا كَانَت.

وَمَعنَىٰ الإِثبَاتِ مِنهَا: إِفرَادُ اللهِ -جَلَّ وَعَلَا- وَحدَهُ بِجَمِيعِ أَنوَاعِ العِبَادَاتِ بِإِخلَاصٍ، عَلَىٰ الوَجهِ الَّذِي شَرَعَهُ عَلَىٰ أَلسِنَةِ رُسُلِهِ -عَلَيهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-. وَأَكثَرُ آيَاتِ القُرآنِ فِي هَذَا النَّوعِ مِنَ التَّوحِيدِ، وَهُوَ الَّذِي فِيهِ المَعَارِكُ بَينَ الرُّسُلِ وَأُمَمِهِم: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥].

وَمِنَ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ هَذَا النَّوعِ مِنَ التَّوحِيدِ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ [محمد:١٩].

وَقَولُهُ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

=

النوع الثاني من توحيد الله تعالىٰ: هو توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية قد دل عليه توحيد الربوبية؛ لأنه -كما سبَقَ بيَانُه- توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، فالإنسان إذا أيقن أن الله تعالىٰ هو الخالق ولا خالق غيره، وهو المحيي ولا محيي غيره، وهو المالك ولا مالك غيره، وهو المدبر ولا مدبر غيره، أقرَّ بأن هذا الخالق، وهذا المحيي والمميت، وهذا المالك، وهذا المدبر، هو الإله الذي يستحق العبادة.

و«توحيد الألوهية» أو «توحيد العبادة» أو «توحيد القصد والطلب»، هو توحيد العبد بأفعاله نحو الله تعالىٰ في الطلب والقصد، وهو إفراد الله تعالىٰ بكل أنواع العبادات التي شرعها الله تعالىٰ علينا، فلا ينبغي أن تُوَجَّه إلَّا إلىٰ الله تعالىٰ وحده، خضوعًا وخشوعًا ومحبة، ومن توجه بهذه العبادات لله تعالىٰ ثم عَبَدَ معه غيره، فقد أشرك بالله شركًا أكبر.

والعبادات جمع عبادة، وهي كما عرَّفها شيخ الإسلام ابن تيمية: «كل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة»(١).

=

وَقَولُهُ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾ [الزخرف:٤٥].

وَقولُهُ: ﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٨].

قَد أَمَرَ فِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ أَن يَقُولَ: إِنَّ مَا أُوحِيَ إِلَيهِ مَحصُورٌ فِي هَذَا النَّوعِ مِنَ التَّوحِيدِ، لِشُمُولِ كَلِمَةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» لِجَمِيعِ مَا جَاءَ فِي الكُتُبِ؛ لِأَنَّهَا تَقتَضِي طَاعَةَ اللهِ بِعِبَادَتِهِ وَحدَهُ. فَيَشمَلُ ذَلِكَ جَمِيعَ العَقَائِدِ وَالأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، وَمَا يَتبَعُ ذَلِكَ مِن ثَوَابٍ وَعِقَابٍ، وَالآيَاتُ فِي هَذَا النَّوعِ مِنَ التَّوحِيدِ كَثِيرَةٌ».اهـ «أضواء البيان» (٣/ ٤٨٨-٤٨٩).

(١) **قال ابن القاسم في حاشيته علىٰ «الأصول الثلاثة»:** «وأحسن وأجمع ما عُرِّفت به هو ما

=

ومما يحبه الله ويرضاه: الصلاة، فهي عبادة جليلة، وكذلك الزكاة، والصيام والحج، وهذه من أركان الإسلام الخمس، وهي عبادات مؤلفة من أقوال وأفعال ظاهرة وباطنة، ومن ذلك أيضًا: الدعاء والنذر والذبح والاستغاثة.

فمن دعا غير الله، أو نذر لغير الله، أو ذبح لغير الله، أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فقد أشرك بالله شركًا أكبر، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

وقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

وقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧].

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وقوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩].

وكذلك من أنواع العبادة: الرجاء، فلا ترجو إلا الله.

والخوف فلا تخاف خوف السر إلا من الله تعالىٰ، وهذا غير الخوف الجِبلِّي.

وهكذا التوكل، فلا تتوكل إلا علىٰ الله تعالىٰ.

=

عَرَّفها به شيخ الإسلام». اهـ

وهذا التعريف ذكره شيخ الإسلام في رسالته المشهورة بـ«رسالة العبودية».

والرغبة في الله وما عند الله تعالىٰ من فضل وخير، والرهبة أيضًا من الله تعالىٰ، والإنابة إليه ﷻ، وكل نوع من هذه الأنواع جاء دليلها في القرآن والسنة.

فينبغي للإنسان أن يتدبر هذه الأمور، وأن يؤديها خالصة لوجه الله تعالىٰ، وعلىٰ هدي نبيه ﷺ، فلا يشرك مع الله أحدًا، كائنًا من كان، لا ملكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلًا، فمن صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالىٰ فقد أشرك، أجارنا الله وإياكم من ذلك.

ثُم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الثالث: توحيد الذات والأسماء والصفات:**

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:١-٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]».

هذا التوحيد هو توحيد الذات والأسماء والصفات، أن توحِّد الله تعالىٰ في ذاته، أنه واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحدٌ، هذا توحيد الذات، ذات الله تعالىٰ.

ثم توحيد أسماء الله تعالىٰ وصفاته، بأن تفرد الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته، وأن تعتقد أن الله تعالىٰ له الكمال المطلق في هذه الأسماء والصفات، التي دل

عليها كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، فنقر بها، ونؤمن بها، من غير تحريف[١] ولا تعطيل[٢]، ومن غير تكييف[٣] ولا تمثيل[٤].

فنثبت هذه الأسماء، ونثبت معانيها، ونثبت صفات الله ﷻ، ونعتقد أن لها كيفًا، لكن لا نعلم كُنْه هذا الكيف، بل هو من علم الله تعالىٰ، ولهذا لما قال رجل للإمام مالك: يا أبا عبد الله،﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، كيف استوىٰ؟

فأطرق مالك رأسه حتىٰ علاه الرحضاء، ثم قال: «الاستواء معلوم، والكيف

(١) من غير تحريف، أي «تغيير لألفاظ الأسماء والصفات أو تغيير لمعانيها... كقول الجهمية في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. أي: استولىٰ، وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢]؛ أي: أمره، **فالتحريف ينقسم إلىٰ قسمين:**
الأول: تحريف اللفظ، كقولهم في: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤]، بنصب لفظ الجلالة، وكقولهم في: ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ استولىٰ...
الثاني: التحريف المعنوي، كقولهم في قوله ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾؛ أي: جرحه بأظافير الحكمة تجريحًا».اهـ
[«التنبيهات السنية» للشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد (ص ٢٦)].

(٢) **التعطيل:** «لغة: الإخلاء... ومعناه هنا: هو جحد الصفات وإنكار قيامها بذاته ﷻ، ونفي ما دلت عليه من صفات الكمال». المرجع السابق (ص ٢٦).

(٣) **التكييف:** «هو تعيين كُنْه الصفة، يقال: كيَّف الشيء، أي: جعل له كيفية معلومة، وكيفية الشيء صفته وحاله، فالتكييف تعيين كنه الصفة وكيفيتها». المرجع السابق (ص٢٧).

(٤) **التمثيل:** «هو التشبيه، يقال: مثَّل الشيءَ بالشيء، سوَّاه وشبَّهه به وجعله مثله وعلىٰ مثاله» المرجع السابق نفسه (ص ٢٨).

مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأنت رجل سوء صاحب بدعة، أخرجوه».

فقول مالك: «الاستواء معلوم»؛ أي: في لغة العرب. وقوله: «والكيف مجهول»؛ أي: كيفية استوائه لا يعلمها إلا هو، «والإيمان به»؛ أي: بالاستواء «واجب»؛ لتكاثر الأدلة في إثباته، «والسؤال عنه»؛ أي: السؤال عن الكيفية بدعة، إذ لا يعلم كيفية استوائه إلا هو»[1].

وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة، نؤمن ونقر بكل اسم ورد في الكتاب أو السنة، ونؤمن ونقر بما دل عليه من المعاني، ونؤمن ونقر بكل صفة من صفات الله تعالىٰ، التي جاءت في كتابه العزيز أو سنة نبيه -صلوات الله وسلامه عليه-، سواء كانت من الصفات الذاتية؛ كصفة اليد، والوجه، والساق، والسمع، والعلم، والقدرة، أو من الصفات الفعلية؛ كالاستواء والنزول والمجيء والكلام وغيرها.

فنحن نؤمن بهذه الصفات، ونُقِر بها، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

ولا نُلحد في أسماء الله تعالىٰ، بأن ننكرها ونجحد حقائقها، أو نشبهها بخلقه، أو نشرك فيها، أو نعطلها، فكل هذا لا يجوز، وكل هذا من الإلحاد في أسماء الله تعالىٰ وصفاته[2].

---

(١) «التنبيهات السنية علىٰ العقيدة الواسطية» للشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد (ص ١٢٥).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإلحاد في أسماء الله تعالىٰ هو الميل بها عما يجب فيها، وهو أنواع:

=

ثم استدل المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:١-٤]؛ أي: «يا محمد»، قل: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ أي: واحد أحد فرد

=

الأول: أن ينكر شيئًا منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام؛ كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم، وإنما كان ذلك إلحادًا لوجوب الإيمان بها، وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله، فإنكار شيء من ذلك ميلٌ بها عما يجب فيها.

الثاني: أن يجعلها دالة علىٰ صفات تشابه صفات المخلوقين؛ كما فعل أهل التشبيه، وذلك لأن التشبيه معنىٰ باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص؛ بل هي دالة علىٰ بطلانه، فَجَعلُهَا دالةً عليه ميلٌ بها عما يجب فيها.

الثالث: أن يسمىٰ الله تعالىٰ بما لم يُسَمِّ به نفسه؛ كتسمية النصارىٰ له: (الأب)، وتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة)، وذلك لأن أسماء الله تعالىٰ توقيفية، فتسمية الله تعالىٰ بما لم يُسَمِّ به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة ينزه الله تعالىٰ عنها.

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام؛ كما فعل المشركون في اشتقاق العُزَّىٰ من العزيز، واشتقاق اللات من الإله، علىٰ أحد القولين، فسموا بها أصنامهم؛ وذلك لأن أسماء الله تعالىٰ مختصة به، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه:٨]، وقوله: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحشر:٢٤]، فكما اختص بالعبادة وبالألوهية الحق، وبأنه يُسَبِّحُ له ما في السموات والأرض فهو مختص بالأسماء الحسنىٰ، فتسمية غيره بها علىٰ الوجه الذي يختص بالله عَزَّوَجَلَّ ميلٌ بها عما يجب فيها.

والإلحاد بجميع أنواعه محرم؛ لأن الله تعالىٰ هَدَّدَ الملحدين بقوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

ومنه ما يكون شركًا أو كفرًا، حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية» «القواعد المثلىٰ».

صمد، «الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا وَزِيرَ، وَلَا نَدِيدَ وَلَا شَبِيهَ وَلَا عَدِيلَ، وَلَا يُطلَق هَذَا اللَّفظُ عَلَىٰ أَحَدٍ فِي الإِثبَاتِ إِلَّا عَلَىٰ اللهِ ﷻ؛ لِأَنَّهُ الكَامِلُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفعَالِهِ»(١).

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ الذي يصمد إليه جميع العباد في جميع حاجاتهم، فـ«هُوَ الَّذِي يُصمَد إِلَيهِ فِي الحَوَائِجِ، وَهُوَ الَّذِي قَدِ انتَهَىٰ سُؤدُدُهُ، وَهُوَ الصَّمَدُ الَّذِي لَا جَوفَ لَهُ، وَلَا يَأكُلُ وَلَا يَشرَبُ، وَهُوَ البَاقِي بَعدَ خَلقِهِ»(٢).

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾: ليس له أولاد، و ليس له أب أو أم ﷻ، ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس:٦٨].

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١] «أَي: هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيءٍ وَخَالِقُهُ، فَكَيفَ يَكُونُ لَهُ مِن خَلقِهِ نَظِيرٌ يُسَامِيهِ، أَو قَرِيبٌ يُدَانِيهِ، تَعَالَىٰ وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ»(٣).

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾؛ أي: شَبيهًا أو مَثِيلًا، فهذا فيه توحيد لله تعالىٰ، توحيدًا كاملًا في أسمائه وصفاته ﷻ، فينبغي للإنسان أن يؤمن بهذا، ويقر ويذعن.

---

(١) «تفسير ابن كثير»، سورة الإخلاص.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) السابق نفسه.

واستدل المؤلف أيضًا علىٰ هذا القسم من التوحيد بقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]؛ أي: لله خاصة، هنا قدم ما حقُّه التأخير، فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، وهذا لبيان الاختصاص؛ لبيان أن هذه الأسماء البالغة في الحسن غايته، إنما هي خاصة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأسماؤه تعالىٰ توقيفية، لا مجال للعقل فيها، «وعلىٰ هذا فيجب الوقوف فيها علىٰ ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يُزاد فيها ولا يُنقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالىٰ من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك علىٰ النص؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣].

ولأن تسميته تعالىٰ بما لم يسمِّ به نفسه، أو إنكار ما سمَّىٰ به نفسه، جناية في حقه تعالىٰ، فوجب سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار علىٰ ما جاء به النص»[(١)].

والله عَزَّ وَجَلَّ له أسماء نعلمها، ذكرها في كتابه وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وله أسماء لا نعلمها، استأثر بها في علم الغيب عنده، وهي أيضًا غير محصورة بعدد معين، فما عَلِمناه أقررنا به، وأثبتناه لله تعالىٰ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

---

(١) «القواعد المثلىٰ» للشيخ ابن عثيمين.

وقوله ﷻ: ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾؛ أي: فادعوا الله تعالىٰ، متوسلين بهذه الأسماءِ، أسماءِ الله الحسنىٰ.

قال: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾؛ أي: يجحدون، ويمكرون، ويعطلون، ويحرفون أسماءه سبحانه وتعالى، ﴿سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ من هذا التحريف، وهذا تهديد ووعيد، ونظيره: ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت:٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، وهذا فيه بيان من الله تعالىٰ لأولئك الذين ينفون صفات الله تعالىٰ ويشبهون ويمثلون، فقال سبحانه وتعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ نفي للمماثلة والتشبيه، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ إثبات لصفاته سبحانه وتعالى، ورَدٌّ علىٰ المعطلة الذين يعطلون أسماء الله تعالىٰ.

فهذه آيات عظيمة، وفي كتابِ اللهِ وسنةِ رسوله ﷺ الكثيرُ مما يثبت هذا الأمر العظيم.



ضد التوحيد: الشرك.

وهو ثلاثة أنواع:

شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي.

النوع الأول من أنواع الشرك: الشرك الأكبر، لا يغفره الله، ولا يقبل معه عملًا صالحًا، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

وقال سبحانه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].


الشرح

بعد أن ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهم ما ينبغي علىٰ المسلم طلب معرفته، وبيَّن قاعدة هذا الأمر وأصله وشرطه، وبيَّن ما ينقضه، شرع في بيان ما يضاد التوحيد، وذلك ببيان ما يقدح في أصلِه، أو في كماله الواجب، وهو الشرك بالله تعالىٰ.

وحدُّ الشرك «تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله»، والإنسان كما هو مطالب بتعلم التوحيد ليعلم حقيقته ويعمل به ويدعو إليه، فهو مطالب أيضًا بأن يعلم ما الذي يضاد هذا التوحيد، فينبغي أن يعلم ماهية الشرك الذي يضاد التوحيد، ويعلمه إجمالًا وتفصيلًا، ويَحذَره ويُحَذِّر منه.

قال: «ضد التوحيد: الشرك، وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي».

أقول: أما الشرك الأكبر: فهو ما ينافي أصل التوحيد؛ أي: فمن أشرك شركًا أكبر فقد انتفىٰ عنه التوحيد تمامًا، وخرج من ملة الإسلام.

أما الشرك الأصغر: فإنه ينافي كمال التوحيد الواجب، لكنه لا يُخرِج من الملة. فقد يكون موحدًا، لكنه لم يأتِ بكمال التوحيد الواجب الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم ويسعىٰ إليه.

وأما الشرك الخفي: فقد يكون إما شركًا أكبر، أو شركًا أصغر، كما سيأتي تفصيله إن شاء الله.

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النوع الأول من أنواع الشرك: الشرك الأكبر، لا يغفره الله، ولا يقبل معه عملًا صالحًا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦]».

فينبغي علىٰ الإنسان أن يحذر أشد الحذر من هذا النوع من الشرك، لماذا؟

لأن الشرك الأكبر صاحبه لا يُغفَر له، ومأواه جهنم خالدًا مخلدًا فيها، ولا يُقبَل له عملٌ، فلا تنفعه لا صلاة ولا صدقة ولا صيام.

وسُمي هذا النوع بـ«الشرك الأكبر»؛ لأنه أكبر وأعظم ذنب عُصِي به الله علىٰ وجه الأرض، وأكبر ظلم ومعصية يرتكبها الإنسان علىٰ وجه الأرض.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾، هذه الآية فيها بيان عاقبة من أشرك بالله شركًا أكبر، وأن صاحبه لا يغفر اللهُ له شركه به، وأنه يدخله نار جهنم خالدًا فيها مخلدًا.

ثم ذكر المؤلف قوله تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢].

وهذا أيضًا فيه بيان أن الكفر هو الشرك، وأن الشرك هو الكفر، **وفي هذا الأمر ثلاثة أقوال لأهل العلم:**

فمنهم: من يجعل الكفر أعمَّ من الشِّرك.

ومنهم: من يجعل الشرك أعم من الكفر.

ومنهم: من يجعل الكفر والشرك مُتَرَادفان في المعنىٰ، وفي هذا تفصيلٌ الكلامُ فيه ليس مقامه الآن(١).

(١) **فائدة نفيسة:** علق الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ قول الإمام الطحاوي: «فكان كل شرك بالله كفرًا، وليس كل كفر بالله شركًا»! **ما نَصُّه:**

=

=

«كيف يصح أن يقال في اليهود والنصارىٰ: إنهم ليسوا من المشركين، والله ﷻ قال في سورة «التوبة بعد آية ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ [التوبة:٢٨]: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [التوبة:٢٩-٣٠].

فمن جعل لله ابنًا؛ كيف لا يكون من المشركين؟! هذه زَلَّة عجيبة من مثل هذا الإمام الطحاوي. ولا ينافي ذلك أن لهم تلك الأحكام التي لا يشاركهم فيها غير أهل الكتاب من المشركين؛ فإنهم يشتركون جميعًا في أحكام أخرىٰ -كما لا يخفىٰ علىٰ أولي النُّهىٰ-.

وقد لا يعدم الباحث الفقيه -الذي نجَّاه الله من التقليد- في الكتاب والسنة ما يؤكد ما تقدم، ويبطل قول الطحاوي السابق: «...وليس كل كفر بالله شركًا» من ذلك تلك المحاورة بين المؤمن والكافر الذي افتخر بماله وجنَّتيه؛ كما قال ﷻ في سورة الكهف: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا﴾ [الكهف:٣٥-٣٦]؛ فهذا كَفَر ولم يشرك في رأي الطحاوي!

ولكن السِّياق يرده؛ فتابع معي قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف:٣٧-٣٨]؛ فتأمل كيف وصف صاحبَه الكافرَ بالكفر، ثم نزَّه نفسه منه معبِّرًا عنه بمرادِفِه وهو الشرك؛ فقال: ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾، وهذا الشرك مما وصَف به الكافرُ نفسَه فيما يأتي؛ فتابع قوله تعالىٰ - بعد أن ذكر ما وعظه به صاحبه المؤمن-: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف:٤٢].

قلت: فهذا القول منه -مع سباق القصة- صريح جدًّا في أن شركه إنما هو شَكُّه في الآخرة، وهذا كفر وليس بشرك في رأي الطحاوي! فهو باطل ظاهر البطلان.

وإن مما يؤكد ذلك من السُّنة قوله ﷺ: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**».

رواه الشيخان وغيرهما عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وهو مخرج في «الصحيحة» برقم (١١٣٣)، فإن

=

فمن أهل العلم من أخذ بالقول الأول، ومنهم من قال بالقول الثاني، كل ذلك في أقوال لأهل العلم.

والشَّاهد من ذلك: أن من أشرك بالله تعالىٰ؛ فَقَد حرم الله عليه الجنة تحريمًا أبديًّا، وأدخله النار خالدًا فيها مخلدًا، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢]؛ أي: لا أحد ينصرهم ويخرجهم ويشفع لهم في إخراجهم من النار إلىٰ الجنة،

=

المراد بهم اليهود والنصارىٰ؛ كما دلت علىٰ ذلك أحاديث أخر، منها قوله ﷺ: «**لئن عشتُ؛ لأخرجن اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب، حتىٰ لا أترك فيها إلا مسلمًا**». رواه مسلم وغيره وهو مخرج هناك (١١٣٤).

ولما كان حديث ابن عباس حجة قاطعة في الموضوع؛ غمز في صحته الطحاوي تعصبًا لمذهبه -مع الأسف-! وزعم أنه وهم من ابن عيينة، قال (٤/ ١٦): «لأنه كان يحدِّث من حفظه؛ فيحتمل أن يكون جعل مكان (اليهود والنصارىٰ): (المشركين)! ولم يكن معه من الفقه ما يميز به بين ذلك» كذا قال -سامحه الله- فإنه يعلم أن تحديث الحافظ الثقة -كابن عيينة- من حفظه ليس بعلة؛ بل هو فخر له، وأن تخطئة الثقة بمجرد الاحتمال ليس من شأن العلماء المنصفين، ولكنها العصبية المذهبية؛ نسأل الله السلامة!

وعلىٰ مذهب الطحاوي هذا يمكن أن يغفر الله الكفر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وبهذه الآية احتج ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ أبي حنيفة الذي هو مَتبوعُ الطحاويِّ في التفريق المزعوم؛ فقال عقبها (٤/ ٢٤٤): «فلو كان هاهنا كفر ليس شركًا؛ لكان مغفورًا لمن شاء الله تعالىٰ بخلاف الشرك، وهذا لا يقوله مسلم».

ثم أتبع ذلك بأدلة أخرىٰ قوية جدًّا، ثم قال: «فصَحَّ أن كل كفر شرك، وكل شرك كفر، وأنهما اسمان شرعيان، أوقعهما الله تعالىٰ علىٰ معنىٰ واحد». ولولا خشية الإطالة؛ لنقلت كلامه كله لنفاسته وعزته، فليراجعه من شاء المزيد من العلم والفقه».

[«سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» (١٣/ ٢١١- ٢١٣)].

إلا ما كان من شفاعة الرسول -عليه الصلاة والسلام- لأبي طالب، فخُفِّف عنه العذاب، ولم يخرجه من النار.

ثم استدل المؤلف أيضًا بقوله تعالىٰ: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣]، أي: جميع ما عملوا في هذه الدنيا -مما يؤجر عليه المسلم- لا يؤجر عليه الكافر المشرك، بل يُحَوَّل إلىٰ هباء منثور.

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥]؛ أي: إن وقع منك ذلك الشرك، وهذا شرط، ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾، فإذا وقع الشرط هنا وقع المَشرُوط، وهذا في باب العقائد، ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾؛ أي: جميع أعمالك لا قيمة لها، فتكون من الخاسرين الخالدين في النار.

وحاشىٰ الرسول -عليه الصلاة والسلام- والأنبياء أن يكونوا من ذلك.

قال القرطبي: «وَقِيلَ: الخِطَابُ لَهُ وَالمُرَادُ أُمَّتُهُ، إِذ قَد عَلِمَ اللهُ أَنَّهُ لَا يُشرِكُ وَلَا يَقَعُ مِنهُ إِشرَاكٌ» (١).



(١) «تفسير القرطبي» (١٨/ ٣٠٧).

الشرك الأكبر أربعة أنواع:

النوع الأول: شرك الدعوة.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥].

النوع الثاني: شرك النية والإرادة والقصد.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود:١٥-١٦].

النوع الثالث: شرك الطاعة.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

وتفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إياهم. كما فسرها النبيﷺ لعدي بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية.

النوع الرابع: شرك المحبة.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

الشرح

هنا شرع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان أنواع الشرك الأكبر، فذكر أنها أربعة أنواع، وهذه أيضًا استُقرِئت من كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأول: شرك الدعوة».

وشرك الدعوة هو أن يدعو غير الله تعالىٰ، فيما لا يستطيع إجابته فيه ولا يقدر عليه إلا الله تعالىٰ، فمن دعا غير الله تعالىٰ دعاءَ مسألة أو دعاء عبادة، كأن يتوجه إليه يدعوه ويناديه مُستغيثًا مضطرًّا متلهفًا، فهذا شرك أكبر، سواء كان المدعو نبيًّا مرسلًا، أو ملكًا مقربًا، أو قبرًا، أو وليًّا، أو جنًّا، كل هذا شركٌ بالله تعالىٰ شركًا أكبر، وإنما يُدعىٰ الله تعالىٰ وحده، ويُستغاث بالله تعالىٰ وحده، ويستنجد بالله تعالىٰ وحده، ويتضرع إلىٰ الله تعالىٰ وحده.

ثم استدل المؤلف بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥]. هذا في قريش والذين علىٰ أمثالهم في ذلك الزمان، كانوا إذا ركبوا في الفلك، ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾ فإذا اشتد بهم الكرب، ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ وعلموا أن لا مخرج من هذا الأمر إلا دعاء الله تعالىٰ، ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [يونس:٢٢]، هبوا إليه ودعوه واستنجدوا به،

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ من ذلك الأمر الذي أخافهم، وأصبحوا في أمان، ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥]، دعوا مع الله تعالىٰ آلهة أخرىٰ، من آلهتهم الباطلة التي يتقربون إليها، ويزعمون أنها واسطة بينهم وبين الله تعالىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، وهذا شرك أهل الجاهلية، فكيف بشرك أهل زماننا؟!

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في رسالة «القواعد الأربع»:

«أنَّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأوَّلين؛ لأنَّ الأوَّلين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدَّة، ومشركو زماننا شركهم دائم؛ في الرخاء والشدَّة».

سبحان الله! وفي زماننا المعاصر وُجِد من يشرك في الربوبية فيعتقد أنه ينفع ويضر، ونحو هذا مما هو من أفراد الربوبية الخاصة بالله وحده! هذا يصدر من الذين قد أسلموا وآمنوا بالله تعالىٰ، فتجدهم يدعون الله تعالىٰ وغيره في الرخاء، وإذا اشتد بهم الكرب، نسوا الله تعالىٰ واستنجدوا بأهل القبور والأولياء والأضرحة والجن والشياطين، فهؤلاء شركهم أعظم من شرك الجاهلية كما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ. فانظر إلىٰ هذا الضلال والجهل العظيم.

ومن الأدلة علىٰ أن الدعاء من العبادة، وأن دعاء غير الله شرك أكبر: قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]، فذكر في أول الآية الأمر بالدعاء، ثُم قال عقبه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، فجعل الدعاء عبادة، ومَن أبىٰ أن يدعو الله تعالىٰ واستكبر عن ذلك، فإنه عقابه ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾؛ أي: ذليلين صاغرين.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧]. فصرح في هذه الآية بأن دعاء غير الله كفر، لا يجوز صرفه لغير الله تعالىٰ؛ لأنه قال ﷻ في آخر الآية: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، فسمَّىٰ من توجه بالدعاء لغير الله تعالىٰ كافرًا.

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**النوع الثاني**: شرك النية والإرادة والقصد.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥-١٦]».

هذا هو النوع الثاني من الشرك الأكبر، شرك النية والإرادة، والنية هي القصد، والإرادة هي الميل، وكلاهما يحمل معنىٰ القصد، والاتجاه بالشيء، وإضماره في القلب، متجهًا به إلىٰ هذا الذي يدعوه، فإن كان لله تعالىٰ صحت نيته، وإن كان لغير الله تعالىٰ وقع في الشرك، فينبغي للإنسان إذا عبد أن يعبد الله تعالىٰ بنية خالصة لله تعالىٰ، منزهة عن الشرك، وبمتابعة للنبي -عليه الصلاة والسلام- منزهة عن الابتداع.

فشرك النية حاصل بعمل قلبي، بأن يتجه الإنسان بعمله قاصدًا غير الله تعالىٰ، وهذا شرك أكبر ينبغي الحذر منه، قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ يعني: أن من أراد الدنيا بعمله ولم يرد الآخرة، فإن الله يجازيه بثواب هذه الأعمال في الدنيا كاملة

مكملة كما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[١].

وأما في الآخرة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ لماذا؟؛ لأنهم لم يخلصوا أعمالهم لله تعالىٰ، وإنما جعلوها لغير الله تعالىٰ، فأشركوا مع الله تعالىٰ في قصدهم، فحبط عملهم وأدخلوا نار جهنم، والعياذ بالله[٢].

---

(١) ويشهد لهذا المعنىٰ ما جاء في «صحيح مسلم» (٢٨٠٨)، عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَظلِمُ مُؤمِنًا حَسَنَةً، يُعطَىٰ بِهَا فِي الدُّنيَا، وَيُجزَىٰ بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنيَا، حَتَّىٰ إِذَا أَفضَىٰ إِلَىٰ الآخِرَةِ لَم تَكُن لَهُ حَسَنَةٌ يُجزَىٰ بِهَا**».

(٢) **نقل الشيخ عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد» كلامًا متينًا لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -جَدّه- حول هذه الآية، فقال -رحم الله الجميع-:** «وقد سئل شيخنا المصنف رَحِمَهُ اللهُ عن هذه الآية فأجاب بما حاصله:

ذُكِر عن السلف فيها أنواعٌ مما يفعله الناس اليوم، ولا يعرفون معناه.

فمن ذلك: العمل الصالحُ الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقةٍ وصلاة، وصلةٍ وإحسانٍ إلىٰ الناس، وتركِ ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسانُ أو يتركُه خالصًا لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النِّعم عليهم، ولا همَّة له في طلب الجنة، والهرب من النار، فهذا يُعطَىٰ ثوابَ عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيبٌ، وهذا النوع ذكره ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

النوع الثاني: وهو أكبَرُ من الأول وأخوف، وهو الذي ذكره مجاهد في الآية أنها نزلت فيه، وهو أن يعمل أعمالًا صالحة، ونيَّتُه رياءُ الناس، لا طلب ثوابِ الآخرة.

النوع الثالث: أن يعمل أعمالًا صالحة يقصد بها مالًا، مثل أن يحج لمال يأخذه، لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذكر أيضًا هذا النوع في تفسير هذه الآية. وكما يتعلم الرجل لأجل مدرسةِ أهله أو مكسَبهم أو رياسَتهم، أو يتعلم =

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**النوع الثالث**: شرك الطاعة. والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١]».

وتفسيرها الذي لا إشكال فيه، أن المراد بقوله تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: أطاعوهم في استحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، لا دعاؤهم إيَّاهم، كما فسرها النبي ﷺ لعديٍّ بن حاتم رضي الله عنه لما سأله فقال: «لسنا نعبدهم»، فذكر له أن عبادتَهُم طاعتهم في

=

القرآن ويواظب علىٰ الصلاة لأجل وظيفة المسجد، كما هو واقعٌ كثيرًا.

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله مخلصًا في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه علىٰ عمل يُكَفِّره كفرًا يُخرِجُه عن الإسلام، مثلُ اليهود والنصارىٰ إذا عبدوا الله، أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة. ومثل كثيرٍ من هذه الأمة الذين فيهم كفرٌ أو شركٌ أكبرُ يُخرجهم من الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة، يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم علىٰ أعمالٍ تخرجهم من الإسلام، وتمنع قبول أعمالهم، فهذا النوع أيضًا قد ذكر في هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره.

وكان السلف يخافون منها، قال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبَّل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:٢٧].

ثم قال: بقي أن يقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس، والزكاة، والصوم، والحج، ابتغاء وجه الله، طالبًا ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالًا قاصدًا بها الدنيا، مثل أن يحج فرضَه لله، ثم يحجُّ بعده لأجل الدنيا، كما هو واقعٌ، فهو لِمَا غَلَبَ عليه منهما، وقد قال بعضهم: القرآن كثيرًا ما يذكر أهل الجنة الخُلَّص وأهل النار الخُلَّص، ويسكت عن صاحب الشائبتين، وهو هذا وأمثاله»اهـ. [«فتح المجيد» (٢/ ٢٤٨-٢٥٠)، طبعة إمام دار الهجرة].

المعصية، وسيأتي بيانه إن شاء الله.

إذن، العبادةُ ينبغي أن تكون طاعة لله تعالىٰ؛ لأن الله تعالىٰ هو الآمر بها، وهو الذي ينبغي أن نطيعه في هذه العبادة، فما أحلَّه الله تعالىٰ هو الحلال، وما حرَّمه الله تعالىٰ هو الحرام، فلا ينبغي أن نعصي الله تعالىٰ، وإنما نطيع الله تعالىٰ ونذعن له، مخلصين له الدين، مخلصين له العبادة، مطيعين له محبين لهذا الأمر، ومن أطاع غير الله تعالىٰ في أمر من الأمور، بأن حلَّل له حرامًا حرَّمه الله، أو حرَّم له حلالًا أحلَّه الله، فأطاعه فيه، واستجاب له في ذلك، وعمل بهذا، فإنه قد أشرك مع الله تعالىٰ آلهة أخرىٰ، بطاعته وانقياده واتباعه لهذا الأمر الذي خالف فيه طاعة الله تعالىٰ، سواء كان ذلك عالمًا أو عابدًا أو كائنًا من كان.

ولذلك ضرب المثل بهذا الآية العظيمة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾، قال: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ ﴾ أحبارهم: هم علماء اليهود، ورُهبانهم: هم عُبَّادُ النصارىٰ، ﴿أَرۡبَابٗا ﴾؛ أي: في حكم الرب من دون الله تعالىٰ، إذ إن الواجب علينا نحن أن نتخذ الله ربًّا وخالقًا وحاكمًا، هو المحلِّل وهو المحرِّم.

وأما اليهود والنصارىٰ، فقد اتخذوا هؤلاء الأحبار والرهبان، اتخذوهم أربابًا، يُحِلُّون ما أحلُّوا، ويُحرِّمون ما حرَّموا، ثم اتخذوا المسيحَ بن مريم أيضًا ربًّا، مع أنه لم يأذن بذلك الأمر المسيح -عليه الصلاة والسلام- ولم يرضَ بذلك.

ثم قال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾؛ لما جاء عدي بن حاتم -رضي الله تعالىٰ عنه- للنبي ﷺ، وسمعه يتلو هذه الآية، قال: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا لَسنَا نَعبُدُهُم؟ فَقَالَ: **أَلَيسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحلُّونه؟**. قَالَ: قُلتُ: بَلَىٰ، قَالَ: **فَتلكَ عِبَادَتُهُم**»(١).

فينبغي للإنسان أن يفرد الله ﷻ بالطاعة، فيوحد الله ﷻ في الطاعة والأمر والنهي، ومن أطاع غير الله تعالىٰ فيما ينبغي أن تكون طاعته لله تعالىٰ، فهذا قد وقع في شرك الطاعة، نسأل الله السلامة.

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**النوع الرابع**: شرك المحبة. والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة:١٦٥]».

هذا النوع الرابع من أنواع الشرك الأكبر، وهو شرك المحبة، والمحبة المأمور بها والتي يتعبد بها المرء ويتقربِ بها إلىٰ الله ﷻ، هي المحبة المستلزمة الجالبة للتعظيم والذل والخضوع، فهذه المحبة ينبغي أن تكون لله تعالىٰ، ومن أحب الله تعالىٰ بهذه المحبة، قُبِلت منه، وكان موحدًا، ومن أحب غير الله تعالىٰ محبَّةً كمحبَّة الله، أو أفرد تلك المحبَّة بخضوع وتذلل لغير الله تعالىٰ، فإنه قد أشرك بالله شركًا أكبر. وذلك معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد والترمذي برقم (٣٠٩٥)، ورمز له الشيخ الألباني بالحسن كما في «صحيح السنن».

وفي هذا -كما أشرنا من قبل- قولان لأهل العلم:

القول الأول: أنهم يحبون الله تعالىٰ ويحبون أيضًا آلهتهم بمثل محبتهم لله، فيُقسِّمون هذه المحبة بين الله تعالىٰ وبين هذه الأنداد.

والقول الآخر: أنهم يحبُّون هذه الأنداد كحب أهل الإيمان لله تعالىٰ(١).

وكلتا المحبَّتَيْن محبَّة تُخرِج صاحبها من الملة.

ومحبَّة الله تعالىٰ من أعظم المحَابِّ التي لا يُحَبُّ أحدٌ مثلها، سواء كان ملكًا مقربًا أو نبيًّا مرسلًا، ومحبة النبي ﷺ هي محبة واجبة لكنها دون محبة الله تعالىٰ، وهكذا محبَّة غيره من المخلوقات، فهي أيضًا دون محبة النبي ﷺ، وكلا المحبتين دون محبة الله عَزَّ وَجَلَّ(٢).

---

(١) «وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرجح القول الأول، ويقول: إنما ذُمُّوا بأن شركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة ولم يخلصوها لله كمحبة المؤمنين له.

وهذه التسوية المذكورة في قوله تعالىٰ حكاية عنهم، وهم في النار: أنهم يقولون لآلهتهم وأندادهم وهي مُحضَرَة معهم في العذاب: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨]. ومعلوم أنهم لم يسووهم برب العالمين في الخلق والربوبية، وإنما سوَّوهُم به في المحبة والتعظيم، وهذا أيضًا هو العَدلُ المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]. أي: يعدلون به غيرَه في العبادة التي هي المحبة والتعظيم». [«فتح المجيد» (٢/ ١٤٢-١٤٣) طبعة إمام دار الهجرة].

(٢) يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمحبة المشتركة ثلاثة أنواع:

أحدها: محبة طبيعية مشتركة، كمحبة الجائع للطعام، والظمآن للماء، وغير ذلك، وهذه لا تستلزم التعظيم.

=

=

والنوع الثاني: محبة رحمة وإشفاق، كمحبة الوالد لولده الطفل ونحوها، وهذه أيضًا لا تستلزم التعظيم.

والنوع الثالث: محبة أُنس وإلف، وهي محبة المشتركين في صناعة أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر لبعضهم بعضًا، وكمحبة الإخوة بعضهم بعضًا.

فهذه الأنواع الثلاثة هي المحبة التي تصلح للخلق بعضهم من بعض، ووجودها فيهم لا يكون شركًا في محبة الله سبحانه. ولهذا كان رسول الله ﷺ يحب الحلواءَ والعسل، وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد، وكان أحب اللحم إليه الذراع، وكان يحب نساءه، وكانت عائشة رضي الله عنها أحبَّهنَّ إليه، وكان يحب أصحابه، وأحبُّهم إليه الصديق رضي الله عنه.

وأما المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله وحده، ومتىٰ أحب العبد بها غيره كان شركًا لا يغفره الله، فهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم، وكمال الطاعة وإيثاره علىٰ غيره. فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلًا، وهي التي سوَّىٰ المشركون بين آلهتهم وبين الله فيها، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾، وأصح القولين أن المعنىٰ: يحبونهم كما يحبون الله، فيسوُّون بين الله وبين أندادهم في الحب. ثم نفىٰ ذلك عن المؤمنين فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]. فإن الذين آمنوا أَخلصوا حبَّهم لله لم يشركوا به معه غيره، وأما المشركون فلم يخلصوا لله.

والمقصود من الخلق والأَمر إنما هو هذه المحبة، وهي أول دعوة الرسل، وآخر كلام العبد المؤمن الذي إذا مات عليه دخل الجنة اعترافُه وإقرارُه بهذه المحبة، وإفراد الرب تعالىٰ بها. فهو أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا إلىٰ الله؛ وجميع الأعمال كالأدوات والآلات لها، وجميع المقامات وسائل إليها، وأسباب لتحصيلها وتكميلها وتحصينها من الشوائب والعلل؛ فهي قطب رحىٰ السعادة، وروح الإيمان وساق شجرة الإسلام» اهـ. ولأجلها أنزل الله الكتاب والحديث. [«طريق الهجرتين»، المجلد الثاني (٦٤١-٦٤٣)، طبعة دار عالم الفوائد].

النوع الثاني من أنواع الشرك:

شرك أصغر: وهو الرياء: والدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

النوع الثالث من أنواع الشرك:

شرك خفي: والدليل عليه: قوله ﷺ: «الشرك في هذه الأمة أخفىٰ من دبيب النملة السوداء علىٰ صفاة سوداء في ظلمة الليل». وكفارته قوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم»[1].


الشرح

هذا النوع الثاني من أنواع الشِّرك، حسب تقسيم المؤلف[2]، وهو الشرك الأصغر، وقيل: شرك أصغر، أي بمعنىٰ نوع شرك، ذنب دون ذنب، والشرك الأكبر أعظم الذنوب، والشرك الأصغر هو دون الشرك الأكبر؛ لأن صاحبه لا يُخلَّد

---

(١) «صحيح الجامع» (٣٧٣١).

(٢) لأن بعض أهل العلم يرىٰ أن الشرك ينقسم إلىٰ قسمين، وليس علىٰ ثلاثة أقسام، من بينهم الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ [«مجموع الفتاوىٰ والمقالات» (١/ ٤٣)]، والشيخ ابن عثيمين كذلك [«مجموع الفتاوىٰ والرسائل» (٢/ ٢٠٣-٢٠٢)].
واعتماد الشيخ ابن باز لهذا التقسيم -أعني: أن الشرك قسمين- هو باعتبار ما دلت عليه النصوص، والذين قسموا الشرك إلىٰ ثلاثة أقسام هم أيضًا يستندون إلىٰ نصوص ثابتة، وممن رأيته وافق المؤلف في تقسيمه: الشيخ صالح آل الشيخ في تعليقه علىٰ الثلاثة أصول حيث ذكر أن هذا التقسيم -يعني: ثلاثة أقسام- هو الأوضح. [(ص ٧٥-٧٧)، طبعة دار الحجاز].

في النار كما هو حال المشرك شركًا أكبر، وكذلك عمله لا يحبط كله، وإنما يحبط ما وقع فيه الشرك الأصغر، وهكذا الرياء، وهو من الشرك الأصغر.

فينبغي للإنسان أن يحذر من الشرك الأصغر ومن الرياء.

والشِّرك الأصغر مثل: أن يحلف الإنسان بغير الله تعالىٰ، كأن يقول: «أقسم بمحمد!»، يقصد الرسول -عليه الصلاة والسلام-، أو كأن يقول: «بحق هذه النعمة، أو الحلال الطيب!» وهكذا، يعني يحلف بغير الله تعالىٰ من جهة التعظيم.

أو يقول: «ما شاء الله وشاء فلان»، وهو لا يقصد رفعه إلىٰ منزلة الله تعالىٰ، إنما نوع تعظيم، وهكذا، وأيضًا كَمَن اتخذ أسبابًا غير مشروعة، كمن تعلَّق ودعة أو خيطًا، يعتقد أنه سبب من أسباب الشفاء، وليس شافٍ في ذاته، ولا مُضر في ذاته، ولا نافع في ذاته، وإنما جعله من الأسباب، هذا أيضًا من الشرك الأصغر.

والحاصل: أن أنواع الشرك الأصغر كثيرة، فكل شرك أصغر هو دون الشرك الأكبر، وهذا لا يعني أن يستخف به الإنسان، بل ينبغي عليه أن يحذره أشد الحذر، فهو أشد من الكبائر، ولهذا قال الصحابي الجليل ابن مسعود ﵁: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أحلف بغيره صادقًا»[(١)]. ففرَّق ﵁ بين الكبيرة والشرك الأصغر.

قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠]؛ أي: فمن كان يرجو لقاء الله ورؤية ربه في الآخرة، ماذا عليه أن يفعل؟

---

(١) صححه الشيخ الألباني، وانظر تخريجه في «الإرواء» (٢٥٦٢).

الجواب: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾؛ أي: مُوافِقًا للكتاب والسنة، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾؛ أي: خالصًا لله، ليس فيه شرك أكبر ولا أصغر[(١)].

ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ النوع الثالث من أنواع الشرك، وهو الشرك الخفي، وسُمِّي خفيًّا؛ إما لأن صاحبه يخفيه عن الناس، كحال المرائي بعبادته أمام الناس، كأن يقوم الإنسان مثلًا يصلي فيزين صلاته لما يرىٰ من نظر الناس إليه، يزيد من الخشوع فيها، يطول القيام والسجود وهكذا، فهذا أحد المعاني للشرك الخفي.

أو أن يكون المراد بالشرك الخفي ما يخفىٰ علىٰ كثير من الناس، فيقعون فيه دون إحساس منهم وشعور، كأن يقول: «لولا الله وفلان»، «لولا كذا وكذا»، فيجعل مع الله تعالىٰ شيئًا آخر في سبق لسان، أو في كلام لا يتأمل فيه معنىٰ مخالفًا يضاد التوحيد.

---

(١) أخرج اللالكائي في كتابه «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (أ-٧١٧)، بسنده إلىٰ عَلِيٍّ بن المَدِينِيِّ الغَسَّانِيّ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبدَ اللهِ بنَ المُبَارَكِ، عَن قَولِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، قَالَ عَبدُ اللهِ: مَن أَرَادَ النَّظَرَ إِلَىٰ وَجهِ خَالِقِهِ، فَليَعمَل عَمَلًا صَالِحًا، وَلا يُخبِر بِهِ أَحَدًا».

وعن الفضيل بن عياض: «قَالَ الفُضَيلُ بنُ عِيَاضٍ: هُوَ أَخلصُ العَمَلِ وَأَصوَبُهُ، فَسُئِلَ عَن مَعنَىٰ ذَلِكَ، فَقَالَ: إنَّ العَمَلَ إذَا كَانَ خَالِصًا وَلَم يَكُن صَوَابًا لَم يُقبَل، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَم يَكُن خَالِصًا لَم يُقبَل، حَتَّىٰ يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، فَالخَالِصُ أَن يَكُونَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ أَن يَكُونَ عَلَىٰ السُّنَّةِ، ثُمَّ قَرَأَ قَولَهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾. أخرجه ابن أبي الدنيا في رسالته «الإخلاص والنية» رقم الأثر (٢٢).

والشرك الخفي يكون في الناس أخفىٰ ما يكون «من دبيب النملة السوداء علىٰ صفاة سوداء في ظلمة الليل» -كما أخبر الرسول -عليه الصلاة والسلام- بذلك-، فلا يشعرون به، ويقعون فيه لخفائه عليهم، ولذلك أبو بكر ﷺ لما قال له النبي ﷺ: «**يَا أَبَا بَكرٍ، لَلشِّركُ فِيكُم أَخفَىٰ مِن دَبِيبِ النَّملِ**»، استغرب أبو بكر هذا الأمر فقال له: «وَهَلِ الشِّركُ إلا مَن جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ؟»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، لَلشِّركُ أَخفَىٰ مِن دَبِيبِ النَّملِ، أَلا أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَيءٍ إِذَا قُلتَهُ ذَهَبَ عَنكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟** قَالَ: **قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَن أُشرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعلَمُ، وأَستَغفِرُكَ لِمَا لا أَعلَمُ**»[1].

فينبغي للإنسان أن يحذره أشد الحذر -وإن كانت منزلة هذا النوع في بعض الحالات حكمها ليس كحكم الشرك الأكبر-، لكنه يبقىٰ أنه نوع من أنواع الشرك، والشرك أكبر الكبائر.

والشرك الخفي أعم من الرياء، والرياء جزء من الشرك الخفي، وقد بيَّن الرسول -عليه الصلاة والسلام- في أحاديث أُخَر، أن أخوف ما يخاف علىٰ أمته الشرك الأصغر، وبيَّن أنه الرياء.

فعَن مَحمُودِ بنِ لَبِيدٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَخوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيكُم الشِّركُ الأَصغَرُ.** قَالُوا: وَمَا الشِّركُ الأَصغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ** ﷻ **لَهُم يَومَ القِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعمَالِهِم: اذهَبُوا إِلَىٰ الَّذِينَ كُنتُم تُرَاءُونَ**

(١) «صحيح الأدب المفرد» [(ص١٩٣) (ح ٥٥٤/ ٧١٦)، طبعة دار الصديق].

فِي الدُّنيَا، فَانظُرُوا هَل تَجِدُونَ عِندَهُم جَزَاءً»[١].

والتحذير من الرياء جاء في أدلة كثيرة، تُفيدُ بيَان خطورة هذا النوع من الشرك الخفي.

وقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**الشرك في هذه الأمة أخفىٰ من دبيب النملة السوداء علىٰ صفاة سوداء في ظلمة الليل**»، مراد الرسول ﷺ بقوله: «في هذه الأمة»؛ أي: أمة الإسلام و أهل الإيمان[٢].

فإذا وقع فيه الإنسان، فمَا هي كفَّارَتُه؟

كفَّارته هو ما بيَّنه الرسول -عليه الصلاة والسلام- في قوله:«**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم**».

فقال هنا -صلوات الله وسلامه عليه-: «**أن أشرك بك شيئًا**»، فقوله: «شيئًا» نكرة في سياق الشرط فتعم، فيستعيذ من هذا الأمر كيفما كان، أكبر أو أصغر، وأن يكون وقوعه في هذا الأمر عن علم، ثم يستغفر الله من الوقوع فيه وهو لا يعلم، يعني مما قد يخفىٰ عليه وهو لا يدرك بأنه من الشرك بالله ﷻ.

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (٢٣١١٨)، «صحيح الجامع» (١٥٥٥).

(٢) فالعاقل اللبيب لا يأمن علىٰ نفسه من هذا الأمر، فعليه أن يحذر ويراقب نفسه في كل لحظة من لحظات أنفاسه، وهذا الأمر ليس بالهين.

فانظر إلىٰ قول سفيانَ الثَّوريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: «ما عالجتُ شيئًا أشدَّ عليَّ من نيَّتي؛ لأنَّها تتقلَّبُ عليَّ».

وعن يوسُفَ بن أسباط، قال: «تخليصُ النِّيةِ مِن فسادِها أشدُّ علىٰ العاملينَ مِن طُولِ الاجتهاد».

الكفر كفران:

الأول: كفر يخرج من الملة: وهو خمسة أنواع:

النوع الأول: كفر التكذيب:

والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٨].

النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق:

والدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٣٤].

النوع الثالث: كفر الشك، وهو كفر الظن:

والدليل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٣٥-٣٨].

النوع الرابع: كفر الإعراض:

والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف:٣].

النوع الخامس: كفر النفاق:

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:٣].

الشرح

بعد أن تكلم المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الشرك وأنواعه، أراد أن يبين أنواع الكفر، وكأنه يرىٰ أن الكفر والشرك إما لفظان مترادفان(١)، أو أن الكفر أعم من الشرك، وهذا ظاهر قول الشيخ. وكما سبق أن أشرنا، أن من أهل العلم من يجعل الكفر والشرك مترادفين.

والكفر لغة: هو الستر والتغطية.

وشرعًا: نقيض الإيمان، والعلاقة بين المعنىٰ اللُّغوي والشرعي، أن الكافر يستر وجود الله تعالىٰ، ويغطي هذا الأمر، فهو يستر الحق ويغطيه بتكذيبه(٢).

ومنه: أن يَجحَدَ ويكفر بالله تعالىٰ في أمر مَعلُوم من الدين بالضرورة، كأن

---

(١) يعني: أن لفظة الكفر أو الشرك إذا أفردت تناول كل منهما الآخر، وإذا اجتمعا في سياق واحد افترقا، فيكون الشرك ما فيه معنىٰ التشريك، والكفر ما فيه معنىٰ الشك والرد والجحود والتكذيب والاستهزاء.

(٢) «والكفر شرعًا: ضد الإيمان، فإن الكفر عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب أو إعراض أو حسد أو كبر أو اتباع لبعض الأهواء الصادة عن اتباع الرسالة. وإن كان المكذب أعظم كفرًا، وكذلك الجاحد المكذب حسدًا مع استيقان صدق الرسل». [«عقيدة التوحيد» للشيخ الفوزان (ص ٨٦)، طبعة دار المنهاج، والكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية].

يستحل محرمًا أو يحرم حلالًا، أو يَسُب الله تعالىٰ، أو يسب النبي -عليه الصلاة والسلام-، فهذا كله من الكفر.

ومنه الإلحَاد، فمن ألحَدَ وعبد إلهًا غير الله تعَالىٰ، مُنفَرِدًا بهذا الإله دون أن يقر بالله تعالىٰ، فهذا يسمىٰ أيضًا كفرًا وصاحبه كافرًا.

وهذا التقسيم الذي أتىٰ به المؤلف فيه بيان معنىٰ أن الكفر غير محصور بالجحود، كما سيأتي إن شاء الله.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأول: كفر يخرج من الملة: وهو خمسة أنواع:

النوع الأول: كفر التكذيب:

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٨]».

إذن الكلام هنا علىٰ الكفر الذي يُخرِج من الملة، ويُحبطُ العمل، ويخلد صاحبه في النار، وليس الكلام علىٰ الكفر الأصغر الذي لا يُخرِج من الملة.

ومن أنواع هذا الكفر -أي: الكفر الأكبر-: كفرُ التكذيب، والمراد به: أن يُكذِّب ما جاء عن الله تعالىٰ.

ودليل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾، فهذا المُكَذِّب المعاند هو رادٌّ لكلام الله تعالىٰ، وجاحد له، ونافٍ له بعد وجود، فهذا كافر بالله تعالىٰ، والذين قالوا بأن الكفر يرادف الشرك، فسروا ذلك بأن المكذب مشرك مع الله تعالىٰ هواه،

فبهواه رد الحق ونفاه وكذبه، وحكمه أنه كافر بالله تعالىٰ، متبع لهواه.

وكل من كذَّب أمرًا ثبت عن الله تعالىٰ، ولم يصدق بذلك الأمر، ولم يذعن له، فهو كافر الكفر الأكبر، نسأل الله السلامة.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**النوع الثاني**: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤]».

هذا حال الشيطان، فهو يعلم أن الله تعالىٰ هو الإله الذي ينبغي أن يُعبد وأن يُطاع، لكنه استكبر عن أمر الله تعالىٰ، وذلك حين أمره الله بالسجود لآدم سجود تكريم وتعظيم لا سجود عبودية، فاستعظم وتكبَّر، وأبىٰ واستكبر، ولم يذعن لأمر الله تعالىٰ، فحُكِم عليه بالكفر. وهكذا، من كذب الرسل وأبىٰ واستكبر، واحتقرهم، وقال كما قال الأولون:

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١].

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف:٧٥-٧٦].

﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٢١]. ومثل هذا في القرآن كثير.

فالحاصل: أن هذا يُسمىٰ كُفْرَ الكِبْرِ والإِبَاءِ، وعدم الإذعان والتصديق والإيمان.

قال المصنف -رحمه الله تعالىٰ-: «**النوع الثالث**: كفر الشك، وهو كفر الظن: والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:٣٥-٣٨]».

أقول: كما هو معلوم، أن المسلم يجب أن يكون علىٰ يقين من أصول الإيمان، أن يوقن بذلك، وأن يجزم ولا يشك، فمن شك في أصل من أصول الإيمان، ولم يكن عنده جزم بذلك، فقد وقع في نوع من أنواع الكفر، وهو كفر الشك وعدم اليقين، وهذا لا شك أنه من الكفر العظيم.

ثم استدل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بالآية المذكورة أعلاه.

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَولُهُ: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾؛ أَي: بِكُفرِهِ وَتَمَرُّدِهِ وَتَكَبُّرِهِ وَتَجَبُّرِهِ وَإِنكَارِهِ المَعَادَ، ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾، وَذَلِكَ اغتِرَارٌ مِنهُ، لَمَّا رَأَىٰ فِيهَا مِنَ الزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ وَالأَشجَارِ وَالأَنهَارِ المُطَّرِدَةِ فِي جَوَانِبِهَا وَأَرجَائِهَا، ظَنَّ أَنَّهَا لَا تَفنَىٰ وَلَا تَفرَغُ وَلَا تَهلَكُ وَلَا تُتلَفُ؛ وَذَلِكَ لِقِلَّةِ عَقلِهِ، وَضَعفِ يَقِينِهِ بِاللهِ، وَإِعجَابِهِ بِالحَيَاةِ الدُّنيَا وَزِينَتِهَا، وَكُفرِهِ بِالآخِرَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾؛ أَي: كَائِنَةً، ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾؛ أَي: وَلَئِن كَانَ مَعَادٌ وَرَجعَةٌ وَمَرَدٌّ إِلَىٰ اللهِ، ليكونَنَّ لِي

هُنَاكَ أَحسَن مِن هَذَا؛ لِأَنِّي مُحظىً عِندَ رَبِّي، وَلَولَا كَرَامَتِي عَلَيهِ مَا أَعطَانِي هَذَا...

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾: يَقُولُ تَعَالَىٰ مُخبِرًا عَمَّا أَجَابَهُ صَاحِبُهُ المُؤمِنُ، وَاعِظًا لَهُ وَزَاجِرًا عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الكُفرِ بِاللهِ وَالِاغتِرَارِ... ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾، وَهَذَا إِنكَارٌ وَتَعظِيمٌ لِمَا وَقَعَ فِيهِ مِن جُحُودِ رَبِّهِ، الَّذِي خَلَقَهُ وَابتَدَأَ خَلقَ الإِنسَانِ مَن طِينٍ وَهُوَ آدَمُ، ثُمَّ جَعَلَ نَسلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِن مَاءٍ مَهِينٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة:٢٨]. أَي: كَيفَ تجحَدُون رَبَّكُم، وَدَلَالَتُهُ عَلَيكُم ظَاهِرَةٌ جَلِيَّةٌ، كُلُّ أَحَدٍ يَعلَمُهَا مِن نَفسِهِ، فَإِنَّهُ مَا مِن أَحَدٍ مِنَ المَخلُوقَاتِ إِلَّا وَيَعلَمُ أَنَّهُ كَانَ مَعدُومًا ثُمَّ وُجِدَ... وَلِذَا قَالَ: ﴿لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾؛ أَي: أَنَا لَا أَقُولُ بِمَقَالَتِكَ، بَل أَعتَرِفُ لِلَّهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالوَحدَانِيَّةِ ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾؛ أَي: بَل هُوَ اللهُ المَعبُودُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»[1].

إذن، استدلال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بالآية واضح بيِّنٌ في كفر صاحب هذا النوع من الكفر، وهو كفر الشك وعدم اليقين.

ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ النوع الرابع، فقال: «**النوع الرابع**: كفر الإعراض.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف:٣]».

كفر الإعراض، سبق وأن تكلمنا عليه في تعليقنا علىٰ نواقض الإسلام.

---

(١) «تفسير ابن كثير» بتصرف، [(٥/ ١٥٧-١٥٨)، طبعة طيبة].

ومُلخَّصُهُ: أن يُعرِض الرجل عن الدين، أي العلم الذي يقوم به دينه وتوحيده وإسلامه، ولا يُقبِل عليه، ولا يتعلَّمُه، ولا يتفقَّه فيه، ولا يُلقِي له بالًا، فيترك هذا الأمر ويجعله وراء ظهره، غافلًا لاهيًا عنه.

فتجد العلماء متوافرين عنده، وحلقات العلم موجودة، ويمكنه التعلم والتفقه في دين الله تعالىٰ، لكنه يُعرِضُ عن كل هذا، فلا يتعلم ولا يتفقه في دين الله، وكأن الله خلقه عبثًا، لا يؤمر ولا ينهىٰ، ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون:١١٦].

ثم استدل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾، «أي: لاهون عما يراد بهم، وقد أُنزِل إليهم كتابٌ وأُرسِل إليهم رسولٌ، وَهُم مُعرِضُونَ عَن ذَلِكَ كُلِّهِ»[1]، فجعلهم الله عَزَّوَجَلَّ من الكفار.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**النوع الخامس**: كفر النفاق.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون:٣]».

كفر النفاق هو ما وقع فيه المنافقون في عهد النبي -عليه الصلاة والسلام-، كانوا يُظهرون الإسلام علىٰ جوارحهم، وفي كلامهم، وفي حال وجودهم مع الصحابة، ومع رسول الله ﷺ، وإذا خلوا إلىٰ شياطينهم ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة:١٤]، فيبطنون الكفر والشرك والزندقة، والاستهزاء بالصحابة

(١) «تفسير ابن كثير» [طبعة دار طيبة، (٧/ ٢٧٤)].

وبالنبي -عليه الصلاة والسلام-، وهذا نفاق أكبر، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

والشاهد أن مَن وقع منه هذا النفاق الأكبر، كان كافرًا كفرًا أكبر.

إذن، تحصل لدينا أن الكفر المخرج من الملة -وهو ما يُسمىٰ بالكفر الأكبر- خمسة أنواع، وهي: كفر التكذيب، وكفر الإباء والاستكبار مع التصديق، وكفر الشك، وكفر الإعراض، وكفر النفاق.

بقي النوع الثاني من أنواع الكفر، وهو الكفر الأصغر، «وملخص الفروق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر:

* أن الكفر الأكبر يخرج من الملة ويحبط الأعمال، والكفر الأصغر لا يخرج من الملة ولا يحبط الأعمال، لكن ينقصها بحسبه، ويُعَرِّض صاحبها للوعيد.

* أن الكفر الأكبر يخلد صاحبه في النار، والكفر الأصغر إذا دخل صاحبه النار، فإنه لا يخلد فيها، وقد يتوب الله علىٰ صاحبه فلا يُدخله النار أصلًا.

* أن الكفر الأكبر يبيح الدم والمال، والكفر الأصغر لا يبيح الدم والمال.

* أن الكفر الأكبر يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته ولو كان أقرب قريب، وأما الكفر الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقًا، بل صاحبه يُحَبُّ ويُوالَىٰ بقَدْر ما فيه من الإيمان، ويُبغَض ويُعَادىٰ بقدر ما فيه من العصيان»[١].

---

(١) «عقيدة التوحيد» للشيخ الفوزان [طبعة دار المنهاج (ص٨٨-٨٩)].

ومثَّل المؤلف للكفر الأصغر بكفر النعمة فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النوع الثاني من نوعي الكفر -وهو كفر أصغر لا يخرج من الملة-: وهو كفر النعمة. والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢]».

كفر النعمة ليس كفرًا عظيمًا، فيه جحود لأمر الله تعالىٰ وردٌّ له، وإنما فيه وجه من أوجه الكفر، وهو ما يقال له الجحود، لكنه جحود نعمة، ولذلك من جحد النعمة جحودًا، بمعنىٰ أنه لم يأخذ بأسباب هذه النعمة، ويضعها في موضعها الذي ينبغي أن يكون، لأنها نعمة من الله تعالىٰ، فإنه يقع في هذا الجحود الذي هو كفر بالنعمة، وهو كفر أصغر.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ هذه القرية ينبغي لها أن تُذْعِن لأمر الله تعالىٰ وتطيع الله تعالىٰ، وألَّا تعصيه، فيزيدها الله تعالىٰ نعمة فوق نعمة، لكنها جحدت بوقوعها في الذنوب والمعاصي والآثام والشرور، فصار ذلك دليلًا علىٰ جحودها لهذه النعمة، وعدم استمرارها في حصول الشكر لله تعالىٰ بما أنعم عليها، فأذاقها الله تعالىٰ من البأس والجوع والخوف ما يردهم إلىٰ الحق، وإلىٰ الدين الصحيح، ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾؛ أي: بفعل جحودهم هذا.

ومثل هذا الكفر -أي: الكفر الأصغر-، قتال المسلم لأخيه المسلم، كما جاء في حديث عَبدِ اللهِ بن مسعود ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَال: «**سِبَابُ المُسلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفرٌ** »[1]، فهذا يقال له: كفر دون كفر.

ومثله أيضًا حديث أَبي مَالِكٍ الأَشعَرِيِّ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَربَعٌ فِي أُمَّتِي مِن أَمرِ الجَاهِلِيَّةِ، لَا يَترُكُونَهُنَّ: الفَخرُ فِي الأَحسَابِ، وَالطَّعنُ فِي الأَنسَابِ، وَالاستِسقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**»[2].

هذا أيضًا كفر دون كفر، وليس خُروجًا من الملة، نسأل الله العفو والعافية.

❊ ❊ ❊

(١) متفق عليه.

(٢) «صحيح مسلم» (٩٣٦).

النفاق نوعان: اعتقادي، وعملي.

النفاق الاعتقادي:

ستة أنواع، صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار[1]:

الأول: تكذيب الرسول ﷺ.

الثاني: تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

الثالث: بُغض الرسول ﷺ.

الرابع: بُغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

الخامس: المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ.

السادس: الكراهية بانتصار دين الرسول ﷺ.

النفاق العملي:

النفاق العملي خمسة أنواع[2]:

والدليل قوله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان».

---

(١) وهي ليست محصورة في هذه الست، وإنما هذه بعض صورها.

(٢) وهي ليست كذلك محصورة في هذه الخمس، بل منها النفاق كارهًا وإتيان الصلاة كسلًا ونحوها.

وفي رواية: «وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر».

الشرح

الشيخ -رحمه الله تعالىٰ-، تحت هذا العنوان سيذكر نوعين من أنواع النفاق، النفاق الاعتقادي والنفاق العملي.

والنفاق شُعبَةٌ من شُعَب الكفر لم تظهر إلا في العهد المدني؛ لأن الإسلام في مكة كان في مبدئه ضعيفًا، وكان أهل الكفر هم الأكثر والأغلب والأقوىٰ، وكانوا يستطيعون الصدع بالكفر والشرك والعداوة للإسلام والمسلمين، فكانوا يعذبون الصحابة -رضوان الله عليهم-، ويؤذون الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وكانت لهم شوكة ومنعة، وأما المسلمون فكانوا علىٰ العكس من ذلك، كانوا في ضعف من جهة عَدَدِهم وعُدَّتِهم، فما كان ثَمَّةَ إلا فريقان، فريق من أصحاب الجنة وهم المسلمون، وفريق من أصحاب السعير، وهم الكفار.

فلما أذن الله للمسلمين بالهجرة، وذلك بعد انقضاء ثلاث عشرة سَنة من الدعوة في مكة، وهاجر النبي -عليه الصلاة والسلام- إلىٰ المدينة، قامت دولة الإسلام، وأذن الله لهم بالقتال، وظهرت قوةُ المسلمين، وصدَقَ اللهُ وعده، فنصرهم وأظهرهم علىٰ المشركين.

فنشأ قوم بالمدينة سمَّاهم الله المنافقين، يظهرون الإسلام بألسنتهم وبكلامهم، ويبطنون الكفر، ولا يستطيعون الجهر به مخافة أذية المسلمين لهم، كما قال الله تعالىٰ في سورة المنافقين: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ

ﭐللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون:١]؛ أي: وإن شهدوا بألسنتهم وأعمالهم الظاهرة بأنك رسول الله، فإنهم مع ذلك كاذبون؛ لأنهم يبطنون الكفر والشرك، ويظهرون الإسلام كذبًا وافتراءً ورياءً أمام الناس اتقاءً القتل؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [المنافقون:٢].

وهذا الصِّنف من الناس من أشد أعداء الإسلام، فهم أشد من أهل الكفر الذين أظهروا كفرهم، ولذلك جعل الله تعالىٰ عقابهم في الدرك الأسفل من النار، ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴾ [النساء:١٤٥].

وأما أصل كلمة منافق في اللغة، فقد جاء فيها ما يلي: «(نَفَقَ) النُّونُ وَالفَاءُ وَالقَافُ أَصلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَىٰ انقِطَاعِ شَيءٍ وَذَهَابِهِ، وَالآخَرُ عَلَىٰ إِخفَاءِ شَيءٍ وَإِغمَاضِهِ. وَمَتَىٰ حُصِّلَ الكَلَامُ فِيهِمَا تَقَارَبَا.

فَالأَوَّلُ: نَفَقَتِ الدَّابَّةُ نُفُوقًا: مَاتَت... وَنَفَقَ الشَّيءُ: فَنِيَ، يُقَالُ: قَد نَفِقَت نَفَقَةُ القَومِ. وَأَنفَقَ الرَّجُلُ: افتَقَرَ، أَي: ذَهَبَ مَا عِندَهُ.

وَالأَصلُ الآخَرُ النَّفَقُ: سَرَبٌ فِي الأَرضِ لَهُ مَخلَصٌ إِلَىٰ مَكَانٍ. وَالنَّافِقَاءُ: مَوضِعٌ يُرَقِّقُهُ اليَربُوعُ مِن جُحرِهِ فَإِذَا أُتِيَ مِن قِبَلِ القَاصِعَاءِ ضَرَبَ النَّافِقَاءَ بِرَأسِهِ فَانتَفَقَ، أَي: خَرَجَ. وَمِنهُ اشتِقَاقُ النِّفَاقِ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ يَكتُمُ خِلَافَ مَا يُظهِرُ، فَكَأَنَّ الإِيمَانَ يَخرُجُ مِنهُ، أَو يَخرُجُ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ فِي خَفَاءٍ. وَيُمكِنُ أَنَّ الأَصلَ فِي البَابِ وَاحِدٌ، وَهُوَ الخُرُوجُ»[1].

(١) «معجم مقاييس اللغة»، مادة (نفق).

والنفاق -كما ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ- نوعان: النفاق الاعتقادي:

وهو أن يُظهِرَ الرجل الإسلام، فيصلي ويقرأ القرآن ويذهب إلىٰ المساجد، وأما في الخفاء فهو يبطن الكفر والبغض للإسلام والمسلمين.

قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:٨-١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة:١٤].

وهذا النوع من النفاق صاحبه يكون كافرًا مشركًا، خالدًا في النار مخلدًا، بل هو في الدرك الأسفل من النار، والعياذ بالله.

أما النوع الثاني: وهو النفاق العملي:

فهو دون الأول، كأن يجتمع في الإنسان مع أصل الإيمان بعض صفات أهل النفاق(١)، لكنه من أهل الإسلام، فعقيدته عقيدة أهل الإسلام، إلا أنه يُظهر

---

(١) يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذا النفاق نفاقان: نفاق اعتقاد، ونفاق عمل. فنفاق الاعتقاد هو الذي أنكره الله علىٰ المنافقين في القرآن، وأوجب لهم به الدرك الأسفل من النار.

ونفاق العمل، كقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**».

وفي الصحيح أيضًا: «**أربع من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها: إذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا**
=

بعض المظاهر التي هي من صفات أهل النفاق، فهذا الكفر العملي كفر ظاهر وليس باطنًا؛ لأن صاحبه إنما باطنُه الإسلام، فهذا الكفر العملي هو دون الكفر الاعتقادي، وصاحبه لا يخلد في النار، وإنما هو صاحب كبيرة من الكبائر، كما سيأتي شرح ذلك إن شاء الله.

ثم ذكر المؤلف أقسام النفاق الاعتقادي، وهي ستة أنواع، وهذا بالاستقراء من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وذكر حكم صاحبها، وهو أنه من أهل الدرك الأسفل من النار، والعياذ بالله.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الأول**: تكذيب الرسول ﷺ».

وهو نفاق التكذيب، فمن كذب الرسول -عليه الصلاة والسلام- جملة وتفصيلًا، فيما جاء به النبي -عليه الصلاة والسلام- من أمر هذا الدين، من كتابٍ وسنةٍ، ولم يُصَدِّقه، وأظهر الإسلام، وأظهر أنه مصدق، فهو منافق نفاقًا أكبر يخرج من الملة، ومأواه النار وبئس المصير.

وهذا قد بيَّنه الله بيانًا شافيًا في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ

=

اؤتمن خان».

فهذا نفاق عملي، قد يجتمع مع أصل الإيمان، ولكن إذا استحكم وكمل فقد ينسلخ صاحبه عن الإسلام بالكلية، وإن صلىٰ وصام وزعم أنه مسلم، فإن الإيمان ينهىٰ المؤمن عن هذه الخلال، فإذا كملت في العبد ولم يكن له عذر ما ينهاه عن شيء منها فهذا لا يكون إلا منافقًا خالصًا». [«الصلاة وحكم تاركها» (ص ٩٨)، طبعة دار عالم الفوائد].

أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة:٨-٩].

والمراد أن من الناس من يقول: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، يعني: ظهورًا باللسان، ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾، فنفىٰ عنهم الإيمان؛ لأن إيمانهم إيمان ظاهر فقط، وأما باطنهم فهم يبطنون الكفر وتكذيب الرسول -عليه الصلاة والسلام- بما جاء به من هذا الدين، ثم بيَّن ذلك التكذيب والخداع فقال: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

«يَعتَقِدُونَ بِجَهلِهِم أَنَّهُم يَخدَعُونَ اللهَ بِذَلِكَ، وَأَنَّ ذَلِكَ نَافِعُهُم عِندَهُ، وَأَنَّهُ يَرُوجُ عَلَيهِ كَمَا يَرُوجُ عَلَىٰ بَعضِ المُؤمِنِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة:١٨]؛ وَلِهَذَا قَابَلَهُم عَلَىٰ اعتِقَادِهِم ذَلِكَ بِقَولِهِ: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، يَقُولُ: وَمَا يَغُرُّون بِصَنِيعِهِم هَذَا وَلَا يَخدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُم، وَمَا يَشعُرُونَ بِذَلِكَ مِن أَنفُسِهِم، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢]»[(١)].

ثم بيَّن حال قلوبهم التي تُبطِنُ النفاق فقال: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ أي: مرض النفاق، فهو أشد الأمراض، قال: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾، «وَقَالَ عَبدُ الرَّحمَنِ بنُ زَيدِ ابنِ أَسلَمَ: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، قَالَ: هَذَا مَرَضٌ فِي الدِّينِ، وَلَيسَ مَرَضًا فِي الأَجسَادِ، وَهُمُ المُنَافِقُونَ. وَالمَرَضُ: الشَّكُّ الَّذِي دَخلَهُم فِي الإِسلَامِ ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾، قَالَ: زَادَهُم رِجسًا، وَقَرَأَ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ

(١) «تفسير ابن كثير» [(١/ ١٧٧)، طبعة طيبة].

يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٤-١٢٥]، قَالَ: شَرًّا إِلَىٰ شَرِّهِم وَضَلَالَةً إِلَىٰ ضَلَالَتِهِم»[(١)].

النوع الثاني من أنواع النفاق: «تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ».

وهذا أيضًا نوع من أنواع النفاق الاعتقادي، فلا ينبغي للإنسان أن يكذب بشيء جاء به الرسول -عليه الصلاة والسلام-، كأن يعتقد في شيء من الدين الذي جاء به الرسول ﷺ أنه ليس بحق، وهو يعلم أن هذا من دين الرسول ﷺ، وأن هذا ثابت عن رسول الله ﷺ، ثم يكذبه ويرد ما جاء به، فهذا من النفاق الناقل من الملة، وإن كان يُظْهِرُ الإيمان، ويشهد أن محمدًا رسول الله، فإن هذا الإيمان لا ينفعه.

والذي ينبغي علىٰ المؤمن: أن يُصَدِّقَ بما جاء به الرسول -عليه الصلاة والسلام- تصديقًا إجماليًّا وتفصيليًّا، فلا يُكَذب بشيء جاء من عند الله تعالىٰ، أو من عند الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

أما مَن كان لا يعلم، ثم بُيِّن له فعاد إلىٰ الصواب، فهذا ليس من أهل النفاق.

فالكلام إذن علىٰ من بُيِّن له أن هذا الكلامَ من كلامِ الرسول -عليه الصلاة والسلام-، أو هو يعلم أنه من كلام النبي ﷺ، ثم أصرَّ علىٰ أن يكذبه ويرده، فهذا منافق ونفاقه يندرج تحت النفاق الاعتقادي، وهذا ينبغي أن يحذر منه، فإنه

(١) المصدر السابق نفسه.

أخطر أنواع النفاق التي ابتلي بها كثير ممن يَنعِقُ بأنه من أهل الإسلام[(١)]، وهو يرد ويحارب النصوص التي جاءت عن الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

النوع الثالث من أنواع النفاق: «بُغض الرسول ﷺ».

فلا يبغض النبي -عليه الصلاة والسلام- إلا منافق معلوم النفاق؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- أمرنا بمحبته، بل أمرنا أن يكون أحب إلينا من آبائنا وأبنائنا وإخواننا، ومن كل شيء، حتىٰ من أنفسنا، فنحبه ﷺ لما جاء به من الهدىٰ والخير لنا، فمن أبغض الرسول ﷺ فهذا شانئ؛ أي: بَاغِض للرسول -عليه الصلاة والسلام-، وهذا هو الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾؛ أي: مبغضك، ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٣][(٢)].

---

(١) ذكر لعمرو بن عبيد -رئيس المعتزلة- حديث عبد الله في القدر، الحديث الذي أخرجه مسلم بسنده إلىٰ وكيع، قال: حدثنا الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك...**». الحديث.
فلما سمع رئيس المعتزلة هذا الحديث قال: لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته، ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدقته، أو قال: لما أجبته، ولو سمعت عبد الله بن مسعود يقوله ما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته عليه، ولو سمعت الله يقول لقلت له: ليس علىٰ هذا أخذت ميثاقنا». [«تاريخ الإسلام»، وفيات (١٤١-١٦٠)].
فانظر إلىٰ هذه الجرأة والوقاحة!

(٢) ذكر القرطبي في «تفسيره» أن العرب كانت تسمي من كان له بنون وبنات، ثم مات البنون وبقي البنات: أبتر. [«تفسير القرطبي» (٢٢/ ٥٢٩)].
وذكر ابن كثير في تفسيره عدة آثار في سبب نزول الآية، محصلها أن النبي ﷺ لما مات ابنه
=

النوع الرابع: «بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ».

فمن أبغض شيئًا مما جاء به الرسول -عليه الصلاة والسلام- مما ثبت في دين الله تعالىٰ، من أقوال الرسول -عليه الصلاة والسلام-، أو أفعاله، أو ما أقر به الأمة، أو شيئًا من صفاته ﷺ، خِلْقِيَّة أو خُلُقِيَّة، وأبغض شيئًا من ذلك بغضًا من قلبه ولسانه، كارهًا له، فهو كافر كفرًا أكبر الذي يئول بصاحبه إلىٰ الدرك الأسفل من النار، وإن كان شيئًا يسيرًا.

فمن أبغض مثلًا تحريم الربا، وأحب أن يكون في الإسلام ربًا وهو يعلم حرمة ذلك وإن لم يفعل ذلك، أو أبغض إعفاء اللحية، والتي هي من سنن الهدىٰ وحلقها يعتبر من الكبائر، فأبغض هذا الأمر، أو أبغض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكره ذلك، أو أبغض الصلاة -وإن كان يصليها-، أو أبغض جزئية في الإسلام بغضًا فيه كراهة لهذا الأمر، الذي جاء به الرسول -عليه الصلاة والسلام- وثبت عنه، فإنه لا شك أن مثل هذا منافق نفاقًا يخرجه من الملة، وهو من أهل الدرك الأسفل من النار.

النوع الخامس من أنواع النفاق الاعتقادي: «المسرة بانخفاض دين الرسول -عليه الصلاة والسلام-».

=

عيَّرته قريش بالأبتر؛ فأنزل الله قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٣].

ثم ختمها بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَتَوَهَّمُوا لِجَهلِهِم أَنَّهُ إِذَا مَاتَ بَنُوهُ يَنقَطِعُ ذِكرُهُ، وَحَاشَىٰ وَكَلَّا؛ بَل قَد أَبقَىٰ اللهُ ذِكرَهُ عَلَىٰ رُءُوسِ الأَشهَادِ، وَأَوجَبَ شَرعَهُ عَلَىٰ رِقَابِ العِبَادِ، مُستَمِرًّا عَلَىٰ دَوَامِ الآبَادِ، إِلَىٰ يَومِ الحَشرِ وَالمَعَادِ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيهِ دَائِمًا- إِلَىٰ يَومِ التَّنَادِ».

أي: أنه يُبطن في قلبه بغضه للإسلام -وربما أفصح عنه بلسانه-، ويود لو انطفأ نور الإسلام، ويتمنىٰ انخفاض الإسلام، وانخفاض ما عليه أهل الإسلام، ويبغض أن يكون الإسلام منتصرًا قويًّا، وإنما يدخله السرور بحصول النوازل بالإسلام وأهله، ويحب ذلك ويفضله ويسعىٰ فيه، فصاحب هذا الاعتقاد -وإن كان مسلمًا ظاهرًا-، فهو مُنَافق صاحب نفاق أكبر، وهو من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠].

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

فهؤلاء يُحِبُّون وقوع الفتنة في ديار الإسلام، ويفرحون إذا أصابت المسلمين مصيبة.

قال تعالىٰ: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة:٥٠].

«يُعلِمُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- نَبِيَّهُ بِعَدَاوَةِ هَؤُلَاءِ لَهُ؛ لِأَنَّهُ مَهمَا أَصَابَهُ من ﴿حَسَنَةٌ﴾؛ أي: فتحٌ ونصرٌ وظفرٌ عَلَىٰ الأَعدَاءِ، مِمَّا يَسُرُّهُ وَيَسُرُّ أَصحَابُهُ، سَاءَهُم ذَلِكَ»[1].

«﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ قَتلٌ وَهَزِيمَةٌ، ﴿يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾ حَذَرَنَا، أَي: أَخَذنَا بِالحَزمِ فِي القُعُودِ عَنِ الغَزوِ، ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أَي: مِن قَبلِ هَذِهِ المُصِيبَةِ، ﴿وَيَتَوَلَّوا۟﴾ وَيُدبِرُوا ﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ مَسرُورُونَ بِمَا نَالَكَ مِنَ المُصِيبَةِ»[2].

(١) «تفسير ابن كثير» [(٤/ ١٦٢)، طبعة طيبة].
(٢) «تفسير البغوي» [(٤/ ٥٧)، طبعة طيبة].

النوع السادس: «الكراهية بانتصَار دِين الرسُول ﷺ».

فإذا ظهر دين الله وعلا، كره ذلك وأبغض هذا الانتصار، بل يُحِب انهزام دين الرسول -عليه الصلاة والسلام- وانخفاضَه وتراجُعَه، ويحب ظهور دينٍ غير دينِ الإسلام على الإسلام، كما وصفهم الله تعالىٰ بذلك في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١].

قال ابن كثير: «يُخبِرُ تَعَالَىٰ عَنِ المُنَافِقِينَ أَنَّهُم يَتَرَبَّصُونَ بِالمُؤمِنِينَ دَوَائِرَ السُّوءِ، بِمَعنَىٰ: يَنتَظِرُونَ زَوَالَ دَولَتِهِم، وَظُهُورَ الكُفرِ عَلَيهِم، وَذَهَابَ مِلَّتِهِم ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أَي: نَصرٌ وَتَأيِيدٌ وظَفَر وَغَنِيمَةٌ، ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾؟، أَي: يَتَوَدَّدُونَ إِلَىٰ المُؤمِنِينَ بِهَذِهِ المَقَالَةِ، ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾؛ أَي: إِدَالَةٌ عَلَىٰ المُؤمِنِينَ فِي بَعضِ الأَحيَانِ، كَمَا وَقَعَ يَومَ أُحُدٍ، فَإِنَّ الرُّسُلَ تُبتَلَىٰ ثُمَّ يَكُونُ لَهَا العَاقِبَةُ، ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أَي: سَاعَدنَاكُم فِي البَاطِنِ، وَمَا أَلَونَاهُم خَبَالًا وَتَخذِيلًا حَتَّىٰ انتَصَرتُم عَلَيهِم، ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾؛ أَي: بِمَا يَعلَمُهُ مِنكُم -أَيُّهَا المُنَافِقُونَ- مِنَ البَوَاطِنِ الرَّدِيئَةِ، فَلَا تَغتَرُّوا بِجَرَيَانِ الأَحكَامِ الشَّرعِيَّةِ عَلَيكُم ظَاهِرًا فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا، لِمَا لَهُ [تَعَالَىٰ] فِي ذَلِكَ مِنَ الحِكمَةِ، فَيَومَ القِيَامَةِ لَا تَنفَعُكُم ظَوَاهِرُكُم، بَل هُوَ يَومٌ تُبلَىٰ فِيهِ السَّرَائِرُ وَيُحَصَّلَ مَا فِي الصُّدُورِ»(١).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٣٤).

ثم انتقل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ بيان القسم الثاني من أقسام النفاق: وهو النفاق العملي.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «النفاق العملي خمسة أنواع. والدليل قوله ﷺ: «**آية المنافق ثلاثة: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**». وفي رواية: «**وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر**».

هذا هو النفاق العملي، وهو الاتصاف ببعض صفات أهل النفاق مع وجود الإيمان ظاهرًا وباطنًا، لكن يُخالِطُه صفةٌ من صفات أهل النفاق ظاهرة، وهذا النفاق هو دون النفاق الاعتقادي، وصاحبه صاحب كبيرة من الكبائر، فلا يخلد في النار، وإنما يكون تحت المشيئة، إن شاء الله تعالىٰ عذبه علىٰ قدر ما حصل عنده من هذا النفاق العملي، ومن هذه المعصية الكبيرة، وإن شاء الله تعالىٰ غفر له.

ثم استدل علىٰ ذلك بقوله ﷺ: «**آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخلَفَ، وَإِذَا اؤتُمِنَ خَانَ**»(١).

هذا الحديث بَيَّن ثلاث صفات من النفاق العملي، الأولىٰ: «**إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ**»؛ أي: إذا تكلم بكلام فإنه يتعمد الكذب، والكذب خصلة ذميمة قبيحة، ليست من صفات أهل الإيمان الكُمَّل، وإنما هي محرمة وهي من الكبائر، وصاحبها مُتَوعَّد بالنار.

عَن عَبدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَيكُم بِالصِّدقِ، فَإِنَّ**

(١) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الصِّدقَ يَهدِي إِلَىٰ البرِّ، وَإِنَّ البرَّ يَهدِي إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصدُقُ وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدقَ حَتَّىٰ يُكتَبَ عِندَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُم وَالكَذِبَ، فَإِنَّ الكَذِبَ يَهدِي إِلَىٰ الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهدِي إِلَىٰ النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكذِبُ وَيَتَحَرَّىٰ الكَذِبَ حَتَّىٰ يُكتَبَ عِندَ اللهِ كَذَّابًا»[1].

فالكذاب أول كلامه كذب، ثم ينتقل إلىٰ الفجور[2]، وهذا الفجور يهدي إلىٰ النار؛ أي: يرسل إلىٰ النار، وإن الرجل لا يزال يكذب حتىٰ يكتب عند الله كذابًا مما اشتهر من كذبه، والكذب أساس النفاق، وهو الصفة الفارقة بين المؤمن والمنافق، لذلك أهل النفاق يُظهِرُون اعتقادًا كاذبًا، ويخفون كفرهم، فأساس كلامهم وأفعالهم الكذب، فمن اتصف بهذه الصفة علىٰ إيمانٍ منه وتصديقٍ منه بالنبي -عليه الصلاة والسلام-، فليعلم أن فيه خصلة من خصال المنافقين، وهو منافق نفاقًا عمليًّا.

ثم قال ﷺ: «**وإذا وعد أخلف**»، الوفاء بالوعد هو من صفات أهل الإيمان[3]، وضد الوفاء: الغَدر والنَّقض، والذي يُخلف وعده جمع بين الكذب والخيانة، وإخلاف الوعد أن يَعِد وهو يُبطن ألَّا يفي بهذا الوعد، وهذا شر أنواع الإخلاف بالوعد، كأن يعد الإنسان أن يلقىٰ شخصًا آخر في الموضع الفلاني، وهو يبطن

---

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

(٢) وسيأتي معنىٰ الفجور إن شاء الله.

(٣) وقد أثنىٰ الله علىٰ من اتصف بهذه الخصلة: قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

يقول ابن كثير: «أي: هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا».

أنه لن يأتي إلىٰ ذلك الموعد، أو أن يقول: «سألقاك غدًا»، وفي نيته ألا يذهب، دون مانع شرعي ودون عذر، فيخلف الوعد.

فهذا الفعل من النفاق العملي الذي لا يجوز أن يتصف به المسلم، أما إن وعد أن يلقاه ثم منعه مانع من أن يفي بوعده، وهو مريد لهذا الوفاء لكنه ضاقت به السبل للوفاء بهذا الوعد، فإنه لا يندرج تحت هذا الباب من النفاق العملي.

الخصلة الثالثة: «**إذا اؤتمن خان**»؛ أي: إذا وضع في موضع الأمانة خان، والأمانة من صفات أهل الإيمان التي ينبغي أن يتحلوا بها.

فعَن أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنِ ائتَمَنَكَ، وَلَا تَخُن مَن خَانَكَ**»[(١)].

الرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: «**أدِّ الأمانة إلىٰ من ائتمنك**» فأمر بأداء الأمانة، والأمانات كثيرة، فمن ائتمنك علىٰ شيء وجب عليك أن تؤدي هذه الأمانة، ثم قال ﷺ: «**ولا تخن من خانك**»، وعدم الوفاء بالأمانة -وإن خانك صاحبها- ذمَّها الشرع، وليست من صفات أهل الإيمان، بل هي من صفات أهل النفاق، فإنهم يخونون الله، ويخونون الرسول ﷺ، ويخونون الصحابة وأهل الإسلام.

﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال:٧١].

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وحسنه، وصححه الشيخ الألباني [«الإرواء» (ح ١٥٤٤)].

فهذه خصلة من صفات أهل النفاق لا ينبغي أن تكون في أهل الإيمان، والله تعالىٰ يأمرنا بأداء الأمانة.

قال تعالىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء:٥٨].

ثُم قال في رواية: «**وإذا خاصم فجر**»(١)، هذه الصفة الثالثة من النفاق العملي، وهي أن الإنسان إذا دخل في خلاف مع غيره، فإنه يتعمد إخفاء الحق وإظهار الباطل، لويًا بالكذب والخداع، وإبطالًا للأدلة، قاصدًا لذلك متعمدًا -مع ظهور الحق عنده-، لكنه يلوي هذا الحق ويظهر الباطل، وهذا فجور في المخاصمة، والفجور يؤدي إلىٰ النار كما جاء في الحديث السابق.

ولا يجوز لمسلم أن يكون فاجرًا؛ بل هي من صفات أهل النفاق، فالفجور والمخاصمة بالباطل وإظهار الباطل وإخفاء الحق من صفات المنافقين، فلا ينبغي للإنسان أن يتصف بمثل هذه الصفات، بل قد ورد النهي عنها في غير ما حديث وآية.

فعَن يَحيَىٰ بنِ رَاشِدٍ قَالَ: جَلَسنَا لِعَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، فَخَرَجَ إِلَينَا فَجَلَسَ، فَقَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَن حَالَت شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِن حُدُودِ اللهِ فَقَد ضَادَّ اللهَ، وَمَن خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعلَمُهُ لَم يَزَل فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّىٰ يَنزِعَ عَنهُ، وَمَن قَالَ فِي مُؤمِنٍ مَا لَيسَ فِيهِ أَسكَنَهُ اللهُ رَدغَةَ الخَبَالِ، حَتَّىٰ**

---

(١) متفق عليه. «وَالفُجُورُ: المَيلُ عَنِ الحَقِّ وَالِاحتِيَالُ فِي رَدِّهِ، وَهَذَا قَد يَندَرِجُ فِي الخَصلَةِ الأُولَىٰ وَهِيَ الكَذِبُ فِي الحَدِيثِ». [«فتح الباري» (١/ ١٦٧)، طبعة طيبة].

يَخرُجَ مِمَّا قَالَ»(١).

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وإذا عاهد غدر**»(٢). وهذا ضد ما أمر الله به.

قال تعالىٰ: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ ﴾ [النحل:٩١].

والوفاء بالعهد سواء كان مع أهل الإيمان والإسلام أو مع أهل الكفر، فإنه لا يجوز نقضه، بل نؤدي العهود كما تعاهدنا عليها، ونحترم هذه العهود وهذه المواثيق، وهذه الصفات والخلال من صفات أهل الإيمان والإسلام، وأما الذين ينقضون العهود والمواثيق ففيهم خصلة وصفة من صفات أهل النفاق.

ويدخل في هذا الباب من يتعدىٰ علىٰ المعاهدين، فهذا أيضًا ليس من شيم المسلم ولا ينبغي ولا يجوز، فإن من أعطي ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وأهل

---

(١) صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» رقم (٢٢٤٨).

(٢) اجتمع هنا حديثان، الحديث الأول حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**» [«صحيح البخاري» (٣٦)]، وحديث عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَربَعٌ مَن كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَن كَانَت فِيهِ خَصلَةٌ مِنهُنَّ كَانَت فِيهِ خَصلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**». [«صحيح البخاري» (٣٧)].

فـ: «حَصَلَ مِن مَجمُوعِ الرِّوَايَتَينِ خَمسُ خِصَالٍ؛ لِأَنَّهُمَا تَوَارَدَتَا عَلَىٰ الكَذِبِ فِي الحَدِيثِ، وَالخِيَانَةِ فِي الأَمَانَةِ، وَزَادَ الأَوَّلُ الخُلفَ فِي الوَعدِ، وَالثَّانِي الغَدرَ فِي المُعَاهَدَةِ، وَالفُجُورَ فِي الخُصُومَةِ، قُلتُ: وَفِي رِوَايَةِ مُسلِمٍ الثَّانِي بَدَلُ الغَدرِ فِي المُعَاهَدَةِ «الخُلفُ فِي الوَعدِ» كَمَا فِي الأَوَّلِ، فَكَأَنَّ بَعضَ الرُّوَاةِ تَصَرَّفَ فِي لَفظِهِ؛ لِأَنَّ مَعنَاهُمَا قَد يَتَّحِدُ، وَعَلَىٰ هَذَا فَالمَزِيدُ خَصلَةٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الفُجُورُ فِي الخُصُومَةِ». [«فتح الباري» (١/ ١٦٧)، طبعة طيبة].

الإسلام، فلا ينبغي أن تخفر هذه الذمم، ومن أعطي العهد فإنه يجب الوفاء بذلك العهد، وإن كان مشركًا أو كان كافرًا، ولا ينبغي الاعتداء علىٰ المعاهدين ولا ينبغي عدم الوفاء بحقهم، وإنما نبغضهم لكفرهم، ونبغضهم لما هم عليه من عقيدة فاسدة، ولكن لا يؤدي بنا ذلك علىٰ الجراءة عليهم وظُلمهم، بل نظهر لهم الوفاء بالعهد الذي أخذناه لهم.

إذن صفات النفاق العملي أعظمها، والتي هي أعظم من غيرها، هذه الصفات الخمس، الكذب في الحديث، وخُلف الوعد، وعدم أداء الأمانة، والفجور في المخاصمة، والغدر عند المعاهدة، وكلها صفات مذمومة جاء النهي عنها في كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ[1].

❊ ❊ ❊

(١) والظاهر أن هذه الخصال أسها وأساسها ثلاثٌ، وهي الثلاث التي ذكرت في رواية أبي هريرة رضي الله عنه:

الخصلة الأولىٰ: إذا حدث كذب، ويدخل فيها الفجور في الخصومة؛ لأن صاحبها يلوي بلسانه فيكتم الحق ويظهر الباطل، وهذا من جنس الكذب.

الثانية: إذا وعد أخلف، ويلحق بها من عاهد وغدر، إذ هو في نفس الأمر لم يفِ بوعده فأخلف.

الثالثة: إذا اؤتمن خان.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ: «وَوَجهُ الِاقتِصَارِ عَلَىٰ هَذِهِ العَلَامَاتِ الثَّلَاثِ أَنَّهَا مُنَبِّهَةٌ عَلَىٰ مَا عَدَاهَا، إذ أَصلُ الدِّيَانَةِ مُنحَصِرٌ فِي ثَلَاثٍ، القَولِ وَالفِعلِ وَالنِّيَّةِ، فَنَبَّهَ عَلَىٰ فَسَادِ القَولِ بِالكَذِبِ، وَعَلَىٰ فَسَادِ الفِعلِ بِالخِيَانَةِ، وَعَلَىٰ فَسَادِ النِّيَّةِ بِالخُلفِ؛ لِأَنَّ خُلفَ الوَعدِ لَا يَقدَحُ إِلَّا إِذَا كَانَ العَزمُ عَلَيهِ مُقَارِنًا لِلوَعدِ، أَمَّا لَو كَانَ عَازِمًا ثُمَّ عَرَضَ لَهُ مَانِعٌ أَو بَدَا لَهُ رَأيٌ، فَهَذَا لَم تُوجَد مِنهُ صُورَةُ النِّفَاقِ». [«فتح الباري» (١/ ١٦٨-١٦٧)، طبعة طيبة].

معنىٰ الطاغوت، ورءوس أنواعه:

اعلم -رحمك الله تعالىٰ- أن أول ما فرض الله علىٰ ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

فأما صفة الكفر بالطاغوت: فأن تعتقد بُطلان عبادة غير الله، وتتركها، وتبغضها، وتُكَفِّر أهلَهَا وتُعادِيهِم.

وأما معنىٰ الإيمان بالله: فأن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم، وهذه ملة إبراهيم التي سفه نَفْسَه من رغب عنها.

وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة:٤].

والطاغوت عام، فكل ما عُبِدَ من دون الله، ورضي بالعبادة، من معبود، أو متبوع، أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله؛ فهو طاغوت.



انتقل الشيخ -رحمه الله تعالىٰ- إلىٰ بيان معنىٰ الطاغوت ورءوس أنواعه، فقال: «اعلم -رحمك الله تعالىٰ- أن أول ما فرض الله علىٰ ابن آدم الكفر

بالطاغوت، والإيمان بالله».

قوله: «اعلم -رحمك الله تعالىٰ-»: فيه حسن التربية والنصح للمتعلم والدعاء له، وهذا من حسن أخلاق الشيخ -رحمه الله تعالىٰ- وتلطفه مع طالب العلم.

وقوله هنا: «اعلم» أي: اعلم عِلمَ يقينٍ، وعِلمَ فهمٍ بدليله، «أن أول ما فرض الله علىٰ بني آدم»، ويدخل أيضًا الشياطين والجن في هذا الأمر، كما قال تعالىٰ مبينًا هذا الأمر: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]؛ أي: بيَّن لهم، وفرَضَ عليهم، وأوجب عليهم، وألزمهم، بأن يكفروا بالطاغوت في توحيدهم لله تعالىٰ، وأن يبدءوا أولًا بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان؛ لأن الكفر بالطاغوت مقدم علىٰ الإيمان، فلو حصل إيمانٌ دون الكفر بالطاغوت، فإنه لا يصح، ولا يقبل من صاحبه، فلابد أولًا من الكفر بالطاغوت.

والطاغوت مشتق من «طغىٰ»؛ أي: تعدىٰ الحد الذي ينبغي أن يكون عليه، ومنها قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة:١١]؛ أي: لما طغىٰ الماء علىٰ وجه الأرض وتجاوز حده المعلوم ﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾، وهكذا كل شيء زاد عن حدِّه المعلوم والمشروع يقال: طَغَىٰ[1].

فالطغيان يُقصَدُ به هذا المعنىٰ، وهو: «الزيَادَةُ عن الحد».

---

(١) نظيره قوله تعالىٰ: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النازعات:١١]، قال القرطبي: «مَعنَاهُ عَصَىٰ وَتَكَبَّرَ وَكَفَرَ وَتَجَبَّرَ وَجَاوَزَ الحَدَّ». اهـ «تفسير القرطبي». ومجاوزة الحد هنا، هو قوله: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢١-٢٤].

وحَدُّ الإنسان الذي لا يجوز له مجاوزته: أنه عبد مربوب مقهور مذلل، خُلِق ليَعبُدَ اللهَ تعالىٰ، ويُخلِص له العبادة، وأن يتوجه إلىٰ الله تعالىٰ بكل أنواع العبادات خالصة لوجه الله، وألَّا يجعل مع الله معبودًا آخر كائنًا من كان، فمن خرج عن هذه العبادة التي هي لله تعالىٰ إلىٰ معبود آخر بالباطل، يكون بخروجه هذا قد طغىٰ وتجاوز حدَّه؛ لأن الحد أن تكون عبادته خالصة لله تعالىٰ بكل أنواعها، فإن تجاوز بها إلىٰ معبود آخر كائنًا من كان، فهذا قد خرج عن الحد المفروض وزاد عن حده.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن أول ما فرض الله علىٰ ابن آدم الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦]».

أي: أن الله تعالىٰ بعث في كل أمة من الأمم رسولًا يدعوهم إلىٰ توحيد الله تعالىٰ، وإخلاص العبادة له عَزَّ وَجَلَّ، ويدعوهم إلىٰ اجتناب الطَّاغوت، وهذا هو حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل، وهو التوجه إلىٰ الله تعالىٰ بكل أنواع العبادات، مع اجتناب عبادة الطواغيت التي حرمها الله تعالىٰ، والتي لا يجوز أن يتوجَّه إليها بشيء من العبادة؛ لأن العبادة خاصة لله تعالىٰ بكل أنواعها، فهذا دليل علىٰ أن أول ما فرض الله تعالىٰ عليهم، اجتناب الطاغوت، ثم الإيمان بالله.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأما صفة الكفر بالطاغوت: فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم».

يريد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كيف يكون الإنسان كافرًا بالطاغوت، وتحقيق ذلك أن يعتقد بطلان عبادة غير الله تعالىٰ؛ أي: أن كل أنواع العبادات لا تكون إلا لله تعالىٰ(١)، فإن توجه بها إلىٰ غير الله تعالىٰ فهي عبادة باطلة، وفعله هذا كفر وشرك، فلابد من الكُفرِ بعبادة الأنداد واعتقاد بطلانها، وبُغضِ من لم يكفُر بعبادتهم، والكفر بهم كذلك.

فالذين يعبدون الأصنام نكرههم ونبغضهم، والذين يعبدون القبور نكرههم ونبغضهم، فكل من عبد شيئًا غير الله فإننا نكفر به، ونُبغضه -إن كان راضيًا بهذه العبادة-، وندعو إلىٰ الكفر به وببغضه، هذا هو معنىٰ الكفر بالطاغوت.

ويقابل هذا الكفرَ والبغضَ: الإيمانُ بالله، وهو: «أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه»، فجميع ما أمر الله من العبادات «مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان،

(١) وأن ما سوىٰ الله لا ينفع ولا يضر، كائنًا من كان، وأن هذه المعبودات التي يتوجه إليها الناس، وإنما هي كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣-١٤]، فينزع من قلبه التعلق بهم في نيل محبوب أو دفع مكروه، وينزع من قلبه الخوف من أذيتهم لمن دعا إلىٰ الكفران بعبادتهم، وبالمقابل عليه أن يفرد الله تعالىٰ بالنفع والضر والخوف، وسائر أنواع العبادات التي أمر الله بها.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٥-١٠٧].

ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من العبادة التي أمر الله بها (كلها لله)»(١) ، خالصة له دون ما سواه ﷻ؛ لأنه أحق بها، وهو الذي أمرنا بها.

وتحب أهل الإيمان، أهل الإسلام، أهل الإخلاص، الذين يوحدون الله تعالىٰ، تحبهم لحبهم لله ولمحبة الله لهم، وتواليهم وتتعاون معهم، وتُقرِّبهم وتتقرَّبُ إليهم بالمحبة والأخوة في الإسلام، وتبغض أهل الشرك، والمنافقين، وأهل الكفر، وتبغض أعمالهم، وتعاديهم وتُظهِر هذه العداوة لهم، وهذا البغض لهم حسب الميزان الشرعي بلا جور وظلم.

ثم استدل رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الآية العظيمة، وهو يضرب المثل بإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أبي الأنبياء.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤]».

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾، «أسوة»؛ أي: اتباع وقدوة، في إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والذين معه من أتباعه، ﴿إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ﴾؛ أي: إننا نتبرأ منكم، ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، نتبرأ من أفعالكم، نتبرأ من كفركم، نتبرأ من شرككم، بل نتبرأ من ذواتكم علىٰ كفركم، ومما تعبدون من الأوثان والأصنام

---

(١) رسالة «الأصول الثلاثة» للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

التي تعبدونها من دون الله، ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾؛ أي: صار بيننا وبينكم التباعد، وأننا نكفر بما جئتم به من هذا الدين الباطل، وكفرنا بما تفعلون وما تعبدون، ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ﴾؛ أي: ظهر بيننا وبينكم العداوة، وهي المعاداة لكم، والبغضاء، وهي البغض لكم والشنآن وعدم محبة ما أنتم فيه من الأفعال، وعدم محبة ما يئول إليه أمركم من هذا الفعل المبغوض لنا، وهذا البغض والعداء ﴿أَبَدًا﴾ دائمًا، طالما كنتم علىٰ ذلك، ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾؛ أي: لا تنقطع المعاداة والبراءة حتىٰ ترجعوا إلىٰ الإيمان، وتنصرفوا عن هذه الآلهة وهذه الأوثان(١).

فطريقة إبراهيم -وهو أبو الأنبياء-، وملته ودينه الذي اعتنقه وعبَدَ الله به، هي الكفر بالطاغوت، والتبرؤ منه وممن عبده، وإظهار البغض والعداوة لمن رغب عن هذه الملة -ملة إبراهيم-، والتي لا يرغب عنها ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠]، والسفه هو عدم حسن التصرف، والوقوع في الأمور التي يردها العقل والدين.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والطاغوت عام، فكل ما عبد من دون الله، ورضي بالعبادة، من معبود، أو متبوع، أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت».

أي: أن مظاهر الطاغوت لا تنحصر في هذا الأمر فقط، بل له أوجه كثيرة،

---

(١) ونظير ذلك قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٧٥-٨٢].

ومبناها هو أن كل ما عُبِد من دون الله فهو طاغوت؛ أي: كل ما كان التوجه إليه إما بقصد أو بطلب لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، أو طاعة في تحليل ما حرم الله، أو في تحريم ما أحل الله، أو في اتباعٍ لهدي غير هدي النبي ﷺ، مع العلم بذلك، فهذا يقال بأنه متجه لعبادة الطواغيت، ومن رضي بهذه العبادة فهو طاغوت.

فالذين أقروا لأنفسهم أن يُعبدوا من دون الله، أو أن يُتَّبَعوا في أمر فيه مخالفة لأمر الله، وشرع الله، أو أن يطاعوا في تحليل ما حرم الله، أو في تحريم ما أحل الله، فهؤلاء طواغيت، وأما من لم يرضَ منهم بهذه العبادة، ومع ذلك عُبِد فليس من الطواغيت، كعيسىٰ عليه السلام، وعزير، والملائكة، وغيرهم من الأنبياء والصالحين، الذين ألَّهَهم الناس بغير رضا منهم(١).

---

(١) صحَّ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قَالَ: «آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ لا يَسأَلُنِي النَّاسُ عَنهَا، وَلا أَدرِي! أَعَرَفُوهَا فَلا يَسأَلُونِي عنهَا، أَم جَهِلُوهَا فَلا يَسأَلُونِي عنهَا؟

قِيلَ: وَمَا هِيَ؟

قَالَ: آيَةٌ لَمَّا نَزَلَت ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨] شَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَهلِ مَكَّةَ، وَقَالُوا: شَتَمَ مُحَمَّدٌ آلِهَتَنَا.

فَقَامَ ابنُ الزِّبَعرَىٰ، فَقَالَ: مَا شَأنُكُم؟ قَالُوا: شَتَمَ مُحَمَّدٌ آلِهَتَنَا.

قَالَ: وَمَا قَالَ؟ قَالُوا: قَالَ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾، قَالَ: ادعُوهُ لِي.

فَدُعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَقَالَ ابنُ الزِّبَعرَىٰ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا شَيءٌ لآلِهَتِنَا خَاصَّةً أَم لِكُلِّ مَن عُبِدَ مِن دُونِ اللهِ؟ قَالَ: **بَل لِكُلِّ مَن عُبِدَ مِن دُونِ اللهِ** ﷻ.

قَالَ: فَقَالَ: خَصَمنَاهُ وَرَبِّ هَذِهِ البَنِيَّةِ، يَا مُحَمَّدُ، أَلَستَ تَزعُمُ أَنَّ عِيسَىٰ عَبدٌ صَالِحٌ، وَعُزَيرًا عَبدٌ صَالِحٌ، وَالمَلائِكَةَ عِبَادٌ صَالِحُونَ؟ قَالَ: بَلَىٰ.

قَالَ: فَهَذِهِ النَّصَارَىٰ يَعبُدُونَ عِيسَىٰ، وَهَذِهِ اليَهُودُ تَعبُدُ عُزَيرًا، وَهَذِهِ بَنُو مَلِيحٍ تَعبُدُ المَلائِكَةَ.

=

والطواغيت كثيرة ورءوسهم خمسة:

الأول: الشيطان الداعي إلىٰ عبادة غير الله، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس:٦٠].

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالىٰ، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

=

قَالَ: فَضَجَّ أَهلُ مَكَّةَ، فَنَزَلَت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ عِيسَىٰ، وَعُزَيرٌ، وَالمَلائِكَةُ، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١].

قال: ونزلت: ﴿۞وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف:٥٧]».

«مشكل الآثار» للطحاوي (٩٨٦)، وأحمد في «المسند»، والواحدي في «أسباب النزول» وصححه الشيخ مقبل في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص ١٥٠).

الخامس: الذي يُعبَد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٢٩].

الشرح

بدأ الشيخ -رحمه الله تعالىٰ- ببيان رءوس الطواغيت، وحصرها في خمسة، وهذا بالاستقراء من كتاب الله ومن سُنة رسول الله ﷺ.

الأول: الشيطان الداعي إلىٰ عبادة غير الله، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس:٦٠].

الشيطان في بداية أمره دُعِي إلىٰ عبادة الله، فلما أُمِر بطاعة الله ﷻ في أمره للملائكة وإبليس بالسجود لآدم عليه السلام سجود تكريم، أبىٰ واستكبر، ثم أقسم إن يغوي بني آدم، كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨٢]، وكان من أعظم أنواع هذه الغواية أن دعا إلىٰ عبادة نفسه دون عبادة الله ﷻ، وأن دعا إلىٰ عبادة غير الله ﷻ من الطواغيت، فبفعله هذا كان من رءوس الطواغيت وأشدهم.

ثم إنه يغري الناس ويدفعهم إلىٰ معصية الله ﷻ، فتنةً منه وحسدًا وعداوةً لبني آدم، ومحبةً منه أن يغويهم عن الصراط المستقيم، وأشد ما يكون فرحًا حين يلبسهم لباس الكفر والشرك والنفاق.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس:٦٠]، فالله تعالىٰ عهد إلينا نحن أبناء آدم، ألَّا نعبد الشيطان،

وعبادة الشيطان هنا: طاعته واتباعه والانقياد له، وهذه الطاعة قد تكون إما كفرًا أو دون ذلك، ثم قال عقب ذلك: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾؛ لأنه يريد أن يدخلكم في الكفر والشرك، حتىٰ تكونوا معه في نار جهنم.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].

فالشيطان طاغوت، ومن اتبع الشيطان اتبع الطاغوت، وهذا الاتباع إما أن يخرجه من الملة، أو يجعله دون ذلك، ولكنه علىٰ خطر عظيم.

فينبغي للمؤمن أن يحذر من رأس الطواغيت: الشيطان، وأن يحذر من اتباع خطواته.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة:٢٨٠].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٢١]. أعاذنا الله منه ومن خطواته.

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالىٰ، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

النوع الثاني من رءوس الطواغيت: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالىٰ، الحاكم هنا بمعنىٰ الذي يحكم علىٰ أمور -هي من أحكام الله تعالىٰ الشرعية في دين الله تعالىٰ الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ -مُغيِّرًا لها مُبَدِّلًا لها، كمن يبدل حكم الله في حق الزاني المحصن -وهو الرجم-، فيقول: «نحن لا نرجمه، ولكن نسجنه، فهذا يكفي»! ويأتي إلىٰ السارق الذي حكم الله عليه بقطع اليد، فيقول: «لا ما يلزم، هذا فيه بشاعة، هذا فيه ظلم كبير، هذا أمر تتقزز منه النفوس، إنما نسجنه أيامًا، أو نعزره، أو نحبسه»!

وهكذا في كل حد من حدود الله تعالىٰ، يأتي بأمور تخالف الحدود الشرعية، فهذا مبدل لأحكام الله تعالىٰ، وهو رأس من رءوس الطواغيت الخمسة، ولا ينبغي الاحتكام إليه، ولا الأخذ بهذه الأحكام.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: يدَّعون زعمًا منهم وكذبًا الإيمان ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الشرائع التي جاءت في أديان الأنبياء، ومع ذلك ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾؛ أي: يميلون بالأحكام إلىٰ أولئك الذين شرَّعوا لهم، وبدَّلوا كتاب الله تعالىٰ وما جاء به من أحكام، وبدَّلوا سنة النبي -عليه الصلاة والسلام-، ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾؛ أي: أمرهم الله تعالىٰ أن يكفروا بهذا الفعل، وأن يكفروا بهؤلاء الطواغيت، ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾، فيزين لهم هذا الضلال ويضلهم ضلالًا بعيدًا.

وهذه الآية ذكر في سبب نزولها عدة آثار، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان

أبو بُردَةَ الأسلمي كاهنًا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه، فتنافر إليه ناس من المشركين، فأنزل الله ﷻ : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء:٦٢]»[(١)].

ومنها: ما جاء عن مجاهد أنه قال: «تنازع رجلٌ من المنافقين ورجلٌ من اليهود، فقال المنافق: اذهب بنا إلىٰ كعب بن الأشرف. وقال اليهودي: اذهب بنا إلىٰ النبيﷺ. فقال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية، والتي تليها فيهم أيضًا»[(٢)].

وهكذا، كل من تحاكم إلىٰ غير الله ﷻ فقد تحاكم إلىٰ الطاغوت، كمن يتحاكم إلىٰ اليهود أو النصارىٰ أو المشركين والملحدين، واليهود كما نعلم غيروا دين الله، حولوا الرجم للزاني وهو في الكتاب الذي أنزل عليهم إلىٰ ما يقال له التحميم، وهو تسويد وجه الزاني والزانية ووضعهما علىٰ وضع منقلب علىٰ حمار، ثم يطوفون بهم بين الناس، فهذا تغيير لأحكام الله تعالىٰ، فكل من غيَّر أحكام الله تعالىٰ وبدَّلها وفعل ذلك في الناس، فهو طاغوت، ومن تبعه فهو من أتباع الطواغيت.

---

(١) «الصحيح المسند من أسباب النزول»، للشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧٧).

تنبيه: في المطبوعة: «أبو برزة الأسلمي» وهو خطأ محض، والصواب ما كان في المخطوطة، فإن أبا برزة الأسلمي -نضلة بن عبيد- هو صحابي جليل، و«برزة» بفتح الباء بعدها راء ساكنة بعدها زاي. وأما «أبو بردة» فهو بالباء المضمومة بعدها راء ساكنة بعدها دال. (منقول للفائدة).

(٢) ابن جرير (٩٧٩٨)، وصحح الحافظ في «الفتح» إسناده إلىٰ مجاهد.

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤].

هذا الصنف الثالث من الطواغيت، وهو الذي يحكم بغير ما أنزل الله تعالىٰ؛ أي: يأتي بقانون مقنَّن محدَّد مُشرَّع، مصدرُه وأصلُه من أفكار وآراء البشر، صاغوه بآرائهم وتصوراتهم، تاركًا كتاب الله وسنة النبي -عليه الصلاة والسلام-، كارهًا لهما معرضًا عنهما.

فمن شرَّع وقنَّن -كما هو الحال اليوم عند البعض-، فوضع قوانين وضعية وترك الحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، يحكم بهذه القوانين بين الناس معتقدًا أنها أفضل ما ينبغي الرجوع إليه في التحاكم، فهذا كفر صريح اعتقادي لا شك فيه[(١)].

وأما من تحاكم إليها وهو مقرٌّ وعالمٌ أن أحكام الله هي أولىٰ وأفضل، إلا أنه حكم بغير ما أنزل الله لدنيا أو قرابة، تحت شيء من الضعف، فهذا لا يدخل في هؤلاء، عكس من تحول إليها وأقرها وعمل بها، وقنَّنها ودعا إليها، وهو يرىٰ أنها أفضل من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فهذا تنطبق عليه هذه الآية: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [المائدة:٤٥].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٧].

---

(١) وقد مرَّ الكلام علىٰ ذلك بشيء من التفصيل.

فهذه ثلاث صفات: الكفر والظلم والفسق، فيدخل فيها الكفر المخرج من الملة، والكفر العملي غير المخرج من الملة، كلٌّ بحسَبِهِ، كما سبق معنا في الناقض الرابع من نواقض الإسلام(١).

الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿عَـٰلِمُ

(١) «فهاهنا كفر دون كفر، ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك، وظلم دون ظلم. فعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، قال: «ليس هو الكفر الذي تذهبون إليه» رواه عنه سفيان، وعبد الرزاق.

وفي رواية أخرىٰ: «كفر لا ينقل عن الملة»، وعن عطاء: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق.

وهذا بين في القرآن لمن تأمله، فإن الله سبحانه سمَّىٰ الحاكم بغير ما أنزل الله كافرًا، وسمىٰ الجاحد لما أنزل الله علىٰ رسوله كافرًا، وليس الكفران علىٰ حد سواء؛ وسمىٰ الكافر ظالمًا، في قوله: ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤]، وسمىٰ من يتعدىٰ حدوده في النكاح والطلاق والرجعة والخلع ظالمًا، وقال: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق:١]، وقال يونس عليه السلام: ﴿إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]، وقال آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:٢٣]، وقال موسىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ [النمل:٤٤]، وليس هذا الظلم مثل ذلك الظلم.

وسمىٰ الكافر فاسقًا، في قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [البقرة:٢٦]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [البقرة:٩٩].

وسمىٰ العاصي فاسقًا، في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ [الحجرات:٦].

وقال في الذين يرمون المحصنات: ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [النور:٤].

وقال: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧]؛ وليس الفسوق، كالفسوق».

[«رسالة أصول وضوابط في التكفير» للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، صفحة (٤٠-٤٢)، طبعة دار الإمام أحمد].

﴿ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

النوع الرابع من أنواع الطَّواغيت: مَن يدعي علم الغيب المُطلَق من دون الله تعالىٰ؛ إذ إن كل مؤمن وكل مسلم يعتقد أنه لا يعلم الغيب مطلقًا إلا الله تعالىٰ، وهذا بنص محكم القرآن.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥]، فمن ادعىٰ أنه يعلم الغيب، أو أنه يأتي بأشياء من علم الغيب مما لا يعلمها إلا الله تعالىٰ، فإنه طاغوت، ومن وافق علىٰ هذا فهو من أتباع الطواغيت.

والغيب نوعان: غيب مُقَيد، وغيب مطلق.

«**الغيبُ المطلقُ:** وهو ما لا يعلمهُ إلا اللهُ...

الغيبُ المقيَّدُ: وهو ما عَلِمَه بعضُ المخلوقاتِ دونَ بعضٍ، فهو غيبٌ بالنِّسبةِ لِمَن لم يعلمهُ دونَ من عَلِمَه، فيكونُ غيبًا عَمَّن غابَ عنه من المخلوقِين، لا عَمَّن شهِدَهُ»(١).

فمن ادعىٰ وقال: إنه يعلم شيئًا من هذا الغيب؛ أي: الغيب المُطلق، فإنه من

(١) «التنبيهات السنية علىٰ العقيدة الواسطية» للشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد (ص٦١).

الطواغيت[١]؛ لأن الله تعالىٰ بيَّن في محكم كتابه أن الغيبَ المطلق لا يعلمه إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾؛ أي: أنه لم يُظهر ولم يُطلع أحدًا علىٰ هذا الغيب، ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾؛ أي: إلا ممن رضي اللهُ تعالىٰ وشاء أن يطلعه علىٰ هذا الغيب[٢]، ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾، «يَعنِي: مَلَائِكَةً يَحفَظُونَهُ عَن أَن يَقرَبَ مِنهُ شَيطَانٌ، فَيَحفَظُ الوَحيَ مِن استِرَاقِ الشَّيَاطِينِ، وَالإِلقَاءِ إِلَىٰ الكَهَنَةِ»[٣].

﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام:٥٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾[٤]؛ أي: وعنده أمور الغيب المطلقة التي ﴿لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾، ﴿وَيَعۡلَمُ﴾ دقيق أمور الغيب من مثل: ﴿مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ﴾[٥]،

---

(١) ومن صدقه في ذلك فهو كافر. انظر: «شرح رسالة معنىٰ الطاغوت» للشيخ الفوزان (ص ٣٠٥).

(٢) نظيره قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾ [آل عمران:١٧٩].

(٣) «تفسير القرطبي» (٢١/ ٣١٠).

(٤) عَن سَالِمِ بنِ عَبدِ اللهِ، عَن أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: قَالَ: «مَفَاتِحُ الغَيبِ خَمسٌ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان:٣٤]. أخرجه البخاري، كتاب التفسير.

(٥) «خَصَّهُمَا بِالذِّكرِ لِأَنَّهُمَا أَعظَمُ المَخلُوقَاتِ المُجَاوِرَةِ لِلبَشَرِ؛ أَي: يَعلَمُ مَا يَهلِكُ فِي البَرِّ وَالبَحرِ. وَيُقَالُ: يَعلَمُ مَا فِي البَرِّ مِنَ النَّبَاتِ وَالحَبِّ وَالنَّوَىٰ، وَمَا فِي البَحرِ مِنَ الدَّوَابِّ وَرِزقِ مَا فِيهَا». «تفسير القرطبي» [(٨/ ٤٠٥)، طبعة الرسالة].

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾[(١)]، فيعلم الحركات والسكنات، ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ ولم يخرج عن علمه أيضًا ما خفي عن أعين المخلوقات في بطون الأرض، من أمور خفية لا يعلمها أحد إلا الله ﷻ، وكل هذه الأمور التي أحاط الله ﷻ بعلمها هي ﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾، وهو اللوح المحفوظ[(٢)].

فإذا علم المسلم أن الغيب لا يطلع عليه إلا الله ﷻ، فينبغي عليه أن يحذر من الكهان، ومن الأفَّاكين الدجلة، ومن أصحاب علوم الفلك وعلم النجوم الذين يزعمون أنهم يطلعون علىٰ الغيب من خلال حركة الكواكب والنجوم[(٣)]، فهؤلاء كلهم من الأفاكين، بل هم من الطواغيت الذين يتعاملون مع الجن، الذين يسترقون السمع فينقلون إليهم ما سمعوا ليُضِلُّوا الناسَ بها.

فمن ادعىٰ علم الغيب فقد كفر بما أنزل علىٰ محمدﷺ، وهو من الطواغيت،

---

(١) «أَي: مِن وَرَقَةِ الشَّجَرِ إِلَّا يَعلَمُ مَتَىٰ تَسقُطُ وَأَينَ تَسقُطُ وَكَم تَدُورُ فِي الهَوَاءِ، وَلَا حَبَّةٍ إِلَّا يَعلَمُ مَتَىٰ تَنبُتُ وَكَم تُنبِتُ وَمَن يَأكُلُهَا، و«ظُلُماتِ الأَرضِ»: بُطُونُهَا». المصدر السابق نفسه.

(٢) قال الإمام ابن سعدي في «تفسيره»: «هذه الآية العظيمة من أعظم الآيات تفصيلًا لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلها، التي يُطلِع منها ما شاء من خلقه. وكثيرٌ منها طوىٰ علمَه عن الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، فضلًا عن غيرهم من العالمين، وأنه يعلم ما في البراري والقفار، من الحيوانات، والأشجار، والرمال والحصىٰ، والتراب، وما في البحار من حيواناتها، ومعادنها، وصيدها، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها، ويشتمل عليه ماؤها». [مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي (٢/ ٣٠٨)].

(٣) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: «مَنِ اقتَبَسَ عِلمًا مِنَ النُّجُومِ، اقتَبَسَ شُعبَةً مِنَ السِّحرِ زَادَ مَا زَادَ». رواه أبو داود وصححه الشيخ الألباني [«الصحيحة» (ح ٧٩٣)].

ومن صدقه واتبعه فهو من عباد الطواغيت.

الخامس: الذي يُعبَد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٢٩].

هذا بيان للنوع الخامس من الطواغيت، وهو أشدُّهم[(١)]، وهو الذي يُعبَد من دون الله وهو راضٍ بهذه العبادة، أي: يُقصد ويُتَّجَه إليه بشيء مما هو خاص بالله تعالىٰ من أنواع العبادات، فيُطاع فيها وهو راضٍ بذلك، ويحب ذلك ويفتخر بذلك، كأن يقول لهم: «من له حاجة فليأتِ إليَّ، وليطلب مني قضاء هذه الحاجة، فإني أقضيها له»!

فهذه دعوة إلىٰ عبادة نفسه، ودعوة إلىٰ ترك عبادة الله تعالىٰ، وأمثال هذا من الطواغيت، بل من رءوس الطواغيت، فأي ذنب وأي كفر أشد من أن يدعو الإنسان إلىٰ عبادة نفسه، وترك عبادة من خلقه وخلق الناس؟!

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

---

(١) لأنه جمع بين الدعوة لعبادة نفسه، وبين الحكم بغير ما أنزل الله، فشرع للناس ما لم يأذن به الله ﷻ، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام:٩٣].

ثم ختم الشيخ الرسالة بقوله: «واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمنًا بالله إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

الرشد دين محمد ﷺ، والغي دين أبي جهل، والعروة الوثقىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، وهي متضمنة للنفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالىٰ، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



الشرح

قال الشيخ: «واعلم»؛ أي: علم يقين لا شك فيه ولا ريب، وعلم تبصُّر، أنَّ الإنسان ما يصير ولا يكون مؤمنًا حقيقةً، فَيُقبل منه هذا الإيمان، ويُنجِّيه من النار، ويدخل به الجنة، إلا أن يجمع بين الإيمان بالله تعالىٰ والكفر بالطواغيت، فيكفر بهذه الأنواع من الطواغيت جميعها، ويُخلِص الدين لله تعالىٰ، فيقدم الكفر بالطواغيت قبل الإيمان بالله، حتىٰ يكون هذا الإيمان بالله تعالىٰ إيمانًا خاليًا من الشرك، ومنجيًا من عذاب جهنم.

والدليل علىٰ ذلك: قولُ الله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، إذن لا بدأ أولًا من الكفر بالطاغوت، ثم الإيمان بالله، فلا ينفع إيمان بالله مع إيمانٍ بالطواغيت، فهذا إيمانه غير مقبول وهو مردود عليه.

فمن فعل ذلك ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: استمسك بالدين الصحيح، وبالسبب الوثيق، والعروة الوثقىٰ هي «لا إله إلا الله»، والتي هي متضمنة لمعنيين:

المعنىٰ الأول: النفي، وهو نفي الألوهية جميعها لغير الله.

والمعنىٰ الثاني: الإثبات، والمراد به إثبات الألوهية لله تعالىٰ وحده دون ما سواه.

فتنفي كل ما عُبد وأُلِّه من غير الله تعالىٰ، نفيًا كاملًا مع اعتقاد بطلان هذه العبادة، ثم تثبتها لله تعالىٰ إثباتًا صحيحًا؛ لأنه أحق بها، وهذا معنىٰ الكفر بالطاغوت ثم الإيمان بالله تعالىٰ، فمن فعل هذا ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ والتي ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾؛ يعني: منعقدةً انعقادًا قويًّا مترابطًا لا ينفك عن بعض ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

ثم إن الله ﷻ قال قبل هذه الآية: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وهذا الرشد هو دين محمد ﷺ، وهو الإسلام، هذا دين الله، وهذا هو الذي جاء به الأنبياء، وهو ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، هذا الذي جاء به الرسول ﷺ وهو خاتم الأنبياء، وهو دين محمد ﷺ.

فينبغي التمسك بهذا الدين الصحيح، الذي وصفه الله ﷻ بقوله: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ﴾، ما هو الغي؟ الغيُّ هو دين أبي جهل.

ولماذا خَصَّ أبا جهل؟

لأنه فرعون هذه الأمة، فرعون الكفرة، وأعظم رءوس أهل الكفر، وهذا من

جنس الكفار؛ أي: من جنس جميع الكفار، وأُفرِد هذا الجنس بذكر هذا الرمز الطاغية في عهد النبيﷺ، وهو فرعون هذه الأمة.

ثم ختم الجامع لهذه المتون المباركة هذه النقول بقوله: «والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات».

وهذا كان يقوله النبي -عليه الصلاة والسلام- كلما رأىٰ عملًا صالحًا يفرحه، فعَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا رَأَىٰ مَا يُحِبُّ، قَالَ: **الحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ**. وَإِذَا رَأَىٰ مَا يَكرَهُ قَالَ: **الحَمدُ لِلَّهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ**»(١)؛ أي: أنه لا نعمة تتم إلا بفضل من الله تعالىٰ.

فنحمد الله تعالىٰ علىٰ توفيقه لنا لإتمام هذا الأمر، ونحمده أيضًا علىٰ اختصاصنا من دون الناس بهذا الفضل، ونحمده علىٰ إلباسنا لباس العافية والصحة والدين فوُفِّقنا لهذا، فهي محامد كثيرة وكثيرة، ولا نملك من ذلك إلا أن نقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [الأعراف:٤٣].

فهو المحمود، وهو المستحق لجميع أنواع المحامد.

ونحن نحمد الله تعالىٰ علىٰ نعمة الإيمان، ونعمة الإسلام، ونعمة الدين، ونعمة العلم، ونعمة العمل الصالح، كل هذه المحامد لله تعالىٰ مع خضوع وتذلل لله تعالىٰ، ومحبة وتعظيم.

والصلاة والسلام علىٰ رسولهﷺ، وعلىٰ صحبه، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٣٠٨١)، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله.


الفِهرِسُ



فهرس الموضوعات

